المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب
بدر بن محمد طراد المعيقل

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود مزروعة

١٤٢٥هـ

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. . . وبعد:

فإن عنوان الرسالة هو: «**جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى**».

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، وملحق تراجم، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة: فكانت عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث.

وأما التمهيد: فكان في منهج القرآن والسنة في الرد على النصارى، ومناهج علماء المسلمين كذلك.

وأما الباب الأول: فعن جهود علماء المسلمين في الرد على عقيدة النصارى في الألوهية، وتناولت فيه:

رد دعوى التثليث، ورد دعوى النصارى في الأب، وكذلك في الابن والروح القدس بالأدلة النقلية والعقلية.

وأما الباب الثاني فعن جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في قضايا النبوات، وتناولت فيه:

اعتقاد النصارى بعيسى والرد عليه، والصلب والفداء، والرد عليها، وبيان موقفهم من نبوة محمد ﷺ والرد عليها، ورد دعوى انتشار الإسلام بالسيف، وعقيدتهم في الجنة ونعيمها.

أما الباب الثالث: فعن جهود علماء المسلمين في نقض كتب النصارى المقدسة، وتناولت فيه:

بيان تحريفهم للتوراة والإنجيل، وبيان جهل النصارى بكتاب الأناجيل ومترجميها، وإيراد الاختلافات والتناقضات الواردة في الأناجيل، كما تناولت نقد علماء المسلمين للمجامع النصرانية.

ثم جعلت **ملحقًا** بتراجم علماء القرون الستة الوارد ذكرهم في ثنايا البحث.

ثم وضعت **خاتمة** ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وذيلتها **بفهارس** متعددة تخدم القارىء لها.

والحمد لله أولاً واخرًا.

All the praises and thanks be to Allah , the Lord of mankind ,jinns and all that exists and peace upon the master of the messengers , Muhammad , peace be upon him .

The title of this research is : **The Efforts Of Muslims Scholars To Refute The Claims Of Christians During The First Six Centuries Of Lunar Calendar.**

I have divided the research into preface , introduction , there sections , appendix of biographies , conclusion and index .

The preface involves the importance of the topic, the reasons of its choice and the method of the research.
The introduction : is about the method of Holy Quran and sonnah in refuting the belief of Christians and also the methods of Muslim scholars .
The First Section : tells us about the efforts of Muslim school in refuting the belief of the Christians in the divinity , and 1 discussed in it .Refutation to the claim Trinity , the claims of the Christians concerning the father , sonnah the spirit with the mental and textual proofs .
The Second Section : discusses the efforts of Muslim scholars in refuting the claims of Christians in the questions of prophets and 1 mentioned in it : the belief of Christians in Jesus and refuting it , the cross and the Ranson and refuting them , and clarifying their situation of the prophet Muhammed , pace be upon him refuting it , and 1 refuted the claim concerning the spread of Islam with the sword and their belief in paradise .
The Third Section : about the efforts of Muslim scholars in refuting the sacred books of Christians and I discussed in this chapter : their change in the torah and gospel and showing the ignorance of Christians concerning the books of Gospel and its interpreters and mentioning the differences and contrasts in Gospels , as mentioned the criticism of Muslim scholars and their opinions .

before the conclusion I introduced and appendix of the biographies of the scholars of the six centuries that I indicated to them in this research.
Then I ended the research with a conclusion in which I wrote the most important results I reached .
At the end of the research there are numerous indices that serve the reader.

All the praises and thanks be to Allah , first and last .

المقدمة

- سبب اختيار الموضوع.
- أهميته العلمية.
- منهجي في كتابة البحث.

الحمد لله الذي بعث في كل أمة رسولاً ليعبدوه مخلصين له الدين، وجعل خاتمهم وأفضلهم محمدًا ﷺ، وأخذ العهد والميثاق على النبيين وإن أدركوه في حياته ليؤمنن به، وليكونن من أنصاره وأتباعه، ناداهم بأسمائهم وناداه بوصف النبوة والرسالة، وأنزل عليه القرآن الكريم ومثله معه، فكان معجزة خالدة، أعجز البلغاء والفصحاء والحكماء، وتكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة، وجعله مهيمنًا على الكتب قبله، وحجة على من بلغه، وجادل به أهل الكتاب فأقام عليهم الحجة، ونصره الله في إظهار دينه وأيده.

وأشهد أن لا إله إلا وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، ومن اتبع هديه ونصر شريعته إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل، وانقطاع من النذر، وقد ملأ العالم الظلمات، وتشتت فيه الأهواء، وتفرقت فيه الأديان، حتى إن الله مقت أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا نفرًا قليلاً من أتباع الرسل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾ [المائدة]. وعن عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله نظر إلى أهل

الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلَّا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك» رواه مسلم.

بعثه الله رحمة للعالمين، وقد وعده الله بالظهور والعلو والرفعة، وأنه ظاهر على كل من عانده وخاصمه، كما قال جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]، ليظهره ويعليه على كل دين ولو كره المشركون.

إن دين الإسلام ظاهر، لا يرتاب في ذلك إلا منافق، يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما أهل الإيمان الذين صدّقوا وعد الله وخبره فهم يوقنون إن الله قد أعلى أمر هذا الدين وأظهره منذ أن بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته الأقربين ودعاهم، فما زال هذا الدين في علو وارتفاع، وغيره في سفول وانحسار، والله لا يخلف الميعاد ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزمر: ٢٠]، حتى في أيام الضعف وفي مراحل النكبات، وفي أيام الأزمات والانتكاسات كان هذا الدين عاليًا شامخًا يخرج من تلك الأزمات ومن تلك النكبات وقد اكتسب جمعًا كثيرًا من الناس.

يرى ذلك كل صاحب عقلٍ سليم، أما إذا أهمل الإنسان عقله في ضلالات الجهل أودت به الخرافة إلى المهالك

العظيمة، ومن ظلمات الخرافة تنشأ الأديان المحرفة عن عقيدة ضالة وضلالة رائجة، منها عقيدة من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، إنها النصرانية، تلك العقيدة الباطلة وأولئك القوم الذين وصفهم الله عز وجل في أم الكتاب بأنهم الضالون.

في هذه الديانة المحرفة المشوهة التي ينشأ عليها كثير من أهل الأرض نرى كيف يضل النصارى ضلالا بعيدا حين يقولون بفكرة التثليث حيث الإله عندهم: الأب والابن وروح القدس، فهم ثلاثة في واحد، وإذا رأيت عقيدتهم في النبي عيسى عليه السلام تراهم يرونه ابنًا لله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

النصارى هم الذين يقولون بعقيدة صلب المسيح عليه السلام، حيث يزعمون أنه علق على الصليب ودقت يداه بالمسامير وجعل ينادي على الصليب يا إلهي لم تركتني، وكل ذلك كما يزعمون كي يفتدي خطايا بني آدم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ

﴿وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

إنها النصرانية الحبلى بكل خرافة وضلال، سطر الله عز وجل ذلك في القرآن ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾. [المائدة: ٧٢].

ولقد تكلم القرآن عنهم ورد على ضلالهم وسماهم كافرين في حين أن بعض المسلمين يتحرج من ذلك.

النصرانية خرافة أغارت على نبوة عيسى بن مريم عليه السلام فبدلتها وردت نهارها ليلاً، وسلامها ويلاً، وجعلت الوحدة شركًا بعقيدة الثالوث، وانتكست بالإنسان فعلقت همته بالقرابين وفكرَه بالألغاز المعمّاة.

ومع هذا الضلال الكبير ترى كثيرا من المسلمين ممن أنعم الله عليهم بدين هو أسمى الأديان وأعزها، تراهم وقد أكرمهم الله بالعقل والمعرفة لا يعرفون من ديانة النصرانية إلا ما ينادون به من معاني المحبة والخلاص والتسامح وتسخير حياتهم لخدمة المحتاجين وغير ذلك من الشعارات المشوهة والمبادىء المعلنة في فضائياتهم وإذاعتهم وكتبهم، وهي ذاتها المبادىء التي أثبتها الإسلام وأمر بها من غير تشويه أو تحريف.

ثم تجد بعد ذلك بعضا ممن أضله الله يسعى لفكرة تقريب الأديان أو تذويبها بيننا وبينهم، وكأن الفروق يسيرة

يمكن أن تزول في عقد تلك الاجتماعات السياسية الهدف.

إنها النصرانية هذا حالها، عاش معها المسلمون مرحلة من العداء عبر التاريخ ووقف النصارى منذ بزوغ فجر الإسلام حربا على الإسلام والمسلمين فهم من قرر الله عنهم عدم قبول الإسلام ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وبدأت عداوة النصارى للإسلام يوم أشرق وأسفر صبحه، حين جاء ملك غسان النصراني، حيث جاءوا بمائتي ألف مقاتل في مؤتة[١] ليواجهوا ثلاثة آلاف من صحابة رسول الله، وفي اليرموك[٢] برز النصارى للمسلمين في مائتين وأربعين ألف مقاتل يحملون الصلبان يتقدمهم القساوسة والرهبان لكن الله كسر شوكتهم فخرج الروم من الشام؛ ثم أُخرجوا من مصر، وكان المسلمون في كل ذلك يعاملونهم معاملة الإسلام فلا يقتلون أسيرهم ولا يرعبون المدن ولا يخوفون أهلها، بل كانوا يرعون لكل ذي حق حقه في ظلال كتاب الله وسنة نبيه حتى دخل كثير منهم في الإسلام، لكن حقد النصارى الكامن في نفوسهم لم يلبث أن تحول إلى تجهيز حملات صليبية[٣] لمحاربة الإسلام في عقر داره، وكانوا يسمونها حرب الصليب المقدس برعاية أباطرتهم وقساوستهم، واقترفوا كل ما

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ١٤٩).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٤٢).
(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٥).

استطاعوا من الجرائم في جميع البلدان التي دخلوها، فقتلوا في معرة النعمان مثلا أكثر من مائة ألف من المسلمين، ثم سارت جموعهم بمعاونة نصارى الشام إلى بيت المقدس بألف مقاتل فدخلوا بيت المقدس بعد أن أعطوا أهلها الأمان ثم استباحوها في دماء وأشلاء المسلمين في القدس، واستمروا في القدس تسعين سنة حتى أخرجهم القائد المسلم صلاح الدين.

أما في الأندلس(١) فإنه الحديث الدامي المحزن، حينما سيطر النصارى على غرناطة آخر معقل من معاقل المسلمين في الأندلس فارتكبوا فيها كل شناعة بعد أن أعطوا العهود والوعود واستخفوا بكل حرمة، ونصبوا للمسلمين محاكم التفتيش ومهمتها البحث عن المسلمين وإخراجهم من دينهم وتغيير أسمائهم وعاداتهم حتى استطاعوا أن يمحو المسلمين من تلك البلاد إلا ما بقي من آثارهم.

ثم عادت بعد ذلك تلك الحملات الصليبية لكنها في صورة الاستعمار البغيض للبلاد الإسلامية ونهب خيراتها بمسمى الرعاية والانتداب وتنظيم البلاد، واحتلوا بلاد المسلمين التي اصطلت بنارهم، مما يثبت ويؤكد أن حربهم حرب عقيدة تنطلق من حقد دفين على الإسلام وأهله، بل هو رباط قديم يربط هؤلاء ممن يعاصرنا بالصليبيين القدماء كما

---

(١) انظر: الأمويون بين الشرق والغرب، دراسة وصفية وتحليلية للدولة الأموية، القسم الثاني: الأمويون في الغرب، د. محمد السيد الوكيل، دار القلم والدار الشامية ص٣١٨ـ٤٠٠.

يشهد لذلك فعل قادتهم المحدثين، وتحت اسم حرب الهلال والصليب عاث النصارى فسادًا في بلاد المسلمين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، فقتلوا الأبرياء مثلا في البوسنة والهرسك وكوسوفا تحت اسم التطهير العرقي وحاربوهم في الفلبين وأبادوهم وهجروهم في إريتريا، ثم هم يسعون بمنظماتهم الكنسية وهيئاتهم الدولية إلى نشر ديانتهم المحرفة الممسوخة والترويج لها بكل ما أوتوا من وسائل وأموال يستغلون بها ضعف وجوع ومرض المسلمين لإخراجهم من دينهم في سبيل لقمة عيش تسد جوعهم، أو دواء يعالج مرضهم أو كساء يستر عريهم. مما هو معروف ومشهور من خلال وسائل الإعلام، وخصوصًا المرئية.

إنها مساعدات يقدمها النصارى بيد وباليد الأخرى يقدمون الصليب في وقت غفل فيه المسلمون عما يُكاد لهم، وغرهم ما يرون منهم من تقدم مادي ودنيوي.

ويمتدكيد النصارى ليسخروا مؤسساتهم المالية والإعلامية والاجتماعية لإفساد المجتمعات الإسلامية، ولشن حرب شعواء لاهوادة فيها على دين المسلمين وأخلاقهم بإشاعة التشويه في الإسلام باسم التطرف والإرهاب، وما حدث ويحدث في أفغانستان والعراق إلا دليلٌ واضح على امتداد ذلك العداء، وتلك الكراهية والبغضاء.

نراهم وقد تسلطوا بكبريائهم وغطرستهم على قضايا

المسلمين بالمكر والخديعة وباسم الحل والانهاء ومحاربة التطرف ونشر السلم، والحق أنهم قرروا الباطل وخذلوا القضية وأصبح إرهابهم سلاما ونظاما، وأصبح حصار بلدان المسلمين الدائم وتجويع أطفالهم تأديبا وعقابا لا رجعة عنه.

ومن المعلوم المؤكد أن من سنن الله الثابتة في هذا الكون ديمومة صراعنا ـ نحن المسلمين ـ مع النصارى، وأنه سيستمر إلى نهاية العالم، وقد ورد ما يشير إلى بقاء هذا الصراع في الكتاب الذي بعثه الرسول ﷺ إلى هرقل، بطريق غيرمباشر حيث قال: «**فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**»(١) والأصرح منه قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤]. إذًا صراع الإسلام والنصرانية سيستمر إلى قيام الساعة، وهو فتنة ابتلى الله بها المسلمين، وهذا قدرهم وما عليهم إلا الصبر والمواجهة.

وقد أشار الرسول ﷺ إلى الصراع مع النصارى في عدة أحاديث وأنه يأخذ منحىٰ المداولة، فتارة تكون الغلبة لهم وتارة تكون الغلبة عليهم، وأن هذا الصراع ينتهي بانتهاء الروم وانعدام النصرانية، وانتصار الحق في نهاية مسيرة الحياة الإنسانية والتي

---

(١) الأريسيين أتباع أريوس الذي كان يقول بوحدة الإله ونبوة عيسى عليه السلام. ومعناه أن تحمل آثمهم ونتيجة ذلك.

تعقبها نهاية العالم، وقبل استعراض بعض هذه الأحاديث ينبغي أن نعلم بأن كلام الرسول ﷺ ما هو إلا إرشاد للأمة من جانبين:

الجانب الأول:

تنمية وتقوية الإحساس بالخطر النصراني حتى لا يستكين المسلمون لهم.

تثبيت الإيمان لدى المسلم، وألا يفقد الثقة بنفسه حتى في فترات زهو النصرانية وتصدرها الزعامة، وليعلم بأنها مرحلة وتكون النهاية للإسلام وأهله، وللدين وأتباعه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

إن هذه الأحاديث تمثل المصل الواقي، وتمثل العلاج الذي يحفظ على الأمة كيانها في فترات الضعف والذل والهوان، كما هو في عصرنا الحاضر.

الحديث الأول:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم الأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون،**

إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم»[(١)] .

في هذا الحديث إشارة إلى أنه يسبق المعركة معارك يغنم فيها المسلمون غنائم من بينها أسرى، وهؤلاء يسلمون ويكونون في صفوف المسلمين، لهذا يرغب النصارى في قتال أبناء جنسهم، لكن المسلمين يمنعونهم عن ذلك ثم تنتهي المعركة بفتح القسطنطينية، وهذا الفتح ليس هو الفتح الأول الذي كان على يد محمد الفاتح.

روى الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله ﷺ فسئل أي المدينتين تفتح أولاً؟ يعني القسطنطينية والرومية، فقال: «**مدينة هرقل أولاً ـ يعني القسطنطينية ـ**»[(٢)] .

يشير هذا الحديث إلى أنه سيكون هناك فتح لكلتا المدينتين، فالأولى فتحت على يد محمد الفاتح العثماني، وبقيت تحت سيطرة المسلمين، وستفتح روما أيضًا بإذن الله تعالى، وإن كانت هي اليوم تعتبر معقل «الفاتيكان» وقبلة النصارى.

في مسند الإمام أحمد عن نافع بن عتيبة قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ، فأتاه قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة وهم قيام وهو قاعد، فأتيته

---

(١) مسلم، شرح كتاب الفتن، باب فتح القسطنطينة وخروج الدجال ج١٨، وصحيح مسلم ج٤كتاب الفتن برقم (٢٨٩٧)، وزيادة الجامع الصغير للسيوطي برقم (٣٦٩٦).

(٢) الحاكم في مستدركه: كتاب الفتن والملاحم ج٤ رقم ٨٦٦٢/ ٣٧٠، ومسند الإمام أحمد ج٢ أول مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، وجمع الزوائد، كتاب المغازي والسير باب السرايا والبعوث، باب فتح القسطنطينية برقم ١٠٣٨٥.

فقمت بينهم وبينه، فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال: «**تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله**»[١] قال نافع: يا جابر ألا ترى أن الدجال لا يخرج حتى تفتح الروم، وقد روى هذا الحديث الإمام مسلم بلفظ قريب من هذا.

في هذا الحديث إشارة إلى تدرج الفتح، وقد تحقق فتح جزيرة العرب وفارس، فلم يبق من بلاد فارس جزء لم يكن تحت الولاية الإسلامية، أما الروم فلا زال الصراع معهم، ولا زال جزء من بلاد الروم لم يفتح وخاصة معقل النصرانية الديني وهو «روما»، فالصراع معهم مستمر، فتارة يدال للمسلمين عليهم وأخرى يدال للنصارى على المسلمين، ولا زال مركز القيادة الروحية للنصارى لم يفتح وستفتح بإذن الله تعالى وبخبر الصادق المصدوق.

كما أن الحديث يشير إلى أن الصراع مع النصارى وخضوعهم للدولة الإسلامية سوف لن يتحقق إلا قرب خروج الدجال، لأن العقيدة النصرانية قائمة على الإعتقاد بعيسى وبعودته إلى الأرض، وعودته عليه السلام مقترنة بخروج الدجال، ولهذا فإن الصراع معهم مستمر، وإن هزيمتهم

---

(١) رواه مسلم ج٤، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال رقم ٢٩٠٠، ومسند الإمام أحمد ج١ مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص ومسند الكوفيين، وزيادة الجامع الصغير للسيوطي برقم ٢٠٤٢.

ستكون الحلقة الأخيرة التي تسبق الدجال.

في سلسلة الصراع بين الإسلام والنصرانية، الذي سيكون بين مد وجذر وينتهي بالمعركة الفاصلة التي يحشد لها النصارى قرابة مليون شخص تنتهي بالهزيمة النهائية حيث لا يقف الجيش الإسلامي إلا بعد أن يفتح «روما» العاصمة الروحية للنصرانية، وعند هذا الفتح سوف تنتهي معركة الروم، فيتحقق ما أخبر عنه الرسول ﷺ بأن يتم فتح الروم، ويتبع ذلك مباشرة المعارك مع الدجال الذي ينتهي الأمر بقتله وعندئذ تضع الحرب أوزارها، ويقرب العالم من نهايته، ويتحقق وعد الله بتبديل الأرض، ويعود الخلق جميعهم إلى موجدهم لتبدأ بعد ذلك الحياة السرمدية الأخروية.

روى الحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده، واللفظ للحاكم عن خالد بن معدان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**تصالحون الروم صلحًا آمناً حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيقول قائل من الروم غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين بل الله غلب، فيتداولانها بينهم فيثور المسلم إلى صليبهم وهم منهم غير بعيد، فيدقه ويثور الروم إلى كاسر صليبهم فيقتلونه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيكرم الله عز وجل تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فيقول الروم لصاحب الروم كفيناك حد العرب، فيغدرون فيجتمعون للملحمة فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر**

ألفًا». وفي رواية أخرى للحاكم: **«ستصالحكم الروم صلحًا آمنًا، ثم تغزون أنتم وهم عدوًا فتنصرون وتسلمون وتفتحون، ثم تنصرفون بمرج فيرفع لهم رجل من النصرانية الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليهم فيدق الصليب، فعند ذلك تغضب الروم فيجتمعون للملحمة»**[1].

في هذا الحديث العظيم تتضح بعض الحقائق التي تبين مستقبل الصراع مع النصارى نلخصها في النقاط التالية.

أولاً:

أن هذه الهيمنة من قبل النصارى اليوم على العالم ستزول، وإن هذه القوة المادية وهذه التقنية لن تستمر حتى نهاية العالم، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

إذًا فهذه العقلية التي يعيشها الغرب اليوم، من أنهم قادرون على فعل كل شيء، وهذا التباهي بالقوة المادية والعسكرية والتقنية، ستزول بقوة الواحد الأحد.

ثانيًا:

يشير الحديث إلى خفض الهيمنة العالمية المعاصرة للنصارى، وفك ارتباط الحكومات المعاصرة مع العدو الصليبي

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٤ مسند الشاميين والمستدرك للحاكم ج٤ كتاب الفتن والملاحم برقم ٨٢٩٨

اليهودي، وابتعاد النفوذ الصليبي عن المنطقة، مما يتيح للمسلمين تسلم زمام الأمور، وتكوين دولة إسلامية تمثل قوة جديدة في العالم، يلتجىء إليها النصارى، ويطلبون الصلح للحصول على مساندتها لمحاربة عدوها الذي سينزل بها الدمار.

ثالثًا:

إن هذا الصلح الذي سيتم مع النصاري آخر الزمان، يتم بناء على رغبة من النصارى، فهم الذين يطلبون الصلح بقصد الاستعانة بالمسلمين، وهذا يؤكد أنه سيكون للمسلمين دولة قوية، وهو مؤشر إلى أنه قبل الملحمة ستقوم للمسلمين دولة قوية، يخشاها النصارى، ولمعرفتهم بقوة المسلمين يحشدون لهم ما يقارب مليون شخص، ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا.

رابعًا:

يفهم من هذا الحديث أن الفكر العلماني المعاصر التي تتبناه الدول النصرانية، سوف يحل محله الفكر الديني الصليبي، وأن الدول النصرانية ستعود إلى دينها، بعد أن قضت ردحًا من الزمن وهي غارقة في شهواتها وعلمنتها، وأن الدين سيكون هو المحرك لهذه الدول، وهذا يؤخذ من الحديث من قيام رجل منهم برفع الصليب بقصد إظهار القوة النصرانية، فيغضب المسلمون لذلك فيعمدون إلى الصليب فيكسرونه، مما يثير غضب النصارى فيقومون بقتل الجيش

الذي كان معهم، وبهذا ينقضون الصلح مع الدولة الإسلامية وتكون نهايتهم.

خامسًا:

أن هذا الحديث وما سبق وأمثاله من علم الغيب الذي أخبر به الرسول ﷺ، ونحن أمة تؤمن بالغيب، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١-٣]، فانطلاقًا من الإيمان بالغيب، وثقة بما أخبر به الرسول ﷺ فنحن على موعد مع النصارى، وسيتحقق كل ما أخبر به الرسول ﷺ، وسترفرف رايات المجاهدين فوق دول النصارى وسيطأ المسلمون بأقدامهم عاصمة «الفاتيكان» الحالية «روما»، وستلتحم هذه الأمة مع أعدائها ويكون الغلبة لها، وستقع المعركة الفاصلة مع النصارى، وسيُكسر الصليب فوق رؤوس أصحابه، وستكون معركة شديدة قوية، وسيكون قتلاها عدد كبير من الطرفين.

ولذلك كله أنبرى علماء المسلمين للرد على النصارى في كل عصرٍ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقة ولا وفى بموجب العلم والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد بكلامه العلم واليقين» [درء تعارض العقل والنقل: ١/ ٣٥٧].

ولقد حرك العلم والإيمان كثيرًا من علماء الإسلام للبحث في الأديان وتشريعاتها وإلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، مما جعل علماء الإسلام يقومون بالإطلاع على كتب أصحاب الديانات المختلفة وسبر هذه الديانات ومعرفة خباياها.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ «عند قصة وفد نجران على رسول الله ﷺ وفيه جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل إستحباب ذلك ، بل وجوبه، إذا ظهرت مصلحة من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة» [زاد المعاد: ٣/ ٦٣].

وقد سار علماء الإسلام على منهج النبي ﷺ في مجادلة أهل الكتاب ومقارعتهم بالحجة والبيان، وممن قام بهذا الواجب علماء القرون الستة الذين تصدوا لهم وقاموا بواجبهم خير قيام وقد رأيت أن يكون موضوع دراستي لمرحلة الدكتوراه «جهود علماء الإسلام في الرد على النصارى في القرون الستة الهجرية الأولى» وذلك عرفانًا بالجميل الذي قاموا به ووفاءً لهم وإبرازًا لما قاموا به من جهود في نصرة الإسلام والدفاع عن حياضه في فترة كانت الأمة أحوج ما تكون لذلك، ناهيك عن كون ذلك من أقل حقوق علماء الأمة علينا، ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع للأسباب التالية.

أولاً:

أن الرد على المخالف ومقارعة المعارض بالبيان والحجة من منهج القرآن والسنة ومن أصول أهل السنة والجماعة، وعلماء القرون الستة الهجرية الأولى نقضوا دعاوىٰ النصارىٰ التي ما زال أحفادهم يرددونها إلى زماننا هذا، في جامعاتهم اللاهوتية التي أنشئت لهذا الغرض.

ثانيًا:

بيان أن التصدي للتيارات الوافدة والديانات المحرفة كالنصرانية مثلاً كان منهجًا سائدًا عند علماء الإسلام عبر العصور وعلى مر الدهور لا كما يظن كثير من الجهال وأميّي الفكر من أن هذه الشبهات والدعاوىٰ الباطلة هي وليدة هذا العصر، وأن من سبق من المسلمين لا يعلمون بها.

ثالثاً:

القيام بالواجب نحو هؤلاء العلماء الذين قاموا بالذود عن حياض الإسلام بأن تبرز جهودهم وتذكر ردودهم ومناهجهم لكي يُعرف لهم قدرُهم وفضلُهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن حزم رحمه الله: «وكذلك أبومحمد ابن حزم فيما صنفه من الملل والنحل إنما يستحمد موافقة أهل السنة والحديث» (الفتاوىٰ ٤/١٨)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن أبي الوليد

الباجي: «له في الإسلام مساعي مشكورة وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والإنتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفىٰ على من تكلم فيه بعلم وصدق وعدلٍ وإنصاف» (درء تعارض العقل والنقل ٢/ ١٠٢).

رابعًا:

الرغبة في المساهمة في الرد والمشاركة في رد هذا الباطل خصوصًا مع ما يشهده العالم المعاصر من نشاط تنصيري كبير شمل جميع وسائل الإعلام والأوطان فلعلها أن تكون مساهمة يسيرة تضاف إلى تلك الجهود.

خامسًا:

أن الواجب على المسلم المساهمة في دحض الباطل مهما كانت تصوراته وتوجهاته؛ لأن الواجب هو الذب عن حياض هذا الدين بأي وسيلة مشروعة كانت ولو كان عند صاحبها نقص في نفسه فهؤلاء العلماء على الرغم من اختلاف مشاربهم إلا أنهم قاموا بالواجب عليهم تجاه هذا الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأكثر المتكلمين يردون باطلاً بباطل، وبدعة ببدعة؛ لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر مسلمًا مبتدعًا» (الفتاوىٰ ١٣/ ٩٧).

وقال كذلك أيضًا: «وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل: الكلابية، والكرامية والأشعرية إنما قُبلوا واتُّبعوا واستُحمدوا

إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان، من إثبات الصانع وصفاته، وإثبات النبوة، والرد على الكفار والمشركين وأهل الكتاب، وبيان تناقض حججهم فحسناتهم نوعان: «إما موافقة أهل السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم. . .» (الفتاوىٰ ٤/ ١٢).

سادسًا:

بيان الأثر الذي تركه هؤلاء على من بعدهم وتأثيرهم على طلبة العلم في تأصيل الردود ودفع الشبه والمفتريات، خصوصًا وأنهم اشتهروا بالذكاء، وغزارة العلم، وقوة الحجة على المخالفين، وخصوصًا في مجال الجدل الذي برعوا فيه وألفوا فيه المؤلفات، ولاشك أن من كان هذا حاله فهو أهل للرد ومجادلة النصارىٰ ومن ثم الاستفادة منه والأخذ عنه.

لهذه الأسباب اخترت هذا الموضوع «جهود علماء المسلمين في الرد على النصارىٰ خلال القرون الستة الهجرية الأولىٰ» من أجل الحصول على درجة الدكتوراة من قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ.

والشكر والامتنان أسديهما إلى هذه الجامعة العريقة، معقل العلم والعلماء، والدعاة والفقهاء، أجزل الله الأجر والثواب للقائمين عليها، وجعل التوفيق والنجاح والتسديد حليفهم، وأخص بالذكر كلية الدعوة وأصول الدين وعميدها

الفاضل الدكتور عبدالله الدميجي، كما لا يفوتني أن أشكر قسم العقيدة والقائمين عليه، ويطيب لي أن أقدم الشكر الجزيل والعرفان العميم لأستاذنا المشرف على هذه الرسالة فضيلة الدكتور أحمد السايح، الأستاذ بقسم العقيدة في الكلية، الذي أفدت منه، وحلمه وصبره، أرجو الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين حسناته.

والشكر موصول أيضًا إلى المشرف السابق على هذه الرسالة د/عبدالعزيز المرشدي، كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور/ محمود مزروعة على قبوله أن يكون مقررًا لهذه الرسالة، ولجميع الإخوة الذين بذلوا جهدهم ونصحهم، أخص منهم د/ نايف المعيقل عميد كلية المعلمين بالجوف، والإخوة الزملاء: عبدالمحسن الصاعدي، وكمال الصريصري، وعبدالله باخضر، وأحمد العنزي، الذين تفضلوا وفتحوا صدورهم ودورهم، فلهم مني جزيل الشكر.

وكان عملي ومنهجي في البحث كالتالي:

بداية: قمت بأكثر من ست رحلات علميه إلى مصر والأردن، جمعت فيها كل ما تناهىٰ إلى مسامعي من كتبٍ تتحدث عن النصرانية، وقد حصلت على عددٍ كبير من المصادر والمراجع سواءً من كتب المسلمين أو النصارىٰ.

ومن أهم ما حصلت عليه أثناء بحثي وجمعي للمراجع: كتابٌ باللغة الألمانية، عنوانه: «ما كتب باللغة العربية من

هجومٍ ودفاع بين المسلمين والنصارىٰ واليهود» لمؤلفه: موريتس شتاين شنايدر، نشر عام ١٨٧٧م، لايبتش، ألمانيا، والناشر هو: جمعية الدراسات الشرقية الألمانية.

ترجمتُ منه ما يخص زمن الرسالة: حيث ذكر جمعًا من المخطوطات، وأماكن وجودها، حولت طاقتي وجهدي من خلال مراسلة هذه المكتبات عن طريق مواقعها على الإنترنت عن طريق مترجمٍ يجيد الألمانية والعربية، فلم أجد أيّ ردٍّ أو إجابةٍ من قبل هذه المكتبات، على عكس ما هو مشهورٌ عنها من حسن الاستقبال والاستجابة.

ومن ضمن ما أشار إليه هذا الكتاب كثيرًا من الكتب الموجودة معنا والتي هي أصلٌ في هذه الرسالة ككتاب الغزالي: «الرد الجميل»، وكتاب ابن حزم «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وغيرها.

ومما لا يفوت ذكره في هذا المقام: أنه قد انبرىٰ جملة من علماء الإسلام للذب عن حياضه، والذود عن حماه، والرد على أصحاب الديانات والفرق والأهواء، وقد جاء الرد كما رأيته على النصارىٰ خلال جمعي لما دق هذه الرسالة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

ما كان ضمن كتب التاريخ والتفسير والتراجم، مثل: تاريخ الطبري وغيره.

القسم الثاني:

ما كان ضمن كتب العقائد والأصول.

القسم الثالث:

ما كان مؤلفًا مستقلاً في الرد على دين النصارىٰ جملةً أو في مسألةٍ مستقلة، أو للرد على ما أورده النصارىٰ من شبهٍ عن دين الإسلام.

وقد كان نصيب أطروحتي هذه القسمين الأخيرين؛ أما القسم الأول فلم أتطرق له أو ألتفت إليه وذلك لطوله، ولعلّه أن يكون موضوع أطروحةٍ مستقلة بذاتها.

وقد استعنت بالله، وسلكت المنهج التالي:

١ ـ الاعتماد على مؤلفات علماء القرون الستة رحمهم الله في بيان جهودهم في الرد على النصارىٰ، إلا ما تعذر الحصول عليه منها وهو قليلٌ جدًا بفضل الله تعالى.

٢ ـ التنبية على القضايا التي خالف فيها علماء القرون الستة عقيدة السلف الصالح من خلال ردّهم على النصارىٰ.

٣ ـ جمع شتات ما قاله علماء القرون الستة في القضية الواحدة، وعرضه بعد ذلك معتمدًا من كلامهم على ما هو أقوى وأنسب لسياق الكلام، مع محاولة التنويع في نقل كلامهم هربًا من التطويل في النقل عن الواحد منهم، إذ قد يطيل أحدهم في قضيةٍ ويوجز فيها آخر، لذلك لم أعتمد تاريخ الوفاة في عرض الردود.

٤ ـ تعضيد ما يقوله علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ بأقوال بعض الكتاب النصارىٰ إذا توفر ذلك، أو بأقوال غيرهم من العلماء، ووضع ذلك في هامش الصفحات.

٥ ـ تقديم تمهيد موجز في بداية كل باب، للتعريف بأبرز العلماء الذين لهم جهود فيه.

٦ ـ حرصت على عدم إيراد الكلام المنطقي الفلسفي في البحث، والذي يحوي مقدماتٍ ونتائج يطول عرضها، مما يحتم نقل ذلك كاملاً، واكتفيت بذكر ذلك مختصرًا أو الاكتفاء بالنتيجة مع الإشارة البسيطة للمقدمات.

٧ ـ إبراز الردود الواضحة الميسورة مما يبرز دور علماء القرون الستة في ذلك، ويخدم المسلم في رده على النصارىٰ خصوصًا مع ما تعيشة الأمة الإسلامية اليوم من هجمةٍ شرسة على الإسلام والمسلمين.

٨ ـ عدم التطويل في الحواشي ما أمكن إلا فيما يخدم القضية المتكلم عنها في هذا الموضوع.

٩ـ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في سور القرآن الكريم بذكر رقم الآية واسم السورة.

١٠ ـ عزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى مواضعها في كتب السنة الشريفة.

١١ ـ ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة عدا المشاهير من الصحابة والأنبياء وغيرهم، فقد اكتفيت

بشهرتهم، وتكون الترجمة له للمرة الأولى، وعندما يتكرر أشير إلى سبق الترجمة دون ذكر رقم الصفحة لوجود الأسماء في فهرس التراجم.

أما بالنسبة لعلماء القرون الستة، فقد ترجمت لبعضهم ترجمة مختصرة في بداية الرسالة، ثم بدا لي أن أفردهم بتراجم مفصلة لهم، فأفردت لهم ملحقًا بالتراجم.

١٢ ـ قمت بتعريف الأديان والطوائف والفرق التي ورد ذكرها في الرسالة بشكل موجز.

١٣ ـ شرحت المفردات الغريبة الواردة في ثنايا الرسالة بشكل موجز.

١٤ ـ كتبت خاتمة موجزة تضمنت أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث.

١٥ ـ وضعت الفهارس العلمية التي توضح مضمون الرسالة بيسر وسهولة، وتشمل:

أ ـ فهرس الآيات مرتبًا حسب ترتيب سور القرآن.

ب ـ فهرس الأحاديث النبوية مرتبًا حسب الحروف الهجائية في طرف النص.

ج ـ فهرس نصوص الكتاب المقدس مرتبًا حسب الحروف الهجائية للنص.

د ـ فهرس الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة مرتبًا حسب الحروف الهجائية.

هـ ـ فهرس للأماكن والبلدان التي ورد ذكرها مرتبًا حسب الحروف الهجائية.

و ـ فهرس الأديان والفرق والطوائف مرتبًا حسب الحروف الهجائية.

ز ـ فهرس الموضوعات.

أما الخطة التي وضعتها للبحث فقد اشتملت على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، جاءت كالتالي:

المقدمة وتشتمل على: أسباب ودوافع اختيار الموضوع، وأهميته العلمية، وبيان المنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث.

التمهيد: في بيان مناهج العلماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الأولى من الهجرة، والإشارة إلى منهج القرآن والسنة في الرد على النصارى.

الباب الأول:

جهود علماء المسلمين في الرد على عقيدة النصارى في الألوهية، ويشمل:

تمهيد: في ذكر العلماء الذين لهم جهود في هذا الباب.

الفصل الأول: جهود علماء المسلمين في رد دعوى التثليث

الفصل الثاني: جهود علماء المسلمين في رد قول

النصارى بالأب.

الفصل الثالث: جهود علماء المسلمين في رد قول النصارى بالابن.

الفصل الرابع: جهود علماء المسلمين في رد قول النصاى بالروح القدس.

الباب الثاني:

في جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في اعتقادهم بالأنبياء عليهم السلام ويشمل:

تمهيد: في ذكر العلماء الذين لهم جهود في هذا الباب.

الفصل الأول: في جهودهم في الرد على اعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في ردهم عليهم في دعوى صلب المسيح عليه السلام وقتله.

المبحث الثاني: في ردهم عليهم في دعوى الفداء.

الفصل الثاني: في جهود علماء المسلمين في بيان موقف النصارى من نبينا محمد ﷺ وما جاء به، وفيه مباحث:

المبحث الأول: في جهودهم في الرد على إنكارهم لنبوته عليه الصلاة والسلام من كتب النصارى.

المبحث الثاني: في جهودهم في بيان موقف النصارى من معجزاته عليه الصلاة والسلام والرد عليهم في ذلك.

المبحث الثالث: في جهود علماء الإسلام في رد دعوى

النصارى انتشار الإسلام بالسيف.

المبحث الرابع: في جهود علماء الإسلام في دحض مفتريات النصارى حول الجنة ونعيمها.

الباب الثالث:

في جهود علماء المسلمين في نقد مصادر التشريع النصراني، ويشمل:

تمهيد: في ذكر علماء المسلمين الذين لهم جهود في هذا الباب.

الفصل الأول: جهود علماء المسلمين في نقض كتب النصارى المقدسة لديهم، وفيه مباحث:

المبحث الأول: في جهود العلماء المسلمين في بيان تحريف التوراة والإنجيل.

المبحث الثاني: بيان جهل النصارى بكُتَّاب الأناجيل ومترجميها، وانقطاع السند إليهم.

المبحث الثالث: إيراد الاختلافات والتناقضات الواردة في الأناجيل مما يمنع دعوى الوحي والإلهام من الله عز وجل.

الفصل الثاني: في جهود بعض علماء المسلمين في نقدهم للمجامع النصرانية.

الخاتمة وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات.

ثانيًا: فهرس الأحاديث.

ثالثًا: فهرس نصوص الكتاب المقدس.

رابعًا: فهرس المصطلحات.

خامسًا: فهرس الفرق والطوائف.

سادسًا: فهرس الأماكن.

سابعًا: فهرس الأعلام.

ثامنًا: فهرس الكتب.

تاسعًا: فهرس الموضوعات.

الباحث

بدر بن محمد طراد المعيقل

التمهيد

القسم الأول: منهج القرآن والسنة في الرد على النصارىٰ

أولاً: منهج القرآن:

لقد اعتمد القرآن الكريم ـ الذي هو كلام رب العالمين ـ منهجًا غايةً في الحجة والبرهان والإيضاح والبيان، واعتمد هذا المنهج التركيز على عدة قضايا لمناقشة النصارىٰ والرد عليهم والحوار معهم، ويتمثل هذا المنهج بالآتي:

أولاً: ذكر القصص للأمم السابقة لأخذ العبرة والعظة:

حيث ذكر القرآن الكريم كثيرًا من قصص الأمم الخالية، وأغلب ما ذكر في القرآن من قصص إنما هي للأنبياء عليهم السلام وأغلب هذه القصص أيضًا وردت لمحاورة أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، وسأذكر مثالاً على ذلك من قصة إبراهيم الخليل عليه السلام التي وردت في كتاب الله تعالى، حيث بدأت آيات هذه القصة بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1]، وجاءت قصة إبراهيم عليه السلام بعد قوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ . . . ﴾[2]، ثم تبعها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

ولاشك أن الله تعالى بين من خلال هذه القصة أن إبراهيم عليه السلام الذي يتشرف أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ بالنسبة إليه إنما كان على الإسلام والتوحيد(١).

لذا فالقصة منهج قرآني لجدل أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾(٢).

ثانيًا: اعتماد القرآن الكريم منهج التذكير والوعظ:

أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾(٣)؛ لذا فإن القرآن الكريم يذكرهم بنعم الله عليهم، والتي من الواجب أن تقابل بالشكر والإيمان لا بالكفر والجحود، ومن ثم الرجوع إلى الحق، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾(٤).

ويذكرهم بيوم القيامة وما فيه من عقاب وعذاب كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (١/ ١١٧) بتصرف.

(٢) سورة النمل، الآية: ٧٦، ٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٠ـ ٤١.

وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

ثالثًا: استخدام أسلوب التحدي والمباهلة لإظهار الحق ودحض الباطل.

فلقد تحدى الله أهل الأرض جميعًا بمن فيهم اليهود والنصارىٰ بقوله سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2].

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بمباهلة ـ وهي نوع من التحدي ـ نصارىٰ نجران لما جاءوا النبي ﷺ[3]، وذلك بقوله جل وعلا: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢ـ ٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣ـ ٢٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/ ١٦٦).

ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(١).

رابعًا: بيان القرآن الكريم انعدام الدليل والبرهان على مايدّعونه:

حيث يطالبهم الله جل وعلا ببيان دليلهم وبرهانهم على مايدعون، ويبين كذلك أن حجتهم في ذلك لا تعدوا كونها ظنًا وتخرصًا، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾(٢).

خامسًا: توضيح الخلل في دينهم من خلال نصوص كتبهم:

حيث يرد القرآن على أهل الكتاب من خلال ما يثبتونه ويعتقدونه في كتبهم، فأخبر جل وعلا عن ذِكْرِ مُحَمّدٍ ﷺ في كتبهم وحثهم على الإيمان به كما قال تعالى: ﴿۞وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١ـ ٦٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧ـ ١٥٨.

عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١).

سادسًا: بيان ما وقع في كتبهم من التحريف:

حيث يبين القرآن الكريم ما لحق بكتبهم من تحريف وتبديل من أجل ثمنٍ قليل، وبسبب العصيان والعناد، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾(٢).

سابعًا: استخدام الدليل العقلي في الرد غليهم:

إذ يناقشهم القرآن مناقشةً عقلية يثبت من خلالها بطلان ما يدّعون، مثل بيان امتناع نسبة الولد لله عقلاً كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾(٣).

ومثل ردّه عليهم في زعمهم أن عيسىٰ دعا إلى نفسه، فبين الله استحالة ذلك، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦ـ ١٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١١٦ـ١١٧.

ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾(١).

ثامناً: بيان أنهم يتبعون أهواءهم ويسيرون خلف شهواتهم:

فأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ لا يحكمهم دليل ولا يضبطهم برهان، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾(٢)، وكما قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾(٣)(٤).

ثانيًا: منهج السنة:

أما السنة: فقد هدفت إلى دعوتهم إلى الإسلام وإقامة الحجة عليهم وبيان محاسن الإسلام وفضائله، وهذا أسمى الأهداف وأجلها، حيث أنه دعوة الرسل، فكذلك ما ثبت من سنته ﷺ حيث أرسل رسول الله ﷺ الكتب إلى ملوك أهل الأرض، ومنهم أهل الكتاب، تلبية لأمر الله تعالى يدعوهم إلى الإسلام، أذكر بعضًا منها:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩ـ ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٤) وينظر لذلك: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارىٰ ـ دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية ـ، تأليف: عبدالراضي بن محمد عبدالمحسن، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة ، وكذلك: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة لـ: خالد بن عبدالله القاسم، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ.

أولاً: رسالته ﷺ إلى هرقل وهي: «من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1]»[2].

ثانيًا: من تأمل حوارات النبي ﷺ وأصحابه وجد أن غايتها هذا الهدف الأسمى، ومن ذلك أنه لما سمع بعض نصارى الحبشة بمبعث النبي ﷺ قدموا إلى مكة ـ وكان ذلك قبل الهجرة ـ وكانوا عشرين رجلاً فأتوا النبي ﷺ فوجدوه عند البيت الحرام، فجلسوا إليه وكلموه، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، وعندما أسلموا[3] أنزل الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) صحيح البخاري: ٦/١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢٨ـ٢٩.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[1].

ثالثًا: المباهلة: حيث حاج النبي ﷺ نصارى نجران ويهود المدينة، وأظهر باطلهم ودعا نصارى نجران إلى المباهلة عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[2]. فلما دعاهم إلى المباهلة امتنعوا خوفًا من عذاب الله، فأظهر الله كذب ما يدعونه في عيسى عليه السلام[3].

رابعًا: وعندما هاجر الصحابة إلى الحبشة تحاوروا مع النجاشي، وقرأ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه صدرًا من سورة مريم فأسلم النجاشي[4] ومات على الإسلام سنة تسع، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب[5]، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أتى إليه عبدالله بن سلام وحاور النبي ﷺ فأسلم رضي الله عنه[6].

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٨٢ـ٨٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩ـ٦١.
(٣) صحيح البخاري ٥/ ١٢٠.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ١/ ٢٩٠، الآجري، الشريعة ٤٤٩ـ٤٥١.
(٥) صحيح البخاري ٤/ ٢٦٤.
(٦) صحيح البخاري ٤/ ٢٦٨.

القسم الثاني

منهج علماء المسلمين في الرد على النصارىٰ خلال القرون الستة

من المؤكد أن الله سبحانه وتعالىٰ أرسل رسوله عيسىٰ عليه السلام إلى بني إسرائيل وأنزل معه كتاب الإنجيل ليعبدوا الله سبحانه وتعالىٰ على بصيرة، ولكن اليهود المعروفين بعداء الأنبياء وقتالهم، والمشهورين بحسدهم وعنادهم قاموا بمحاربته حتى رفعه الله، وحاربوا دينه وطاردوا تلاميذه وأبعدوهم عن الناس كي لا يتأثروا بهم وأصبحت الدعوة إلى دين عيسىٰ عليه السلام في الخفاء على يد أناس قليلين ثم ظهر بولس الذي كان يهوديًا فادعىٰ دخوله في ديانة عيسىٰ وأدخل فيها ما ليس منها ودعا الناس إلى هذا الدين المشوه، وظل كذلك حتى تبنته الامبراطورية الرومانية التي أخذت هذا الدين البولسي الذي لا يمت إلى دين عيسىٰ عليه السلام بصِلَةٍ، ثم أضيف على ما ابتدعه بولس من البدع ما جاء من خلال المجامع الكنسية مما جعل هذا الدين مختلف عن الدين الذي نزل على عيسىٰ عليه السلام.

ولأجل ذلك قام علماء المسلمين بواجبهم من بيان الحق ودحض الباطل وكشف زيفه مع الدقة في التعامل مع النصوص والأشخاص، فهذا الدين الذي أنزله الله على نبيه محمد نزل من عندالله سواء نزل على محمد عليه السلام أو

نزل على عيسىٰ عليه السلام؛ ولأجل ذلك كان تعامل العلماء في الرد على النصارى ببيان أن ما جاء به محمد ﷺ حق وأن ما خالفه مما لديهم باطل، وأن ما بقي من هذا الدين بدون تحريف يرد على هذا الباطل، فكتابهم متناقض مع نفسه ومتناقض مع الحق الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ.

وقد قام علماء المسلمين بالرد على النصارىٰ لبيان باطلهم والرد على أقوالهم، وقد حاولت أن المنهج الذي انتهجوه في الرد على النصارىٰ والذي تبين لي فيما يلي:

١ـ الاستدلال بالقرآن والسنة.
٢ـ الاعتماد على الأدلة العقلية.
٣ـ الرجوع إلى كتبهم.
٤ـ رد أقوال النصارىٰ بعضها ببعض.
٥ـ الرجوع إلى اللغة.
٦ـ الاعتماد على التاريخ.

١ـ الاستدلال بالقرآن والسنة

إن الاستدلال بالقرآن والسنة عند علماء المسلمين في الرد على النصارىٰ من الأمور المهمة التي اعتمدوا عليها في الرد على التحريفات والضلالات التي قال بها النصارىٰ لما للقرآن والسنة من المكانة العالية وحفظهما من التبديل

والتحريف، وقد استخدم علماء المسلمين نصوص القرآن والسنة بعدة استخدامات منها:

أ ـ الاستدلال على ما يخالف عقيدة النصارىٰ:

فهم عند ردهم على النصارىٰ يثبتون أن هذه العقيدة التي قالوا بها تخالف ما جاء به القرآن والسنة، فالقرآن ذكر العقائد التي قالوا بها، كعقيدة التثليث، وبنوة عيسىٰ، وألوهية عيسىٰ، وقولهم في أنبيائهم، وقولهم في النبي محمد ﷺ.

فالقرآن ذكرها وبين فسادها ومخالفتها للفطر والعقول السليمة فعلماء المسلمين يذكرون هذه العقائد كما ذكرها القرآن وبينوا لهم أن ما قالوه رد الله سبحانه وتعالى عليه وبين الحق فيه.

وقد بين العلماء تعرض القرآن لبيان عقيدتهم المخالفة وذلك بذكره فساد قولهم وبيان إنكار العقول لقولهم وكذلك بيان الحق في المسألة، وكذلك بيان العقيدة السليمة التي يجب أن يعتقدوها.

يقول أبوالوليد الباجي ـ رحمه الله ـ في رده على زعم النصارىٰ بنوة المسيح لله: «إن ملك الله تعالى أعظمُ من أن يحيطَ به فهمُ إنسان، أو تُستوعَبُ صفاتُه بكلامٍ أو بيان، فمِن عظمتِه تعالى وقدرتِه وعزته، انفرادُه عن الإشراك والأنداد، واستغناؤه عن الصاحبة والأولاد ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ

مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾[١].

تفرد بالخلق والإنشاء وكَشْف الغَمّ والبلوىٰ وبعث النبيين مبشرين ومنذرين، فأخبروا عن ربنا بعظيم قدرته، وعلو كلمته، وتمام مشيئته، وبينوا شرائعه، وأوضحوا براهينه وأمره، كل ذلك بالكلام المبين، والمنهج القويم، والأدلة التي تضطر من تأمّلها إلى الحق، وتُنكِّب من خالفها إلى الشرك، ولولا الكلام ما عرف الجائز من المحال، ولا تبيّن الهدىٰ من الضلال»[٢].

من ذلك أيضًا ردّ الجاحظ على النصارىٰ في زعمهم أنهم أبناء الله وكذلك على اليهود أيضًا حيث يقول: «أخبر الله تعالى عن اليهود والنصارىٰ القائلين: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[٣]، وأنه تعالىٰ إنما ذكر ذلك في معرض الذم لهم، ولو علم الله تعالى أنه قد كان فيما أنزل من كتبه على بني إسرائيل: «إن أباكم كان بكري، وأنكم أبناء بكري».

لما غضب الله سبحانه من قولهم نحن أبناء الله»[٤].

ب ـ بيان الأدلة العقلية التي ذكرها القرآن والسنة في الرد عليهم فالله سبحانه وتعالىٰ أقام الحجة بكتابه ونبيه محمد

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٢) رسالة أبي الوليد الباجي في الرد على راهب فرنسا (٦٧، ٦٨).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٤) المختار في الرد على النصارىٰ (٤٦).

ﷺ فقام العلماء بنقل هذه الأدلة والرد على النصارىٰ من خلالها.

فمثلاً عقيدة بنوة عيسىٰ عليه السلام، وذلك لأنه ولد من غير أب، رد الله ذلك بأنه خلق آدم من غير أب وأم، ومع ذلك لم يسموه ابن الله، وكذلك عقيدة التثليث إذ لايمكن أن يكون الثلاثة واحدًا والواحد ثلاثة: وغير ذلك من الأدلة.

من هذه الاستدلالات بالأدلة القرآنية المتضمنة للاستدلال العقلي: ما ذكره أبوعبيدة الخزرجي في ردّ زعمهم بنوة المسيح لله تعالى لكونه مولودًا من غير أب حيث يقول: «لقد دعا سيد المرسلين محمدٌ ﷺ أربابكم إلى المباهلة حين أنزل الله عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1]».

ومثله أيضًا ما ذكره أبوالوليد الباجي في الفقرة السابقة، ويضيف عليه أبوعبيدة أيضًا قوله: «وكتبتم في الإنجيل الذي بأيديكم: أن الرب صعد فصار عن يمين الرب في أثر الصليب»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩ـ ٦١.

(٢) إنجيل مرقس ١٦: ١٩.

خبرني أيها المخدوع عن هذين الرّبّين، من خلق منهما صاحبه؟ فالمخلوق منهم ضعيف عاجز ليس بإله، وإذا أراد أمرًا لمن الحكم منهما؟ فإن كان أحدهما مضطرًا إلى مشاورة الآخر ومساعدته، كان المضطر عاجزًا مقهورًا، ولم يكن إلهًا قادرًا، وإن كان قادرًا على موافقته ومخالفته، فهو إذًا إله مداهن، ويكون الآخر ضعيفًا عاجزًا مقدورًا عليه، أما تعلم أيها المغرور أنه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾[2]»[3].

ج ـ الرد على شبههم التي استدلوا بها على عقائدهم من القرآن فالنصارىٰ حاولوا أن يثبتوا عقائدهم من الكتاب والسنة كذكر الله سبحانه وتعالىٰ بأنه روح منه واستدلالهم على التثليث من خلال بسم الله الرحمن الرحيم ووضحوا عقم استدلالهم وبينوا أن هذا مردود من كل وجه.

فيردّ القاضي عبدالجبار مثلاً ـ على زعم النصارىٰ أن القول بالتثليث ـ الأب، الابن، الروح القدس، هو كقول المسلمين بسم الله الرحمن الرحيم فيقول: «وهذا غلطٌ من النصارىٰ وليس قول النصارىٰ في التوحيد من قول المسلمين

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٣) مقامع هامات الصلبان (١٧٨، ١٧٩).

بسبيل، وإنما يقول هذا من يروم المغالطة والفرار من فحش المقالة، لأن الله عند المسلمين هو الرحمن الرحيم، وهي ذات واحدة لها صفاتٌ كثيرة وأسماء كثيرة، وعند النصارىٰ أن الواحد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الأب الوالد ابنًا مولودًا، ولا الابن المولود أبًا والدًا، وكذا الروح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارىٰ»(١).

ومثله أيضًا الرد عليهم في زعمهم أن القرآن الكريم يدل على القول ببنوة المسيح من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾(٢).

يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ في ردّ هذا الاستدلال وبيان أنه عليهم لا لهم وليس كما فهموه أو أوّلوه: «ويستدل على إلهية عيسىٰ عليه السلام بما ورد في الكتاب العزيز من الآية السابقة فأحببت أن أكشف غطاء هذه الشبهة ليكون الناظر في هذا النص آمنًا من الشبهات المضللة».

ثم ذكر كلامًا طويلاً في ذلك إلى أن قال: «. . . وأنه تعالى إنما كوّن الكلمة التي هي «كن» من غير «منيّ» ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ يريد

(١) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار (١/ ٩٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

أن الولد إنما يتكون من إلقاء المنيّ إلى أمه وهذا المولود لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلى أمه التي هي عبارة عن الأمر بالتكوين. . . . »[١] إلى آخر كلامه الطويل.

ومثل ما ذكره الجاحظ أيضًا في رد استدلال النصارىٰ بالآية آنفة الذكر[٢].

٢ـ الرجوع إلى كتبهم:

وقد تم ذلك لأمور:

أ ـ الرجوع إلى أقوالهم والتثبت منها، وذكر أدلتهم من كتبهم للأمانة في النقل وعدم نسبة قول ليس إليهم.

وقد حرص علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولى على النقل المباشر من كتبهم أمانةً منهم في عدم نسبة ماليس من عقائدهم لهم، وخصوصًا أن بعض علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ هم من المهتدين إلى دين الإسلام بعد أن كانوا نصارىٰ، مثل الحسن بن أيوب المهتدي، والمهتدي علي بن ربن الطبري، والمهتدي نصر بن يحيىٰ المتطبب، وهذا منهجٌ واضحٌ وجليٌ لعلماء الإسلام، إذ الرسالة مليئةٌ بالنقل عن الكتاب المقدس في جميع أبوابها وفصولها.

ب ـ بيان تناقض كتبهم، وهذا يبين أن هذا الكتاب ـ الكتاب المقدس ـ محرف ففي مكان يثبت وفي آخر ينفي،

---

(١) الرد الجميل للغزالي (١٦٥ـ ١٧١).

(٢) ينظر: المختار في الرد على النصارىٰ (١٢٤).

وقد ذكر علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ كثيرًا من الأمثلة التي تبيّن التناقض، والباب الثالث يحوي كمًّا كبيرًا مما حشده علماء الإسلام في بيان ذلك.

ج ـ وهو الاستدلال على نقيض ما يقولون به من الأدلة على عقائدهم، فما يستدل به على التثليث من كتبهم هناك من آياتهم ما يناقض هذا، ولأجل ذلك يستدل بكتبهم على نقيض عقائدهم.

ولهذا المنهج وهو: الاستدلال من كتبهم على نقيض عقائدهم أمثلة عديدة ذكرها علماء الإسلام من أمثلتها:

قول القاضي عبدالجبار في ردّ قضية التثليث: «بل إن الإنجيل الذي بين يدي النصارىٰ يكذب ذلك، حيث جاء فيه: «وسأله «يسوع» أحد الوجهاء: أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فأجابه يسوع: لماذا تدعوني صالحًا، لا صالح إلا الله وحده»[(١)]»[(٢)].

ومنه قول أبوعبيدة الخزرجي في ردّه على قضية التثليث أيضًا: «فعلىٰ فرض صحة ذلك فإن «الأب» عندهم والذي هو الله تعالى وتقدس عن صفات العيب والنقص، فإنه ملعون ـ عياذًا بالله ـ لأنه قال في التوارة: «وإذا وجدتم على أحدٍ جريمة تستوجب القتل فقتل وعلق على خشبة فلا تتركوا جثته

(١) لوقا ١٨: ١٨ـ ١٩.

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٨٢).

على الخشبة إلى اليوم الثاني، بل في ذلك اليوم تدفِنونه؛ لأن المعَلَّق ملعونٌ من الله، فلا تنجسوا أرضكم التي أعطاكم الرب إلهكم ملكًا لكم»(١).

ولقد جعلتموه سفيهًا ـ عياذًا بالله من الضلال ـ حين وصفتموه بهذا الأمر وهو قادرٌ عليه نستعيذ بالله من شر هذا الإلحاد الذي شرعتموه، ونستهديه سبل الرشاد الذي حرمتموه، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا»(٢).

ومثله أيضًا ما ذكره الحسن بن أيوب المهتدي من الرد على ادعاء النصارىٰ بنوة المسيح لمجرد بعض خوارق العادات التي فعلها المسيح عليه السلام، فيقول رادًا عليهم هذا الزعم من كتابهم: «يجب عليكم معشر النصارىٰ أن تنظروا إلى كل من فعل مثل هذه الأمور فتجعلونه ربًا وإلهًا، فإن كتاب سفر الملوك يتضمن: «إن إلياس أحيا ابن الأرملة، واليسع أحيا ابن الإسرائيليين، وأن حزقيال أحيا خلقًا كثيرًا»(٣).

ولم يكن أحدٌ من هؤلاء بإحيائه الموتىٰ إلهًا»(٤).

ومثله أيضًا ما قاله نصر بن يحيىٰ المتطبب في بيانه أن

---

(١) سفر التثنية ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٢) مقامع هامات الصلبان (١٥٣).

(٣) سفر الملوك ١٨: ١٧ـ ٢٤.

(٤) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٠، ١٢١).

المسيح عليه السلام لم يدّعِ الألوهية بل إن الإنجيل يثبت أنه عليه السلام رجلٌ كسائر الرجال حيث يقول: «وقال المسيح في الرجل الذي أقامه من الموتىٰ: «يا أبي أشكرك على إجابتك دعواي وأعترف لك بذلك»[١].

فأي تضرع، وأي إقرارٍ بالرسالة والطلب للإجابة من الله أشدّ من هذا»[٢].

د ـ الاستدلال على نبوة محمد ﷺ وذلك بإيراد أوصافه التي ذكرت في كتبهم والتي لا تصدق إلا عليه.

فلقد سبر علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ كتب النصارىٰ المقدسة وأبرزوا الدلالات الواضحة والبشارات المتوافرة، وأوصافه المشهورة، الدالة على صدق نبوته ﷺ، وهي كثيرة متوافرة، قد أفردت لها مبحث خاصٌ بها، من أمثلة ذلك:

ما ذكره نصر بن يحيىٰ المتطبب حيث قال: «وفي التوراة: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران، ومعه جماعة من الصالحين»[٣].

فمجيئه من جبل سيناء: أن الله أنزل فيه التوراة، وكلم موسىٰ، وإشراقه من جبل سعير: أن دين عيسىٰ بن مريم إنما

---

(١) يوحنا بمعناه ١٤: ١٠ـ ١٣، ٣١.

(٢) النصيحة الإيمانية (١١٠، ١١١).

(٣) سفر التثنية ٣٣: ٢.

أشرق من جبال سعير وهي جبال الروم، واستعلاؤه من جبال فاران: أن الله بعث محمدًا ﷺ منها، وأوحىٰ إليه فيها، ولا اختلاف أن فاران مكة، فقد قال في التوراة: «أن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران»[(١)]»[(٢)].

ومثل ذلك ماذكره قبله علي بن ربن الطبري حيث قال: «وفي صحف أشعيا النبي يقول: «أي الله، قل لي: قم ناظرًا فانظر، فما ترىٰ؟ قلت: أرىٰ راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها النخرة»[(٣)].

فصاحب الجمل هو محمدٌ ﷺ، وصاحب الحمار باتفاقٍ منا ومنكم هو عيسىٰ بن مريم عليه السلام، أو ليس محمدٌ ﷺ بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار؟

وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل وهدمت أوثانها بالنبي محمدٍ ﷺ وأمته، لا بعيسىٰ ولا بغيره، فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من قوم إبراهيم عليه السلام إلى زمان محمد ﷺ وأمته»[(٤)].

ويذكر أيضًا أبوعبيدة الخزرجي تصريحًا مباشرًا بنبوة

---

(١) سفر التكوين ٢١ : ٢١.

(٢) النصيحة الإيمانية (١٤٧).

(٣) أشيعاء ٢١ : ٦.

(٤) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (١٤٩، ١٥٠).

محمدٍ ﷺ في نبوة أشعياء، حيث قال في أوصاف النبي محمد ﷺ: «عبدي الذي سُرَّت به نفسي أنزل عليه وحيي فيظهر في الأمم عدلي... لايسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، ويسمع الأذان الصم، ويحيي القلوب الغلق، وما أعطيه لا أعطيه أحدًا غيره، أحمد يحمده الله حمدًا حثيثًا يأتي من أقصىٰ الأرض، تفرح البرية وساكنيها، يهلّلون لله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية....»[1]. فاعتبر هذا التصريح ففيه كفاية...»[2].

٣ـ الاعتماد على التاريخ:

وقد تم الاعتماد على التاريخ لأمور:

أ ـ بيان تحريف كتابهم وذلك لبعد كتابته عن وقت إرسال الرسول وذلك من خلال ذكر بعض الأحداث التي لا يمكن أن تكون حدثت وقت إرسال الرسول، فهم يبينون من خلال التاريخ انقطاع السند في كتابة الكتاب المقدس.

ب ـ رد بعض القضايا المخالفة في الكتاب المقدس من خلال التاريخ.

ج ـ إرجاع بعض العقائد إلى أصولها سواء كانت وثنية أو غيرها ونسبتها إلى قائليها.

وكل هذه الأقسام الثلاثة المندرجة تحت قضية الاعتماد

---

(١) أشيعاء ٤٢: ١ـ ٧.

(٢) مقامع هامات الصلبان (٢٢٥، ٢٢٦).

على التاريخ واضحة جلية في الباب الثالث من الرسالة.

٤ـ اللغة:

وقد استخدم علماء المسلمين في الرد على النصارىٰ اللغة، وكان استخدامهم للغة من طريقين:

أ ـ اللغة التي كتب بها الكتاب المقدس وبيان فساد اعتقادهم من خلال اللغة التي كتب بها هذا الكتاب وقد استخدمت هذه اللغة لهدفين:

١ـ لفساد عقيدتهم والرد عليهم.

ولبيان استخدام علماء المسلمين للغة القوم في التدليل علىٰ فساد عقيدتهم والرد عليهم.

يقول القاضي عبدالجبار مثلاً في الرد عليهم في مسألة التثليث، وزعمهم أن عيسىٰ عليه السلام قال: «سيروا في البلاد وعمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس»[(١)].

«ليس المسيح أول من كذب عليه...»[(٢)].

ويقول نصر بن يحيىٰ المتطبب حول النص ذاته: «يجوز أن يكون المسيح ذهب فيه إلى ماهو أعلم به، فكيف حكمتم إلى أنه ذهب إلى هذه الأسماء لما أضافها إلى الله تعالىٰ وصارت إلهية، وجعلتم له أسماء، وهي الأقانيم الثلاثة، وقد عبرتم في لغتكم أن الأقنوم: الشخص، فكيف استخرجتم ما

---

(١) متىٰ ٢٨: ١٩.

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١١٤).

أشركتموه بالباري ـ تعالىٰ ذكره عما تصفون ـ بالتأويل الذي لا يصح»[١].

ومثل قول الشهرستاني في ردّ قول النصارىٰ بالأب، حيث قال: «وأطلقوا لفظ الأبوة على الله عزوجل وعلى المسيح لما وجدوا في الإنجيل حيث قال: «إنك أنت الابن الوحيد»[٢].

ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا: أبناء الدنيا، ولطلاب الآخرة: أبناء الآخرة»[٣].

٢ـ بيان نبوة محمد ﷺ:

ومن أمثلة استخدامهم لغة النصارىٰ لبيان نبوة محمد ﷺ مثل إشارة نصر بن يحيىٰ المتطبب إلى معاني الكلمات التي جاءت في سفر التثنية: «جاء الرب من سينا، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران»[٤].

حيث بين ـ رحمه الله ـ: «أن مجيئه من سيناء أن الله أنزل فيها التوراة، وكلم موسىٰ، وإشراقه من جبل سعير: أن دين عيسىٰ بن مريم إنما أشرق من جبال سعير وهي جبال الروم، واستعلاؤه من جبال فاران: أن الله بعث محمدًا ﷺ

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية (١٢٥، ١٢٦).

(٢) رسالة يوحنا الأولىٰ ٣: ١٨، ٤: ٩.

(٣) الملل والنحل (٢٢٢).

(٤) سفر التثنية ٣٣: ٢.

منها، وأوحىٰ إليه فيها، ولا اختلاف أن فاران مكة»[١].

ومثله ما ذكره أبوعبيدة الخزرجي بقوله: «وفي الزبور: «أن الله أظهر من صهيون إكليلاً محمودًا»[٢]، فالإكليل ضرب مثلٍ للرياسة، ومحمود هو محمد ﷺ»[٣].

وهذا كثيرٌ متوافرٌ عند علماء القرون الستة الهجرية الأولى، خصوصًا في مسألة إثبات نبوة محمد ﷺ من كتب النصارىٰ.

ب ـ استخدامهم اللغة العربية، وقد استخدموها لهدفين:

١ـ للرد على عقائدهم وبيان أن النصوص التي يستدلون بها لها معاني تخالف ما يقولونه؛ لأن المعنىٰ الذي يقولون في اللغة العربية لا يقبل اللفظ المذكور بل يرفضه.

ومما يوضح منهج علماء القرون الستة في استخدامهم اللغة العربية لبيان بطلان المعنىٰ الذي يدعيه النصارىٰ، وأنه ليس كما يدعون:

مثال ذلك: ما ذكره الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ من خلال إطلاق صفة العبودية لله على المسيح في كتب النصارىٰ يقول ـ رحمه الله ـ: «وقال أشعيا عن المسيح في نبوءته عن

(١) النصيحة الإيمانية (١٤٧).

(٢) يقارن مع مزمور ١٣٢: ١٨، ومزمور ١٣٣: ١ـ ٣.

(٣) مقامع هامات الصلبان (٢١٩).

الله عزوجل: هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت نفسي إليه، أنا واضع روحي عليه، ويدعو الأمم إلى الحق»[١]، فما يحتاج إلى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجة لكم، وقد أوضح لله أمره وسماه عبدًا، وأعلم أنه يضع روحه عليه، ويؤيده بها كما أن سائر الأشياء بالروح...»[٢].

ومثال آخر على رد مسألة التثليث يقول القاضي عبدالجبار: «إن القول بالتثليث هو القول بثلاثة آلهة، وما مثال ذلك: إلا كمن قال: عبدالله العربي رجل وإنسان وجسم وشخص، وخالد الفارسي رجل وإنسان وجسم وشخص، وزيد الرومي رجل وإنسان وجسم وشخص، قلنا: فهؤلاء ثلاثة رجال وثلاثة أناس، وثلاثة أشخاص، وثلاثة أجسام، فقلتم: لا بل هو رجلٌ واحد، قلنا: لا يؤثر امتناعكم من إطلاق هذه العبارة في شيء قد أشيعت حقيقة...»[٣].

٢ـ استخدامهم للغة العربية للرد على استدلالهم على عقائدهم من نصوص الكتاب والسنة وذلك بإطلاق الشبه وبيان أن معاني الألفاظ في القرآن ليست كما يدعون.

ومما يدل على هذا المنهج الذي هو استدلالهم

---

(١) أشعيا ٤٣ : ١.

(٢) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٣٢، ١٣٣).

(٣) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٩٥).

«النصارىٰ» على عقائدهم من نصوص الكتاب وبيان أن هذا الاستدلال استدلالٌ باطل وليس هو كما يدّعون، قول الجاحظ في رده على استدلال النصارىٰ على بنوة المسيح بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟﴾(١).

قلنا لهم: «إنكم إن سألتمونا عن كتابنا وما يجوز في لغتنا وكلامنا، ولم تسألونا عما يجوز في لغتكم وكلامكم، ولو أننا جوّزنا في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله ما لا نعرف كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكابرين، وأسوأ حالاً من المنقطعين، وكنا قد أعطيناكم أكثر مما سألتم وجزنا بكم فوق أمنيتكم، ولو كنا إذ قلنا: «عيسىٰ روح الله وكلمته» وجب علينا في لغتنا أن يجعله الله ولدًا ونجعله إلهًا، ونقول: «إن روحًا كانت في الله فانفصلت منه إلى بدن عيسىٰ وبطن مريم فكنا إذا قلنا: إن الله إذا سمىٰ جبريل روح الله وروح القدس، وجب علينا أن نقول فيه ما تقولون في عيسىٰ، وقد علمتم أن ذلك ليس من ديننا ولا يجوز ذلك...»(٢).

ومثله عند الغزالي حيث يقول: «ويستدل على إلهية عيسىٰ عليه السلام بما ورد في الكتاب العزيز من الآية السابقة، فأحببت أن أكشف غطاء هذه الشبهة ليكون الناظر

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) المختار في الرد على النصارىٰ للجاحظ (١٢٥).

في هذا النص آمنًا من الشبهات المضلة. . . »[١].

٤ـ الاعتماد على الأدلة العقلية:

وقد جاء استخدامهم للأدلة العقلية كما يلي:

أ ـ الاعتماد على الأدلة العقلية في القرآن والسنة.

ومما يوضح سلوكهم طريق الاعتماد على الأدلة العقلية في القرآن في ردّهم على النصارى، ما قاله أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ في هذا الموضوع عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ

---

(١) الرد الجميل ص (١٦٥ـ ١٧١).

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾(١)، وأن سيد المرسلين محمد ﷺ قد دعا أرباب النصارى إلى المباهلة، فجزعوا من ذلك وأبوا عليه. . .أما تعلم أيها المغرور أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٢) . . .»(٣).

ومثال آخر عند أبي الوليد الباجي ـ رحمه الله ـ حيث يرد على الراهب النصراني بقوله: «وإني لأعجب أيها الراهب على ما يصل إلينا من فضلك في قومك وتقدمك على أهل ملتك مما يبدو من فرط غفلتك وعدم معرفتك فيما تضمنه كتابك من أن إبليس اللعين يقدر أن يضل من شاء الله أن يهديه إلى الدين القويم مع قولنا وقولك: «إن الله على كل شيءٍ قدير» فأي قدرة له إذا كان قد بذل دمه في نقض ما شرعه إبليس وغيره من خلقه فلم يقدر على إصلاح ما أفسده. . .»(٤).

ب ـ استخدامهم الأدلة العقلية لبيان اللوازم الفاسدة من كلامهم.

حيث بين علماء القرون الستة الهجرية الأولى: اللوازم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩ـ ٦٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٣) مقامع هامات الصلبان (١٤١).

(٤) رسالة أبي الوليد الباجي في الرد على راهب فرنسا (٧٧، ٧٨).

الفاسدة لأقوال النصارىٰ، واعتمدوا ذلك في منهجية ردهم عليهم.

مثال ذلك: ما ذكره الحسن بن أيوب في ردّه على قضية التثليث في كلام طويل ختمه بقوله: «...ولابد لكم مع ذلك من إبطال التثليث أو إثبات التخميس، وإلا فما الفرق، وهيهات من فرق»[1].

ومثال آخر قول أبي حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ في قصة التثليث أيضًا حيث يقول: «وقد سلكوا في تأويل الأقانيم مسلكًا ألزمهم القول بوجود ثلاثة آلهة في الذهن والخارج متباينة ذواتها وحقائقها...»[2].

ج ـ استخدامهم الأدلة العقلية لرد الدافع لعقائدهم.

حيث يبين علماء الإسلام من خلال هذه الأدلة العقلية الواقع الذي تعنيه عقائدهم، والذي يعيشه النصارى حقيقة، وعوا ذلك أم لم يعوه.

ومن أمثلة ذلك: قول الجاحظ في بيان حقيقة قول النصارىٰ ببنوة عيسىٰ عليه السلام: «إن النصارىٰ تزعم أن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح قال للحواريين «إخوتي»[3]

(١) رسالة الحسن بن أيوب في الجواب الصحيح (٤/١٦٣، ١٦٤).

(٢) الرد الجميل (١٥٦).

(٣) إنجيل متىٰ ١٠: ٢٨، ٤٨.

فلو كان للحواريين أولاد لجاز أن يكون الله عمهم»[١].

ومثل قول الحسن بن أيوب عن عقيدة الفداء عند النصارىٰ: «وتعتقدون سبب نزول عيسىٰ من السماء أنه أراد أن يخلصكم ويتحمل الخطيئة ويربط الشيطان، فقد وجدنا الخلاص لم يقع، والخطيئة لم تزل والشيطان أعتىٰ ما كان لم يربط... ووجدناكم تذكرون أن المسيح نزل من السماء فأبطل بنزوله الموت والآلام، وإن العجب ليطول من هذا القول وأعجب منه من قبله ولم يتفكر فيه، وممن لم يستقبح أن يعتقد ديانة ـ لله تبارك وتعالىٰ ـ على مثل هذا القول المحال البائن عما تشهد به العقول وتنبيء به المشاهدة، ويدعوا الناس إليها فما هو ببعيد من عَقْد ما هو أمحل وأبطل منها....»[٢].

د ـ بيان أن أقوالهم تتناقض مع الفطر الإنسانية السوية.

حيث يهدف علماء الإسلام من بعض ما يعرضون عن النصارىٰ، إلى بيان تصادم هذه العقائد النصرانية مع لفطر الإنسانية السوية السليمة إذ أنها لا تتقبلها بل تشمئز منها وتستقبحها.

---

(١) المختار في الرد على النصارى.

(٢) رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح لابن تيمية (٤/ ١٠٧، ١٠٨).

مثل قول الحسن بن أيوب المهتدي عن عقائد النصارىٰ وعن سبب إسلامه: «إن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول به من أكثر من عشرين سنة، لما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله عزوجل بما أدخل فيه من القول بالأقانيم الثلاثة وغيرها مما تتضمنه شريعة النصارىٰ. . .

وكنت إذا تبحرته وأجلت الفكر فيه بان لي عواره، ونفرت نفسي من قبوله، وإذا فكرت في دين الإسلام الذي منّ الله عليّ به، وجدت أصوله ثابته وفروعه مستقيمة وشرائعه جميلة. . . »[١].

ومثل قول نصر بن يحيىٰ المتطبب المهتدي حول التثليث والاتحاد ورفض الفطر السليمة له: «أما قولهم «النصارىٰ» في الاتحاد فهو من أشنع المذاهب وأفحشها، ولو أن قومًا ألبسوا قناع الخزي على وجوههم بفحش مذاهبهم لكان النصارىٰ في قولهم بالاتحاد»[٢].

هـ ـ استخدامهم الأدلة العقلية لبيان التناقض في أقوالهم.

فلقد بيّن علماء القرون الستة الهجرية بعقولهم المتّقدة، وفهمهم الدقيق، واستنتاجاتهم العقلية، ما تحويه عقائد النصارىٰ من تناقض وتعارض، مثل ماقاله نصر بن يحيىٰ عن

---

(١) رسال الحسن بن أيوب إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ٨٨، ٨٩).

(٢) النصيحة الإيمانية (٦٥).

قانون الإيمان النيقوي، أو ما يسمىٰ بتسبيحة أو شريعة الإيمان عند النصارىٰ بعد أن سبر غوره وفحصه وبيّن ما فيه من وهاء وتناقض وتعارض حيث قال: «وكم قد جمع من أنواع الفساد والبطلان قولهم: «نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يُرى وما لا يُرىٰ»[(١)]، قد أثبتوا أن الابن الذي يعنون «المسيح» مملوك مصنوع لأنه شيء من الأشياء فهو مملوك، ولا يخلو إما أن يكون مما يرىٰ أو مما لا يُرىٰ فهو مصنوع، ثم نقضوا ذلك بقولهم: «وبالرب الواحد يسوع المسيح بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، فهذا لا يعقل إلا إذا تقدمه زمان. . . إلخ»[(٢)].

ومثل قول القاضي عبدالجبار عن التثليث: «ألا ترون أنكم قد أعطيتمونا معنى التثليث وأسمعتموه واستوفيتم حقائقه ومنعتم بعض العبارة عنه، ألا ترون أنكم تقولون إلهٌ هو أب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق؟ وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بأب ولا والد، ولا يجوز أن يكون والدًا ولا أبًا، وإله روح قدس حي قديم عالم خالق رازق، ثم قلتم هي: ثلاثة أقانيم، فقلتم في كل واحدٍ منها أنه إله ورب وقديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتم

---

(١) قانون الإيمان النيقوي. انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق للبطريرك ابن البطريق (١٣٠، ١٣٢).

(٢) النصيحة الإيمانية (٦٨، ٦٩).

التفصيل»[١].

٥ـ استخدامهم الأدلة العقلية لرد أقوال النصارىٰ بعضها ببعض؛ وذلك لبيان أن الحق لا يمكن أن تتصادم به الأقوال فالحق لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا.

حيث وضح ذلك علماء الإسلام واعتمدوا على بيان ما وقع فيه النصارىٰ من خلافٍ فيما بينهم في مسائل تعتبر هي صلب دينهم وأساس عقيدتهم التي يجب أن يتفقوا عليها:

مثل قول الشهرستاني عن التثليث: «صرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم، وهؤلاء صرحوا بالتثليث وأخبر عنهم القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[٢]».

وقال «نسطور» إن الله تعالىٰ واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو.

أما أصحاب يعقوب فإنهم قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا فصار الإله هوالمسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو»[٣].

وكذلك استخدام التناقض الذي يذكره أحد الأناجيل بما أورده الإنجيل الآخر.

---

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٩٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (٢٢٥).

الباب الأول

جهود علماء المسلمين
في الرّد علىٰ عقيدة النصارىٰ في الألوهية

تمهيد

في ذكر العلماء الذين لهم جهودٌ في هذا الباب

تمهيد
في ذكر العلماء الذين لهم جهود في هذا الباب

لقد حمل علماء القرون الستة أمانة العلم الذي حصلوه في الذود عن الإسلام ضد شبهات النصارىٰ في مسائل الألوهية، وذلك من خلال دحضهم لأقوال النصارىٰ في التثليث، وبنوة عيسىٰ، وقولهم بالأب، والروح القدس، وهو ما يسمىٰ عندهم بالأقانيم الثلاثة.

وسطر الحسن بن أيوب رحمه الله رسالته الموجهة لأخيه يدعوه فيها إلى الإسلام ويبين زيف دعاوىٰ النصارىٰ في هذه المسائل، ولجودتها في بابها وقوتها في ردها نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية كاملةً في كتابه الشهير الموسوم بـ«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

وقد نصح نصر بن يحيىٰ النصارىٰ في «نصيحته الإيمانية» بالرجوع عن هذه الشبه الرديّة، وجمّل الغزالي في «ردّه الجميل» على أهل الإنجيل.

كما أثبت القاضي عبدالجبار بطلان هذه العقائد في كتابه الموسوم «تثبيت دلائل نبوة محمد ﷺ».

كما أبدع يراع أبي الوليد الباجي رسالته التي أرسلها إلى راهب فرنسا يردّ عليه مزاعمه الكاذبة، ودعاواه الزائفة في مسائل الألوهية وغيرها.

كما ردّ عليهم الجاحظ، وقمع هامات صلبانهم أبوعبيدة الخزرجي، وردّ عليهم أيضًا في هذا الباب ردًا مجملاً موجزًا جملة من العلماء منهم:

الباقلاني، والشهرستاني، والماتريدي، وعلي بن ربن الطبري، والماوردي.

الفصل الأول
جهود علماء المسلمين في ردِّ دعوىٰ التثليث

أرسل الله تعالىٰ رسله وأنبياءه جميعًا بدعوة واحدة هي: عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده جلَّ وعلا بهذه العبادة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾(١)، وكل نبي من الأنبياء قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(٢).

وعلىٰ هذا خلق الله الخلق وجبل عليه الفطر السليمة: «**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»(٣).

ودعوة عيسىٰ عليه السلام كدعوة غيره من الرُّسل والأنبياء، دعوةٌ لعبادة الله وحده لا شريك له فأوَّل ما تكلم به عيسىٰ عليه السلام وهو في مهده إثبات عبوديته لله تعالىٰ، كما حكىٰ الله تعالىٰ عنه في القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾(٤).

ونادىٰ قومه بعد نبوته بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٣) صحيح مسلم، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النَّار (٤/٢١٩٧). الحديث رقم (٢٨٦٥).

(٤) سورة مريم، آية: ٣٠.

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾[1].

وقال مخاطبًا قومه أيضًا: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾[2].

ولكن النصرانية التي جاء بها عيسىٰ عليه السلام قد حرفت وابتعدت عن الصراط المستقيم والطريق القويم إلىٰ عقيدة تحارُ فيها العقول السليمة وتأباها الفطر السَّويَّة، وهي عقيدة التثليث[3].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٧٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٥٠، ٥١.

(٣) عقيدة التثليث: «أو الثالوث المقدس ويتلخص في النقاط الست التالية كما هو في قاموس الكتاب المقدس:

١ـ أنَّ الكتاب المقدس يقدم ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

٢ـ كل شخصية متميزة عن الأخرىٰ.

٣ـ وهو ليس مؤقتًا «الأب، الابن، الروح القدس». ظاهريًا بل أبدي وحقيقي.

٤ـ وهو لا يعني ثلاثة آلهة بل كلها جوهر واحد.

٥ـ وهم جميعًا متساوون.

٦ـ ولا يوجد في هذه العقيدة تناقض، وهي كلمة لم ترد في الكتاب المقدس، بل وضع هذه العقيدة أثناسيوس واعتمدها مجمع نيقية عام (٣٢٥م).

انظر قاموس الكتاب المقدس ص(٢٣٢، ٢٣٣)، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتين، هيئة التحرير د/ بطرس عبدالملك، د/ جون لكسان جيمس والأستاذ إبراهم مطر، دار مكتبة العائلة القاهرة.

يقول المهتدي الحسن أيوب[١] رحمه الله في رسالته التي أرسلها إلىٰ أخيه، والتي يذكر فيها سبب إسلامه: «إنَّ ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول به من أكثر من عشرين سنة لما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله عزَّوجل بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم[٢] وغيرها، مما تضمنته شريعة النصارىٰ ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تقرير ذلك،

---

(١) قال عنه ابن النديم: «الحسن بن أيوب من المتكلمين وله من الكتب، كتاب إلىٰ أخيه علي بن أيوب في الرد علىٰ النصارىٰ وتبيَّن فساد مقالتهم وتثبيت النبوة» الفهرست ص(٢٢١).

وقال عنه ابن تيمية: «أنه من علماء النصارىٰ وأسلم عن بصيرة بعد الخبرة بمقالاتهم وكتبهم» الجواب الصحيح (٤/ ٨٨)، وذكر محمد عبدالله الشرقاوي: «أنه كان حيًّا قبل سنة (٣٨٠هـ)»، مقدمة النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص(٢٠).

هذا ما توفَّر من معلومات عن المهتدي الحسن بن أيوب رحمه الله، إذ لم يلق أي اهتمامٍ من المترجمين. انظر ملحق التراجم في آخر الرسالة ترجمة مفصلة.

(٢) الأقانيم: جمع أقنوم وهي كلمة سريانية معناها شخص أساسي أو شخص رئيسي أو كيان ذاتي أو في الذات أو من الأشياء، والأقانيم عند النصارىٰ هي الآب والابن والروح القدس، والأقانيم فكرة وردت في الفلسفة اليونانية تأثر بها يوحنا صاحب الإنجيل وأحد طلاب مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي أخذت على عاتقها الجمع بين الفلسفة اليونانية والنصرانية الجديدة كما هو واضح في إنجيله. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٧٦ـ ٩٧٧).

وكنت إذا تبحرته وأجلت الفكر فيه بان لي عواره، ونفرت نفسي من قبوله، وإذا فكرت في دين الإسلام الذي منَّ الله عليَّ به وجدت أصوله ثابتة، وفروعه مستقيمة، وشرائعه جميلة، وأصل ذلك مما لا يختلف فيه أحد ممن عرف الله عزَّوجل منكم ومن غيركم، وهو الإيمان بالله الحيِّ القيوم»[١].

وبناءً علىٰ ذلك التحريف الدخيل علىٰ دين النصرانية، ونسبة هذا التحريف إلىٰ عيسىٰ عليه السلام فقد انبرى علماء الإسلام للرد علىٰ فرية التثليث، وغيرها بالأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة علىٰ حدِّ قول أبي الوليد الباجي رحمه الله للنصراني: «ولو كنت لَدَنْيَا لأريناك في هذا من كلام متقدمي أهل ملَّتك، ثم من تقريع المسلمين علىٰ ذلك وتتبُّع الحجج بما لم يبلغه أحدٌ قط منهم، ولأسمعناك من غرائبه وعجائبه وتلفيقاته وتناقضه وفضائحه ما يملأ سمعك ويطيش له لبُّك»[٢].

والقول بالتثليث قولٌ بشعٌ جدًا تستهجنه العقول

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب إلىٰ أخيه والتي نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية كاملة في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٨٨،٨٩).

(٢) رسالة أبي الوليد الباجي في الرد علىٰ راهب فرنسا ص(٧٥،٧٦).

الصحيحة وترفضه الفطر السليمة لذلك يقول نصر بن يحيىٰ المهتدي[١]: «أما قولهم: «النصارىٰ» في الاتحاد فهو من أشنع المذاهب وأفحشها، ولو أنَّ قومًا أسبلوا قناع الخزي علىٰ وجوههم بفحش مذاهبهم، لكان النصارىٰ في قولهم بالاتحاد»[٢].

ويعتمد النصارىٰ في اعتقادهم بالتثليث علىٰ أصلين:

الأوَّل: ما حكاه «متىٰ»[٣] التلميذ في الإنجيل عن المسيح أنه قال لتلاميذه: «سيروا في البلاد وعمدوا النَّاس باسم الأب والابن، والروح القدس»[٤].

الثَّاني: ما يسمىٰ عندهم بشريعة الإيمان أو قانون الاعتقاد أو تسبيحة الإيمان النيقوية[٥] ونصُّها: «نؤمن بالله

---

(١) نصر بن يحيىٰ بن عيسىٰ أبي سعيدالمتطبب. ذكر ذلك هو عن نفسه في مقدمة كتابه ص(٤٨) ولم يذكر عنه أهل التراجم شيئًا عدا حاجي خليفة وإسماعيل باشا اقتصرا علىٰ ذكر اسمه وأنه كان نصرانيًا ثم أسلم وذكرا كتابه في الرد علىٰ النصارىٰ. انظر كشف الظنون (٢/ ١٩٥٦، ١٩٥٧)، هدية العارفين (٦/ ٤٩٢).

يقول د/ الشرقاوي في كتابه: وتاريخ ولادته ووفاته غير معروفين، إلاَّ أنه من المؤكد أنه كان حيًّا سنة (٤٤٩هـ) لأنه نقل مقطوعة شعرية من لزومات أبي العلاء المعري» ص(٤٩) بتصرف. انظر: ملحق التراجم ففيه ترجمة مفصلة له.

(٢) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص(٦٥).

(٣) متىٰ: «هو أحد الاثني عشر رسولاً، وكاتب الإنجيل الأول، المنسوب إليه، كان في الأصل جابيًا في كفر ناحوم» قاموس الكتاب المقدس ص(٨٣٢-٨٣٣).

(٤) إنجيل متىٰ (٢٨ : ١٩).

(٥) نسبة إلىٰ نيقية: وهي من أعمال اسطنبول علىٰ البر الشرقي، وهي المدينة التي =

الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرىٰ، وبالرب الواحد اليسوع ابن الله بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إلـٰه حق من إلـٰه حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، ومن أجلنا معشر النَّاس، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسَّد من روح القدس، وصار إنسانًا وحُبل به، وولد من مريم البتول، وتألم، وصلب في أيام تيطوس[1]، وبيلاطوس[2].

ودفن، وقام في اليوم الثالث، كما هو مكتوب وصعد إلىٰ السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعدٌّ للمجيء تارةً أخرىٰ للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته، وبمعمودية[3] واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة

= اجتمع بها آباء الملة المسيحية وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أبًا يزعمون أنَّ المسيح عليه السلام كان معهم في هذا المجمع، وهو أول المجامع لهذه الملة، وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ص(٣٣٣) دار صادر.

(١) تيطوس: امبراطور روماني قام في عهد والده بحصار أورشليم ودمرها عام ٧٠م، ثار على أيامه بركان الفيرزوق فدفن في ليلة واحدة مدينتي هرقلانوم وبومباي. انظر: قصة الحضارة (١١/ ٢٤٥، ٢٦٧).

(٢) بيلاطوس: هو بيلاطوس النبطي حاكم يهودي روماني هو الذي أراد تسليم المسيح، وقال: أنا بريء من دم هذا الصديق. قيل توفي ٢٦م أو ٣٦م. انظر: قصة الحضارة (١١/ ٢٣٧، ٢٣٩) (١٤/ ٢١٩).

(٣) التعميد: فريضة مقدسة عند النصارىٰ يتم فيها الغسل بالماء باسم الأب والابن =

جاثليقية[١] ونؤمن بالحياة الدائمة إلىٰ أبد الآبدين»[٢].

وقد دحض العلماء المسلمون في القرون الستة الهجرية الأولىٰ هذا التثليث المزعوم بكثير من الحجج والبراهين، منها:

ما ذكره الحسن بن أيوب رحمه الله في قوله: «إنا وجدناكم تقولون في معنىٰ التثليث، الذي دعاكم إليه ما ذكرتم أنَّ متىٰ التلميذ حكاه في الإنجيل عن المسيح عليه السلام، إذ قال لتلاميذه: «سيروا في البلاد وعمدوا النَّاس باسم الأب والابن والروح القدس»[٣].

وإنَّكم إن فكرتم في هذا القول بعقولكم فعلمتم أنَّ المراد بذلك أنه لما أن ثبت حدوث العالم علمتم أنَّ له محدثًا

= والروح القدس لتهطير النفس في زعمهم من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح بعد اعترافهم جهارًا أمام الكنيسة بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس معبودهم الوحيد، واختلفوا فيه فجعله بعضهم بالتغطيس الكامل ثلاث مرات، وأغلبهم يكتفي برش الماء على الوجه. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٢٣).

(١) جاثليقية: كلمة يونانية معناها متقدم الأساقفة. المنجد (٧٩).

(٢) قانون الإيمان الينقوي: ذكر هذا النص كاملاً: سعيد بن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكليّة من عهد آدم إلى سني الهجرة النبوية ص(١٣٠ـ١٣١)، طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٥م.

(٣) سبق عزوه، وانظر المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل لأبي الفضل السعودي المالكي، تحقيق رمضان العنقاوي البندري، حيث فصل الرد علىٰ هذا القانون نثرًا وشعرًا. دار الحديث القاهرة. ص(١٣١، ١٤٦).

فتوهمتموه شيئًا موجودًا، ثم توهمتموه حيًّا، ثم ناطقًا، لأنَّ الشيء ينقسم لحي ولا حي، والحي ينقسم لناطق ولا ناطق، وإنكم علمتم بذلك أنه شيء حي ناطق فأثبتم له حياةً ونطقًا غيره في الشخص، وهما هو في الجوهرية[(١)].

فنقول لكم: إذا كان الحي له حياة ونطق، فأخبرونا عنه، أتقولون أنه قادر عزيز أم عاجز ذليل؟

فإن قلتم: لا، بل هو قادر عزيز، قلنا: فأثبتوا له قدرة وعزَّة، كما أثبتم له حياةً وحكمة.

فإن قلتم: لا يلزمنا ذلك لأنه قادرٌ بنفسه عزيزٌ بنفسه، قلنا لكم: وكذلك فقولوا: إنه حي بنفسه وناطق بنفسه، ولا بد لكم مع ذلك من إبطال التثليث أو إثبات التخميس، وإلاَّ فما الفرق؟ وهيهات من فرق»[(٢)]

ويقول الحسن بن أيوب كذلك معلقًا على قول متىٰ «التلميذ» السابق والذي يعتبره النصارىٰ أكثر النصوص

(١) الجوهر: هو ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وقيل: هو الموجود القائم بنفسه حادثًا كان أو قديمًا، وهو مقابل للعرض. انظر: المعجم الفلسفي (١/ ٤٢٤).

(٢) رسالة الحسن بن أيوب في الجواب الصحيح (٤/١٦٣، ١٦٤) وقريبًا منه ما ذكر القاضي عبدالجبار في المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/ ١٠٤). ولا يخفىٰ ما في هذا الاستدلال من نفس اعتزالي محض، يتضح من البعد عن إثبات الصفات هروبًا من تعدد القدماء كما هي عقيدة المعتزلة.

تصريحًا بالتثليث[١]: «وهذا كلامٌ يحتمل معناه ـ إن كان صحيحًا ـ أن يكون ذهب فيه بأنه يجمع هذه الألفاظ إلىٰ أن تجتمع لهم بركات الله وبركة نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيد بها الأنبياء والرسل، وقد نراكم إذا أردتم الدعاء بعضكم لبعض قلتم: صلاة فلان القديس تكون معك، ومعنىٰ الصلاة: الدعاء، واسم فلان النبي يعينك علىٰ أمورك؟

وكما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[٢].

يقرن طاعته بطاعة نبيه وأولي الأمر من المسلمين، أفنقول لذلك إنهم جميعًا آلهة؟»[٣].

ويقول القاضي عبدالجبار المعتزلي عند نص «متىٰ» السابق: «ليس المسيح أول من كذب عليه. . .»[٤]

موضحًا أنه من المستحيل أن يكون عيسىٰ عليه السلام هو الذي قال مثل هذا، خصوصًا وأنَّ الكذب على الأنبياء هو دأب بني إسرائيل، وقد تعدىٰ هذا الكذب أيضًا إلىٰ كثيرٍ من العقائد والشرائع النصرانية.

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس حيث يعتبر هذا النص واضحًا في التصريح بالتثليث ص(٢٣٢).

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) رسالة الحسن بن أيوب، في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ١٦٠).

(٤) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار (١/ ١١٤).

أما نصر بن يحيىٰ المتطبب فيوضح مدىٰ الهشاشة التي تعلق بها النصارىٰ في استدلالهم علىٰ التثليث بهذا النص «نص متى السابق» فيقول: «يجوز أن يكون المسيح ذهب فيه إلىٰ ما هو أعلم به، فكيف حكمتم إلىٰ أنه ذهب إلىٰ هذه الأسماء لما أضافها إلىٰ الله تعالىٰ، صارت إلـٰهية، وجعلتم له أسماء، وهي الأقانيم الثلاثة، وقد عبرتم في لغتكم أنَّ الأقنوم: الشخص، فكيف استخرجتم ما أشركتموه بالباري ـ تعالىٰ ذكره عمّا تصفون ـ بالتأويل الذي لا يصح»[١].

أما بالنسبة لقانون الإيمان الينقوي، فمن المعلوم الواضح الذي يقرُّ به النصارى أنَّ هذا القانون: «إنما وضع أساسه أثناسيوس[٢] في مجمع نيقية[٣] عام (٣٢٥ميلادية) وتبلور هذا القانون الاثناسيوسي علىٰ يد أغسطينوس[٤] في

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص(١٢٥، ١٢٦).

(٢) اثناسيوس الاسكندري (٢٩٥، ٣٧٣) بطريرك الاسكندرية، هو الذي قال بألوهية المسيح عليه السلام وقاوم رأي آريوس في مجمع نيقية، انظر المتحد في اللغة والأعلام ص(٢٢).

(٣) مجمع نيقية: هو المجمع المسكوني، الذي عقد في مدينة نيقية بتركيا، وهي التي تسمىٰ حاليًا «أزنيك».

(٤) أغناطيوس: أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس ولد [١٨٨٧م] باحث أديب من أعضاء المحمع العلمي العربي في دمشق سرياني الأصل، عربي اللسان والمنبت، ولد وتعلم في الموصل، ودخل دير الزعفرانة بجوار ماردين، مترهبًا سنة١٩٠٥م وقام برحلات إلى أوربا، ثم إلى أمريكا وكندا بوظيفة قاصد رسولى لتفقد الجاليات السريانية وفي سنة ١٩٣٣م =

القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلىٰ يومنا هذا»[١].

فإذا كان هذا كلام النصارىٰ أنفسهم وإقرارهم بأفواههم، فلا غرابة أن يقول نصر بن يحيى المتطبب: «إنَّ شريعة إيمانهم التي ألفها رؤساؤهم من البطاركة[٢] والمطارنة[٣]

= انتخب بطريركًا على أنطاكية وسائر المشرق وقام في حمص وتوفي بها سنة ١٩٥٧م له مؤلفات منها «نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران. ط» و«اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية. ط» و«الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة. ط» و «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية. ط» نشر متسلسلاً في مجلة المجمع العلمي العربي «ومعجم عربي سرياني. خ» و «تاريخ بطاركة انطاكية ومشاهير الكنيسة السريانية. خ» و «نوابغ السريان في اللغة العربية. ط» انظر ترجمنه في «من هو في سورية[٢/ ٥٧ـ٥٩] ومجلة المجمع العلمي العربي المجلدات [٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٢] وجريدة الأيام دمشق ٢٨ حزيران ١٩٥٧ والمكتبة عدد نيسان ١٩٦٢ ومعجم المؤلفين العراقيين [١/ ١٢٣] والأعلام للزركلي [١/ ٣٣٥].

(١) معجم الكتاب المقدس ص(٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) البطاركة: كلمة معربة عن اليونانية معناها الأب الرئيس، ويطلقه النصارىٰ على بعض الرؤساء الدينيين من القسوس والرهبان، ويذكر عوض سمعان في كتابه: «الكهنوت» ص (٣٣١، ٣٣٢) نقلاً عن اللآلىء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة إن لفظ البطريك لم يعرف قبل القرن الثالث الميلادي حيث انتخب أساقفة كل قطر رئيسًا لهم يدعىٰ «رئيس الأساقفة» وبعضهم سمىٰ نفسه بطريركًا أي «رئيس العشيرة». انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٩٩).

(٣) المطارنة: مفردة «مطران» وهو رئيس ديني عند النصارىٰ، وهو دون البطريرك، وفوق الأسقف يقول الفريد. ج. تبلر في الكنائس القبطية القديمة يوجد تحت ولاية البطريرك القبطي أربعة مطارنة أو رؤوساء أساقفة هم مطارنة الإسكندرية والمنوفية أو ممفيس أو أورشليم والحبشة، ويتم تعيين هؤلاء المطارنة من خلال طقس معين =

والأساقفة[١] والأحبار[٢] في دينهم، وأهل العلم منهم، في حضرة الملك قسطنطينوس[٣]، عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة قسطنطينية، لما جمعهم لأجل عمل الإنجيل،

= على يد البطريرك. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١١٥٨، ١١٥٩).

(١) الأساقفة: جمع أسقف، وأصلها كلمة يونانية «أبيسكوبوس» ومعناها: شرف، وظهر النظام الأسقفي في القرن الثاني فيما بين عام (١٣٠ـ ١٥٠م)، ولم يكن موجودًا في عهد المسيح، والأسقف رتبة دينية عند النصارىٰ، فوق رتبة القسيس ودون رتبة البطريرك والمطران، وذكر «عوض سمعان» في كتابة «الكهنوت» نقلاً عن «موسيهم» في كتابة تاريخ الكنيسة بأن القساوسة استحسنوا إقامة رئيسًا عليهم من أهل التقوىٰ اسموه أسقفًا. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني (٢/ ٩٦٦، ٩٦٧).

(٢) الحبر: عضو هيئة من المسؤولين كانت تشرف على أوجه النشاط الديني في روما القديمة وكانت الهيئة تقرر موعد العطلات والإحتفالات الدينية، وكان الرومانيون يستشيرون الهيئة المعرِّفة ما إذا كانت الأنشطة المقررة تقام وفقًا لقانون مقَّدس، وكان مجلس الكهنة الأعلى، وهو أعلى سلطة دينية يرأس الهيئة وفي النهاية انتقل هذا المنصب للبابا.

كان يتم تعيين الأحبار في الهيئة مدى الحياة، وفي روما القديمة كان الملك هو الذي يعين الأحبار وفي السنوات الأخيرة للجمهورية كانت الهيئة ترشح الأعضاء وتقوم جمعية الأحبار بانتخابهم وفى الأصل كان عدد الأحبار ثلاثة فقط، ولكن عددهم ارتفع إلى ١٦ في الأربعينات من القرن الأول ق.م .[الموسوعة العربية: ٩/ ٦٥].

(٣) الملك قسطنطينوس: امبراطور روما حكم أولاً في الشرق ثم وحَّد الأمبراطورية بعد موت أخيه عام ٣٥٠هـ. ومال ابنه إلى الأريوسيين وأرسل منهم وفدًا إلى جنوبي الجزيرة العربية حيث أنشأ كنائس في عدن وفي أرض حمير، مات عام (٣٦١م). انظر: قصة الحضارة (١٤/ ١٠، ١١، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١).

وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر نفرًا، يدل علىٰ أنهم أرادوا بالأقانيم الذوات»[١].

فعقيدة التثليث التي يقررها قانون الإيمان الينقوي هي عقيدة جميع النصارىٰ كما مرَّ معنا قريبًا من كلام النصارىٰ أنفسهم، لذلك قال نصر بن يحيىٰ: «فهذا اعتقاد جميع فرق النصارىٰ لا يختلفون في شيء منه أبدًا، وكلهم متفقون علىٰ هذا الإيمان، ويبذلون فيه المهج وإخراج الأنفس دونه»[٢].

هذا القانون المتفق عليه عند جميع النصارى والذي يؤصِّل لصميم اعتقادهم، ولمدار دينهم وهو التثليث، نظر فيه نصر بن يحيىٰ المهتدي رحمه الله نظرةً فاحصة وسبر غوره وبين ما فيه من وهاء وتناقض وتعارض، فقال رحمه الله معلقًا علىٰ جميع أجزائه: «وكم قد جمع من أنواع الفساد والبطلان قولهم: «نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء، صانع ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ» قد أثبتوا أنَّ الابن الذي يعنون «المسيح» مملوك مصنوع لأنه شيء من الأشياء فهو مملوك.

ولا يخلو أن يكون مما يُرىٰ أو مما لا يُرىٰ فهو مصنوع، ثم نقضوا ذلك بقولهم: «وبالرب الواحد يسوع المسيح بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها»، فهذا لا يُعقل إلَّا إذا تقدمه زمان.

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص(٦٨).

(٢) النصيحة الإيمانية ص(٦٩).

ثم قالوا: «ليس بمصنوع إلـٰه حق من إلـٰه حق»فهل في التناقض أبين من هذا؟ أن يقولوا: مولود، وهو في معنىٰ مفعول: «مصنوع ليس بمصنوع».

ثم قالوا: «بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء» فهذا يلزم منه أن يكون مثلاً للأب، لأنهم قالوا في الأب: «صانع ما يُرىٰ وما لا يرىٰ»، وقالوا في الابن: «خالق كل شيء»، «ومن جوهر أبيه»، فهذا يوجب التماثل من قبل الجوهر والأفعال، ومع التماثل، وعدم الاتصال فما الذي أوجب هذا أبًا»(١).

فهذا القانون المسمىٰ بقانون الإيمان، والذي يجعلونه أصلاً وعمدة لاعتقادهم في قضية التثليث، هو مزيج غير متجانسٍ من الأباطيل والتعارضات التي لا يستطيع عقلٌ قبولها أو التسليم بها أو اعتقاد صحتها، من هنا قال نصر بن يحىٰ رحمه الله: «فهل يستحسن عاقل أن يبقىٰ علىٰ اعتقاد مثل هذه الأباطيل والخرافات والتناقضات؟ أو يتبع من هذا قدر عقولهم وعلومهم واعتقاداتهم ومذاهبهم»(٢).

ومن أدلتهم علىٰ قضية التثليث:

ماجاء في إنجيل متىٰ عندما عمد يوحنا المسيح: «وتعمد يسوع وخرج في الحال من الماء وانفتحت السموات

---

(١) النصيحة الإيمانية ص(٦٨، ٦٩).

(٢) النصيحة الإيمانية ص(٧٠).

له، فرأىٰ روح الله يهبط كأنه حمامة وينزل عليه، وقال صوت من السماء هذا هو ابني الحبيب الذي به رضيت»(١).

قال القاضي عبدالجبار رحمه الله معلقًا علىٰ النص: «قالوا: فالمتعمد هو الله الابن، والمنادي هو الأب، والنازل هو روح القدس، وانظر كيف يفرعون كل واحد منهم بصنعٍ غير صنع صاحبه»(٢).

ثم قال رحمه الله مستغربًا ومتعجبًا ومستنكرًا في الوقت نفسه هذا التناقض والتعارض كيف يتم قبوله والتسليم به: «فهذا يرحمك الله كما ترىٰ وتسمع، فلولا أن رأينا قومًا عقلاء يقولون هذا، وسمعناه منهم حين فتشنا عما قاله الله وحكاه عنهم(٣) فنطقوا به بعد الجهد، وأخرجوه من غوامض أسرارهم لما صدق النَّاس أنَّ في الدنيا من قال هذا أو نطق به، وإذا تأمل الباحث العاقل الأمور وفتش وطال بحثه وجهده رأى الجهل في الأمم والأقاويل المشتملة علىٰ الحمق كانت في الأمم قبل الإسلام(٤).

علىٰ أنَّ الإقرار بالتثليث أمرٌ غريبٌ ودخيلٌ علىٰ العقل

---

(١) إنجيل متىٰ (٣/ ١٦، ١٧)، ولوقا (٣/ ٢١، ٢٢)، ويوحنا (١/ ٣٢، ٣٣).

(٢) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار(١/ ١٠١).

(٣) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ . . .﴾ المائدة (٧٣).

(٤) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٠٥).

والفطرة، إلاَّ أنَّ القاضي عبدالجبار رحمه الله يُرجع عدم تصريح النصارىٰ به وأنها ثلاثة آلهة إلىٰ تأثرهم بكتب الله عزَّوجل التي صدق بها المسيح عليه السلام، فيقول: «والذي يمنع النصارىٰ من إطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة، وإن كانوا قد أعطوا معنىٰ ذلك، إلاَّ أنهم صدقوا بكتب الله التي صدق بها المسيح عليه السلام، وهي مملوءة بتوحيد الله وتفرده بالقدم[(١)]، وأنه لا يشبه الأشياء، وإنما هذه البدع ابتدعوها بعد المسيح، فأرادوا حمل بدعتهم في الشرك علىٰ ما في كتب الله فلم يتم لهم ذلك وحصلوا علىٰ محض الشرك والتشبيه»[(٢)].

ولعلَّ ما ذكرنا من أدلةٍ سالفة علىٰ التثليث عند النصارىٰ هي عمدتهم للقول بهذه العقيدة، وقد ردَّ علىٰ هذه الأدلة علماء القرون الستة بما مرَّ آنفًا، إضافة إلىٰ ما ذكره هؤلاء العلماء من ردود عقلية كثيرة متوافرة علىٰ القول بهذه العقيدة وردَّ شبه القائلين بها.

من هذه الأدلة العقلية علىٰ رد عقيدة التثليث عند

---

(١) القدم يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره وهو القديم بالذات، ويطلق على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقًا بالعدم، وهو القديم بالزمان، وهو ما كان متقدمًا على غيره تقدمًا زمنيًّا سواءً سبق عدم أو لم يسبقه عدم. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٤٨٣)

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٩٥).

النصارىٰ ما يأتي:

يستدل النصارىٰ علىٰ قولهم بالتثليث أيضًا بالشمس، وأنها شيء واحد، له ثلاث معانٍ ويعتقدون أن هذا دليلٌ عقليٌّ قوي وحجة دامغة في الاعتقاد بالتثليث، إلَّا أنَّ علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ ـ رحمهم الله جميعًا ـ لم يتركوا هذه الحجة التي يزعمها النصارىٰ وردوا عليها بالحجة والبرهان.

قال الحسن بن أيوب رحمه الله: «وأما احتجاجكم بالشمس، وأنها شيء واحدٌ له ثلاثة معانٍ، وتشبيهكم ما تقولون في الثلاثة الأقانيم بها، فإنَّ ذلك تمويه، لا يصح، لأنَّ نور الشمس لا يحد بحد الشمس، وكذلك حرها لا يحد بحد الشمس.

إذا كان حد الشمس جسمًا مستديرًا مضيئًا مسخنًا دائرًا في وسط الأفلاك دورانًا دائمًا، ولا يتهيَّأ أن يحد نورها وحرها بمثل هذه الصفة، ولا يقال: إنَّ نورها أو حرها جسمٌ مستديرٌ مضيء مسخن دائم الدوران، ولو كان نورها وحرها شمسًا حقًا من شمس حق من جوهر الشمس كما قالت شريعتكم في المسيح.

إنه إلـٰه حق من إلـٰه حق من جوهر أبيه، لكان ما قلتم لـه مثلاً، ولكـن هـذا القيـاس لا يقـع عليـه، والحجـة فيـه

باطلة»[١].

يوضح الحسن بن أيوب هنا أنَّ قياس التثليث على الشمس قياسٌ باطل، إذ أنه قياسٌ مع الفارق ذلك أنَّ نور الشمس وحرها غير محدودٍ بجسمها المستدير، ثم إنَّ نورها، أو حرها لا يقال له شمس بل أمرٌ غير ذات الشمس، ومختلف عنها، فهذا الاستدلال تمويهٌ وتغريرٌ لا يصح. يؤيد ذلك القاضي عبدالجبار رحمه الله أيضًا في قوله: «وقد اعتمد بعضهم في تمثيل قوله بالتثليث بالشمس والضوء وأنهما شخصان يجمعهما جوهر واحد، يتفقان في الجوهرية و يختلفان في الشخصية، وكذلك القديم الذي هو أقانيم ثلاثة تتفق في الجوهرية وتختلف في الأقنومية والشخصية، وهذا بعيد، لأنَّ ضياء الشمس غير الشمس وصفته تخالف صفته، وبعضه غير بعضه، وذلك لا يصح عندهم في الأقانيم»[٢].

ويقول أبوعبيدة الخزرجي رحمه الله معلقًا على استدلالهم ذلك: «ثم احتال بعضكم لذلك الكفر البشيع، والجهل الشنيع «التثليث» في وجوهٍ من العذر التي هي أقبح من الذنب، كالشمس ثلاثة أشياء: جرم، ونورٌ، وحرارة،

(١) رسالة الحسن بن أيوب، في الجواب الصحيح (٤/ ١١٦، ١١٧)، ونقل الكلام بتمامه نصًا نصر بن يحيىٰ في النصيحة الإيمانية، مما يوضح مدىٰ استفادة نصر مما كتبه الحسن بن أيوب.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/ ١٠٣).

تشبيهًا بالتثليث، وإنما استدركتم العذر بهذه الأقوال الوخيمة لتوهموا جهلاءكم أنَّ لتلك البشائع التي تعتقدونها وتنطق بها ألسنتكم أسرارًا وأصولاً ثابتةً في الحقائق حين ينظرون إلىٰ من سواهم من أهل الملل يعبدون الله وحده، ولا يشركون به شيئًا، وإن اختلفوا فيما سوىٰ ذلك»[١].

ومن محاولات النصارىٰ العقلية لإثبات ثالوثهم المزعوم، تشبيههم لهذه الأقانيم الثلاثة، بقول المسلمين: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ وكقول المسلمين أيضًا أنه حي عليم قادر، وقد نقل هذه الشبهة القاضي عبدالجبار[٢]، ثم رد عليها بقوله: «وهذا غلط من النصارىٰ، وليس قول النصارىٰ في التوحيد من قول المسلمين بسبيل، وإنما يقول هذا من يروم المغالطة والفرار من فحش المقالة، لأنَّ الله عند المسلمين هو الرحمن الرَّحيم، وهكذا العالم القادر، وهي ذات واحدة لها صفات كثيرة، وأسماء كثيرة.

وعند النصارىٰ أنَّ الله الواحد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الأب الوالد ابنًا مولودًا، ولا الابن المولود أبًا والدًا، وكذا روح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارىٰ. . .ثم قال: «ولو أسلم نصارىٰ عصرنا كلهم لما خرج هذا من أن يكون قولاً لمن سبق وتقدم من هذه الطوائف

(١) مقامع هامات الصلبان ص(١٤٠، ١٤١).

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٩٢).

الثلاث[١] فاعلم أنَّ هذا هو مذهبهم في التثليث»[٢].

ثم يرد القاضي عبدالجبار علىٰ زعم النصارىٰ بأنهم لا يقولون بأنها ثلاثة آلهة، فكيف يحكىٰ عنهم التثليث، فقال: «إنكم قد أعطيتمونا معنىٰ التثليث وأسمعتموه واستوفيتم حقائقه، ومنعتم بعض العبارة عنه، ألا ترون أنكم تقولون إلـٰه هو أب والد حي قادر قديم عالم خالق رازق؟، وإلـٰه هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق ليس بأب ولا والد ولا يجوز أن يكون والدًا ولا أبًا، وإلـٰه روح قدس حيٌّ عالم قديم خالق رازق، ثم قلتم هي ثلاثة أقانيم، فقلتم في كل واحد منها أنه إلـٰه ورب وقديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتم التفصيل»[٣].

---

(١) الطوئف النصرانية الثلاثة اليعقوبية وهم: نسبة إلىٰ يعقوب البرادعي، لا كمؤسس لمذهبها، وإنما كمجدد له في القرن السادس الميلادي (٥٤٣م) وهم يقولون بأن للمسيح طبيعة واحدة نتيجة اتحاد الكلمة بالمسيح، لذلك يقولون أنَّ مريم ولدت إلهًا ليس إنسانًا عاديًا. انظر الملل والنحل، للشهرستاني (٦٦ـ٦٧)، والفصل لابن حزم (١/ ٥٣).

والملكانية: وهم النصارىٰ الذين علىٰ دين ملوك الرومان النصارىٰ. الفصل (١/ ١١٠ـ ١١١).

والنسطورية: نسبة إلىٰ نسطور الذي كان بطريركًا للقسطنطينية سنة (٤٢٨م) والذي ذهب إلىٰ القول بأنَّ مريم العذراء لم تلد الإلـٰه بل ولدت الإنسان فقط، انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص(٤٩).

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٩٣).

(٣) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٩٥).

ثم يعطي القاضي عبدالجبار مثالاً جميلاً، ومقنعًا لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهو شهيد في أنَّ القول بالتثليث هو القول بثلاثة آلهة، فقال: «وما مثال ذلك إلاَّ كمن قال: عبدالله العربي رجل وإنسان وجسم وشخص، وخالد الفارسي رجل وإنسان وجسم وشخص، وزيد الرومي رجل وإنسان وجسم وشخص، قلنا: فهؤلاء ثلاثة رجال، وثلاثة أناس، وثلاثة أشخاص، وثلاثة أجسام، فقلتم: لا، بل هو رجلٌ واحد.

قلنا: لا يؤثر امتناعكم من إطلاق هذه العبارة في شيء قد أشيعت حقيقته، وفيهم من يمتنع من أن يقول في كل واحدٍ من هذه الثلاثة أنه غير صاحبه، ثم يقولون ما شبهنا ولا مثَّلنا»[1].

ولا شكَّ أنَّ ما يقرره النصارىٰ من معنًىٰ للتثليث يلزمهم بالقول بآلهة ثلاثة، مهما حاولوا الفرار من هذا الإلزام، ومهما أوجدوا التبريرات المتكلفة والمعاني المُشكلة، للفرار من ذلك، لذلك يقول أبوحامد الغزالي[2] رحمه الله: «وقد سلكوا في تأويل الأقانيم مسلكًا ألزمهم القول بوجود ثلاثة آلهة، في الذهن والخارج، متباينة ذواتها وحقائقها، أو نفي ذات الإلـٰه جلَّ اسمه، وذلك أنهم جعلوا الأب عبارة عن الذات بقيد

---

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٩٥).

(٢) أبوحامدالغزالي: انظر: ملحق التراجم.

الأبوة، والابن عبارة عن الذات بقيد البنوة، وروح القدس عبارة عن الذات بقيد الانبثاق.

ثم يقولون: إله واحد، فإذا ضويقوا في ذلك، وتبينوا أنَّ ذات الأب مختصة بصفة الأبوة، غير قابلة لوصفها بالبنوة، وكذلك القول في الابن وروح القدس، قالوا: إنَّ الذات واحدة ووصفها بجميع هذه الصفات ممكن، لكنا إذا وصفناها بصفة قدرنا نفي ما يباينها، وهذا مكان الجهل والغفلة، لأنهم يقولون بقدم هذه الذوات أزلاً وبقدم صفاتها، فإذًا هي ملزومات لصفاتها، وصفاتها لازمة لها، ومتىٰ وجد الملزوم وجد اللازم، ومتىٰ انتفىٰ اللازم انتفىٰ الملزوم، فإذا قُدِّر نفي الصفة اللازمة للذات، قُدِّر نفي الذات، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار الكتاب العزيز بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ(١)﴾(٢).

ومن الأدلة العقلية التي ردَّ بها علماء القرون الستة علىٰ عقيدة التثليث عند النصارىٰ دليل التسلسل(٣)، وقد أبدع القاضي عبدالجبار المعتزلي، في بيان هذا الإلزام من خلال قولهم بالتثليث بكلامٍ طويل، منه قوله: «وقد ألزمهم شيوخنا القول بأنَّ كل واحدٍ من الأقانيم إله، لأنَّه إذا كان الابن

(١) سورة المائدة، آية: ٧٣.

(٢) الرد الجميل (١٥٦، ١٥٧).

(٣) دليل التسلسل: هو ترتيب أمورٍ غير متناهية. انظر: التعريفات للجرجاني (٤٢).

والروح مشاركين للأب في القِدم، فما أوجب كونه إلـٰهًا يوجب كونهما إلهين، وكون كل واحد فيهما إلـٰهًا يبطل أصل مقالتهم، لأنهم توصلوا إلىٰ ذلك بأنَّ القديم الفاعل إذا استحال كونه حيًّا إلاَّ بحياة، عالمًا إلا بعلم، وجب إثبات أقنومين كلمة وروح، فإذا أوجب بما ذكرناه كون كل واحد من ذلك إلـٰهًا، بطل هذا الطريق، ووجب أن نثبت لكل واحدٍ من الأقانيم أقنومين آخرين ويجب في كلٍّ واحدٍ منهما مثل ذلك أيضًا، وهذا يوجب إثبات آلهة لا نهاية لها»[1].

ثم يرد القاضي عبدالجبار علىٰ من أنكر من النصارىٰ أنَّ معنىٰ الأقانيم هو القول بثلاثة آلهة، فيقول: «فإن قالوا: لا يلزمنا علىٰ قولنا بالأقانيم الثلاثة إثبات ثلاثة آلهة، لأننا نقول إنها ثلاثة أقانيم وأنه جوهر واحد في الحقيقة، وإنما يلزمنا ذلك لو أثبتناها متغايرة وأثبتنا الجوهر غيرها.

قيل له: «إنَّ كل كلام تُوصُّل به إلىٰ الفساد في المذهب به من حيث المعنىٰ لا من حيث العبارة.

فاختلاف العبارات عنه في أنه لا يؤثر فيه كاختلاف العبارات بحسب اختلاف اللغات عن المذهب الفاسد في أنَّ

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/ ٨٧ـ٨٨، ٩٣)، وأشار إلىٰ هذا الرد بهذا المعنىٰ الحسن بن أيوب. انظر الجواب الصحيح (٤/ ١٦١ـ١٦٢)، ونصر بن يحيىٰ. انظر النصيحة الإيمانية ص(١٢٦ـ١٢٧).

ما يفسد به لا تتغيَّر حاله»[١].

يؤكد معنىٰ تعدد الآلهة الذي يتضمنه التثليث نصر بن يحيىٰ رحمه الله بقوله: «وإذا قلتم بثلاثة، أقانيم، وأنها في السماء من جوهرٍ قديم فيلزمكم الإقرار بثلاثة آلهة؛ لأنَّ الأقانيم أشخاصٌ يومأ إليها ويقع الحد عليها، وإذا كانت كذلك فسبيلها سبيل الأشخاص فبماذا تحتجون؟»[٢].

ومنه الشبه التي يستدل بها النصارىٰ علىٰ قضية التثليث، والتي نقلها القاضي عبدالجبار، قولهم: أنَّ الآحاد الكثيرة عشرة واحدة، والأبعاض الكثيرة إنسانًا واحدًا وذاتًا واحدة وليس في ذلك تناقض[٣].

قال القاضي عبدالجبار رادًّا علىٰ ذلك: «إنا نثبت آحاد العشرة متغايرة في الحقيقة، ونصفُها بقولنا عشرة لتتبيّن بهذه الجملة من سائر الأعداد وجملها، ونقول واحدة لنبين أنَّه مِنْ هذه الجملة مرة واحدة، وليس في ذلك تناقض إذا وقعت علىٰ المعاني التي أوردناها، وليس يصح ذلك لكم، لأنَّكم لا تثبتون الأقانيم متغايرة، ولا تفيدوا بقولكم جوهر واحد أنها

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٨٨).

(٢) النصيحة الإيمانية ص(١٢٧)، ونصه تمامًا عند الحسن بن أيوب في رسالته، انظر الجواب الصحيح (٤/ ١٦٢).

(٣) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/ ٨٩).

جملة واحدة»[(١)].

ويضيف الباقلاني أيضًا قوله: «يقال لهم: لم زعمتم أن الباري سبحانه ثلاثة أقانيم دون أن تقولوا أنها أربعة وعشرة وأكثر من ذلك؟ فإن قالوا: من قِبَل أنه قد ثَبَتَ أن الباري سبحانه موجود جوهر وثبت أنه حي وأنه عالم، فوجب أنه جوهر واحد ثلاثة أقانيم منها الجوهر الموجود، ومنها العلم والحياة؛ لأن الحي العالم لا يكون حيًا عالمًا حتى يكون ذا حياة وعلم فوجب أن الأقانيم ثلاثة. فيقال لهم: ما أنكرتم من أن تكون الأقانيم أربعة؟ لأننا نقول: إن القديم موجود حي عالم قادر، والقادر لا بد له من قدرة، فوجب أن تكون الأقانيم أربعة، فإن قالوا: القدرة هي الحياة، فهي أقنوم واحد، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون العلم هو الحياة؟ فوجب أن يكون الباري سبحانه أقنومين»[(٢)].

ثم يقول في نهاية إلزاماته للنصارىٰ: (في قولهم: «إن الأب إله، وإن الابن إله، وإن الروح إله، وإن الآلهة مع ذلك واحد» إذا كان كل واحد منهم إلهًا فهم ثلاثة آلهة، ولا معنىٰ

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٨٩، ٩٠).

(٢) التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، لأبي بكر محمد الباقلاني (٨١) ضبطه وقدم له وعلق عليه: محمود محمد الخضيري، وحمد عبدالهادي أبوريدة، الناشر: دار الفكر العربي.

ويطيل الباقلاني بمناقشة النصارىٰ بمثل هذه الإلزامات ص(٨١ـ ٨٣).

لقولهم إله واحد، وهم قد جعلوا الإلهية لكل واحدٍ منهم)[١].

من هنا يتَّضح التناقض الشديد الذي يتضمنه التثليث، ويطيل القاضي عبدالجبار في بيان هذا التناقض، والذي أحببت الإشارة إليه وتوضيحه مع طول نصه لتتم الفائدة حيث يقول: «إنَّ الذي ادَّعيناه عليهم من التناقض أردنا به تناقض المعنىٰ، وأنه لا يصح اعتقاده، ندعيه علىٰ من قال في الشيء الواحد أنه موجود معدوم وفي الجوهر الواحد أنه أسود وأبيض، وهذا لا يصح اعتقاده.

وما لا يصح اعتقاده لم يكن للتشاغل بإفساده وجه، لأنا إنما نتوصل بالشيء إلىٰ إفساد ما يصح أن يعتقد لنزيل به المعتقد عن اعتقاده، فأما ما قد علمنا أنَّ اعتقاده غير ممكن فلا وجه لطلب أمرٍ يزال به»[٢].

ويشبه القاضي عبدالجبار النصارىٰ بالثنوية[٣] من خلال

---

(١) المرجع السابق ص(٨٣).

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/ ٩٠، ٩١) بتصرفٍ يسير.

(٣) الثنوية: مذهب ديني فلسفي قديم يمثل أحد أطوار الديانة المجوسية، شاع في بلاد فارس قبل النصرانية وبعدها، وانتسبت إليه فرق تحمل اسماء أصحابها، ومن أقدمها الزرادشتية الديصانية المزدكية، ويقوم مذهب الثنوية على أساس أن العالم مركب من أصلين قديمين أزليين وممتزجين هما النور والظلمة، ويختلفان في الجوهر والطبع والصفات والفعل، فجور النور: الصفاء والنقاء والجمال، وجوهر: الظلمة: القبح واللؤم، وفعل النور: الخير والصلاح، وفعل الظلمة: الشر والفساد =

قوله: «علىٰ أنه يجب علىٰ قولهم أن تكون الأقانيم جوهرًا، لأنَّ إثبات ما ليس بجوهر قائم بنفسه لا يصح عندهم.

فيجب أن يقولوا: إنَّ الأقانيم جوهر، والجواهر جوهر آخر، وهذا يوجب عليهم إثبات جوهرين هما الإلـٰه، وفي ذلك نقض النصرانية.

ويقال لهم عند ذلك: أيتفقان أم يختلفان؟ فإن قالوا: يتفقان، فلم صار أحدهما أقانيم دون الأخر، وإن قالوا: يختلفان لزمهم اثبات قديمين مختلفين جوهر أحدهما مخالف الجوهر الآخر.

وهذا يضارع قول الثنوية، وإن قالوا في الأقانيم أنها ليست بجواهر، تركوا قولهم أنَّ كل واحد من الأقانيم جوهرًا واحدًا»(١).

من خلال هذه الردود العلمية لعلماء الإسلام لقضية التثليث تتبيَّن شدَّة وهائها، وتهافت القائلين بها.

وإذا كان النصارىٰ أنفسهم مختلفين في معنىٰ هذه القضية التي هي صُلب دينهم، وأسُّهُ وأساسه فلا ريب أنها عقيدة باطلة، لذلك يقول قاموس كتابهم المقدس: «وأخيرًا نودُّ أن نشير إلىٰ أنَّ عقيدة التثليث عقيدة سامية، ترتفع فوق الإدراك البشري ولا يدركها العقل مجردًا، لأنها ليست وليدة

= والفوضىٰ. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٤٢).

(١) المغني (٥/ ٩٨).

التفكير البشري، بل هي إعلانٌ سماوي يقدمه الوحي المقدس، ويدعمه الاختبار المسيحي»[(١)].

ولا شكَّ أنَّ مثل هذا الكلام منهم محاولة لإخفاء ذلك الخلاف المتأصل بينهم حول قضية التثليث، ولقد نقل علماء الإسلام رحمهم الله هذا الاختلاف الشديد بينهم في بيان معنىٰ التثليث.

قال الشهرستاني[(٢)] رحمه الله تعالىٰ: «صرَّحت الملكانية بأنَّ الجوهر غير الأقانيم وذلك كالموصوف والصفة، وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث، وأخبر عنهم القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ[(٣)]﴾[(٤)].

وقال رحمه الله أيضًا: «وقال نسطور: إنَّ الله تعالىٰ واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة علىٰ الذات ولا هي هو، وبعضهم «أي النساطرة» تثبت لله صفات أخر غير القدرة والإرادة ونحوهما، ولم

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص(٢٣٣)، والغريب في الأمر، وهو من التناقض الشهير والكثير عند النصارىٰ، أن قائل هذا الكلام الذي يدعي أنَّ عقيدة التثليث وحيٌ سماوي وليست وليدة التفكير البشري هو الذي يقول: [ويظن أنَّ أول من صاغها واخترعها واستعملها (كلمة التثليث) هو ترتلين في القرن الثاني للميلاد]. القاموس ص(٢٣٢).

(٢) الشهرستاني: انظر: ترجمته مفصلة في ملحق التراجم.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٣.

(٤) الملل والنحل ص(٢٢٢).

يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم أقنومين، ومنهم من أطلق القول بأنَّ كل واحد من الأقانيم الثلاثة حيٌّ ناطق إلـٰه، وزعم الباقون أنَّ اسم الإلـٰه لا يطلق علىٰ كل واحد من الأقانيم»[١].

وقال الشهرستاني أيضًا: «وأما أصحاب يعقوب فإنهم قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلاَّ أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإلـٰه هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ[٢]﴾[٣]، وذكر هذا تمامًا الباقلاني[٤] والماوردي[٥].

من هنا يتَّضح مدىٰ الخلاف القائم والواقع بين النصارىٰ أنفسهم في فهم عقيدة التثليث، فمن جاعل لهذه الأقانيم غير الجوهر، ومن قائل بأنها ليست زائدة علىٰ الذات وليست هي هو، ومن قائل بأنَّ الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا، بل «وزعم

---

(١) الملل والنحل ص(٢٢٤).

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٢

(٣) الملل والنحل ص(٢٢٥)، ونقل مثل ذلك القاضي عبدالجبار، انظر المغني (٥/ ٨٢).

(٤) التمهيد ص(٨٢، ٨٣، ٨٥).

(٥) أعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ص(٢٤، ٢٥)، قدم له وعلق عليه وشرحه: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت.

«مقدانيوس»[١] أنَّ الجوهر القديم أقنومان فحسب: أب وابن، والروح مخلوق، وزعم «سباليوس»[٢] أنَّ القديم جوهر واحد، أقنوم واحد له ثلاث خواص واتحد بكليته بجسد عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام»[٣].

إنَّ عقيدة التثليث عقيدة غير مدركة، وغير مفهومة، فهم يزعمون بأنها سرّ إلٰهي يجب الإيمان بها كما هي دون محاولة لفهمها أو إدراكها، لأنهم يزعمون أنها فوق إدراك العقول، ورحم الله المهتدي الحسن بن أيوب، الذي خَبَر هذه العقيدة وسبرغورها، وبان له عوارها وهو يخبر عن نفسه بعد إسلامه بقوله: «إنَّ ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول به من أكثر من عشرين سنة، لما كنت أقف عليه من فساد التوحيد لله عزَّوجل بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم وغيرها، مما تضمنته شريعة النصارىٰ، ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تقرير ذلك، وكنت إذا تبحرته وأجلت الفكر فيه بان لي عواره

---

(١) مقدانيوس: هو بطريرك الاسكندرية من (٣٥١ـ٣٦٠)، تعصب للأريوسيين فعزله قسطنطينوس الملك، أنكر لاهوت روح القدس. قصة الحضارة (١٢/ ٢١).

(٢) سباليوس: هو مؤسس الطائفة التي تقول بأن الأب والابن والروح القدس ليست أقانيم منفصلة بل هي صور مختلفة يظهر فيها الله للإنسان، منهم المنكرون وجود شخصية مستقلة للمسيح، والقائلون أن ألوهيته ليست إلاَّ قوة وهبت له، وهؤلاء كلهم يعتقدون أن الأب والابن شخص واحد. قصة الحضارة (١١/ ٢٩٥).

(٣) الملل والنحل ص(٢٢٧).

ونفرت نفسي من قبوله»[١].

ومن طريف نكت القاضي عبدالجبار رحمه الله حول مسألة التثليث إشارته إلىٰ أنَّ التثليث عقيدة وثنية قدمت إلىٰ النصارىٰ من الروم الوثنيين، والواقع أنَّ الذين دخلوا دين النصرانية مع بقائهم علىٰ كثير من عقائدهم الوثنية، والواقع أنَّ النصارىٰ ترومت وليس العكس[٢].

حيث يقول في موضعٍ آخر: «وهذا التثليث الذي للنصارىٰ قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه، من أنَّ العقل والعاقل والمعقول شيئًا واحدًا»[٣].

هكذا يوضح علماء القرون الستة من المسلمين بطلان عقيدة النصارىٰ في القول بالأب والابن والروح القدس، ويبينون رحمهم الله أنَّ عقيدة التثليث كذبٌ وافتراء علىٰ الله وعلىٰ رسوله عيسىٰ عليه السلام وأنه ليس للنصارىٰ أي مستند

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب، ضمن الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٨٨، ٨٩)، وانظر: مثل هذه الاعترافات لمن أسلم من النصارى: مثل «اللورد هلي الفاروق في كتابه: «إيقاظ الغرب للإسلام« ص(٧١)، ودي ساروان في كتابها «لماذا اعتنقت الإسلام» ص(١٢٧)، ومحمَّد مجدي مرجان في كتابه: «واحد أم ثالوث» ص(١٢، ٢٤).

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٦٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٦٩)، وتتمة الفائدة ينظر كتاب: «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية طاهر البيروتي، تحقيق د/عمر عبدالله الشرقاوي، مقارنة بين عقيدة التثليث عند النصارىٰ وعند الوثنيين ص(٥٣، ٦٨).

في اعتقادهم بالتثليث، وأنَّ كل ماتعلقوا به من الأدلة النقلية أو العقلية فاسدٌ وباطلٌ لا تقوم به حجة ولا يستقيم به برهان.

بل إنَّ الإنجيل الذي بين يدي النصارىٰ يكذب ذلك، حيث جاء فيه: «وسأله «يسوع» أحد الوجهاء: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فأجابه يسوع: لماذا تدعوني صالحًا، لا صالح، إلاَّ الله وحده»[1].

قال بعض الحكماء: إنَّ هناك ديانات ومقالات تعرف كذب أهلها بأدنىٰ تأمل، منها النصرانية...»[2].

وصدق الله إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾[3].

ويقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾[4].

---

(١) لوقا (١٨: ١٨-١٩).

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٨٢).

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٧١.

الفصل الثاني
جهود علماء المسلمين في ردِّ قول النصارىٰ بالأب

الأب في اعتقاد النصارى هو«الله جلَّ وعلا» إذ ورد في قاموس كتابهم المقدس: «أب، لفظ يطلقه المسيحيون علىٰ الله لأنه الأب السماوي»[١]، ويعتبره النصارىٰ أبًا لهم، كما يعتبرونه أبًا للمسيح عليه السلام[٢]، حيث جاء في كتابهم المقدس: «فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم، وإن كنتم لا تغفرون للنَّاس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم»[٣].

وجاء فيه أيضًا: «إن كان لا بد من الافتخار فأنا أفتخر بضعفي والله أبو ربنا يسوع تبارك إلىٰ الأبد يعرف أني لا أكذب»[٤].

هذا هو اعتقاد النصارىٰ في «الأب» الذي هو أحد أقانيم الثالوث المقدس عندهم.

والذي يتَّضح لي من خلال استقراء كتب علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ أنهم لم يفصلوا القول في مسألة الرد

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص(١).
(٢) المرجع السابق ص(١٨).
(٣) الكتاب المقدس إنجيل متىٰ (٦/ ٣٠، ٣١).
(٤) الكتاب المقدس رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (١١/ ٣٠،٣١).

علىٰ الأب».

«والروح القدس» كما سيأتي، كما فصلوه في مسألتي التثليث والابن، ولعلَّ ذلك راجع لتضمن الكلام في الرَّد علىٰ مسألة الابن والبنوة، والتي أطال علماء القرون الستة الكلام فيها، للرد على هاتين المسألتين.

ويستدل النصارىٰ لاعتقادهم في مسألة «الأب» علىٰ «عدة نصوص من كتابهم المقدس، من هذه النصوص:

أنَّ الله تقدس وتنزه عن مثل ذلك قال: «إسرائيل بكري وبنوه أولادي»[١].

وأنه تعالىٰ وتقدس وتنزه عن مثل ذلك قال لداود: «سيولد لك غلامٌ يسمىٰ لي ابنًا وأسمَّىٰ له أبًا»[٢].

وأنَّ المسيح قال في الإنجيل: «أنا ذاهب إلىٰ أبي وأبيكم وإلـٰهي وإلـٰهكم»[٣].

وأنَّ المسيح أمر الحواريين أن يقولوا: «ياأبانا الذي تقدس اسمك[٤]»[٥].

---

(١) الكتاب المقدس، سفر الخروج (١٤/ ٢٢، ٢٣).

(٢) الكتاب المقدس، سفر صموئيل الثاني (٧/ ١٢، ١٤).

(٣) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا (٢٠/ ١٧).

(٤) الكتاب المقدس، لوقا (١١/ ٢)، ومتىٰ (٦/ ٩).

(٥) ولاعتمادهم على النصوص السابقة. ينظر: فهرس الكتاب المقدس مادة «أبو» ص(٣، ٤، ٥).

يرد الجاحظ[١] عفا الله عنه علىٰ ما يذكره النصارىٰ من مزاعم بقوله: «إننا لا نجيز أن يكون لله ولد لا من جهة الولادة، ولا من جهة التبني، ونرى أنَّ تجويز ذلك جهلٌ عظيم، وإثم كبير، لأنه لو جاز أن يكون أبًا ليعقوب لجاز أن يكون جدًا ليوسف»[٢].

ويقول القاضي عبدالجبار رحمه الله في ذات الموضوع: «وقولهم أنَّ الله أبٌ للمسيح بمعنىٰ التبني والكرامة، فهذا أولاً يبطل قولهم أنه فيما لم يزل أبًا، ويوجب كونه أبًا في حال خلقه لعيسى، على أنَّ معنى التبني لا يصح إلاَّ في من يصح أن يكون له في الحقيقة ولد وفيما يصح أن يولد مثله لمثله، وفيما كان من جنسه من الحيوان، ولذلك لا يصح من الميت أن يتبنى الحي، لما لم يصح أن يكون له وهو ميت ابنًا في الحقيقة، ولا يصح أن يتبنى الشاب شيخًا كبيرًا ولا أن يتبنى عجلاً فصيلاً»[٣].

ويستمر الجاحظ في بيان سرد الردود العقلية على ما ذكره النصارىٰ من نصوص يستدلون بها على عقيدة «الأب» عندهم، فيقول أيضًا: «ولو جاز أن يكون ـ لله ـ جدًا وأبًا وكان ذلك لا يوجب نسبًا ولا يوهم مشاكلة في بعض

(١) الجاحظ: انظر: ملحق التراجم.
(٢) المختار في الرد علىَ النصارىٰ ص(١٠٤).
(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/ ١٠٥).

الوجوه، ولاينقص من عظم ولا يحط من بهاء، لجاز أيضًا أن يكون عمًا وخالاً، لأنه إن جاز أن نسميه من أجل المرحمة والمحبة والتأديب أبًا جاز أن يسميه آخر من جهة التعظيم والتفضيل والتسوية أخًا، ولجاز أن يجد له صاحبا وصديقًا، هذا ما لا يجوزه إلا من لا يعرف عظمة الله وصغر قدر الإنسان.

وليس بحكيم من ابتذل نفسه في توقير عبده، وليس من الحكمة أن تحسن إلى عبدك بأن تسيء إلىٰ نفسك»[(١)].

وزيادة في بيان هذا المعنىٰ الجميل من الجاحظ في رد مسألة «الأب».

قوله: «وبعد فلا يخلو المولىٰ من رفع عبده وإكرامه من أحد أمرين:

إما أن يكون لا يقدر علىٰ كرامته إلاَّ بِهَوان نفسه، أو يكون على ذلك قادرًا مع وفارة العظمة وتمام البهاء، والأول هو العجز وضيق الذرع، والثاني: هو الجهل الذي لا يحتمل، والوجهان علىٰ الله جلَّ جلاله منفيان»[(٢)].

ومن الأدلة العقلية البديعة في هذا الباب:

ما ذكره الجاحظ ـ ولعله أبرز المتكلمين عن هذه القضية ـ بقوله: «ويقال: إنَّ الله تبارك وتعالىٰ لو علم أنه كان

---

(١) المختار في الرد علىٰ النصارىٰ ص(١٠٣).

(٢) المرجع السابق ص(١٠٤).

فيما أنزل من كتبه علىٰ بني إسرائيل: أنَّ أباكم كان بكري وابني»[١]، «وأنكم أبناء بكري»[٢]، لما غضب عليهم إذ قالوا: «نحن أبناء الله»[٣] فكيف لا يكون ابن ابن الله ابنه»[٤].

ولا شكَّ أنَّ القول بـ«الأب» جاء نتيجة للقول بعقيدة التثليث، إذ شبهوه جلَّ وعلا بالإنسان تمامًا علىٰ الحقيقة، ونتيجة لهذا التشبيه التام بالإنسان قالو بالبنوة.

يقول القاضي عبدالجبار في معرض بيان ذلك: «ولكنهم «النصارىٰ» لما اعتقدوا في الله عزَّوجل أنه رجل وإنسان وشخص، وما هذه سبيله لم يرضوا أن يجعلوا له أبناء إلَّا بالحقيقة من طريق الولادة والتناسل، وهم يقولون: «إنَّ الله الأب قال لابنه يسوع المسيح: «إني ولدتك قبل أن أخلق كوكب الصبح[٥]»[٦].

والله جلَّ وتنزه وتقدَّس عن صفات العيب والنقص، أنكر في كتابه العزيز قول العرب: بأنَّ الملائكة بنات الله، فكيف يجيز سبحانه وتعالىٰ أن يكون له ولد.

---

(١) يشير إلىٰ ما ورد في سفر الخروج (٤/ ٢٢).

(٢) يشير إلىٰ ما ورد في التكوين (٢٧/ ٣٢).

(٣) يشير إلىٰ ما ورد في إنجيل متىٰ (٢٣/ ٣١).

(٤) المختار في الرد علىٰ النصارىٰ ص(١٠٤).

(٥) لم أجد هذ النص في الكتاب المقدس، جاء في رؤيا يوحنا (١١) أنا أصل داود ونسله في ناقوس الصبح المنير (١٦٢٢).

(٦) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار (١/ ١٢١).

قال الجاحظ في ذلك: «إنَّ الله استعظم زعم العرب بأنَّ الملائكة بنات الله وغضب علىٰ أهله، وإن كان يعلم سبحانه أنَّ العرب لم تجعل الملائكة بنات الله علىٰ الولادة واتخاذ الصاحبة، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون الله قد كان يخبر عباده قبل ذلك بأنَّ يعقوب ابنه(١)، وأنَّ سليمان ابنه(٢)، وأنَّ عزيرًا ابنه(٣)، وأنَّ عيسىٰ ابنه(٤)، فالله تعالىٰ أعظم من أن يكون له أبوة من صفاته، والإنسان أحقر من أن تكون له بنوة الله تعالىٰ من أنسابه»(٥).

ثم يقال في هذا الموضوع أيضًا كيف انفصل الأب عن الابن، فصار هذا أبًا وهذا ابنًا، مع اشتراكهما في جوهر واحد؟

يقول نصر بن يحيىٰ في ذلك: «وقولهم في تسبيحة إيمانهم: أنَّ الابن من جوهر أبيه، فبم انفصل أحدهما عن الآخر؟ ولا يخلو هنا أن يقولوا فلا فرق بين الأب والابن، ولم كان الأب مولودًا بأولىٰ أن يكون الابن مولودًا للأب؟

فإن قالوا انفصل أثبتوا التركيب لكل واحد منهما، وهم

---

(١) انظر: سفر التكوين (٢٨/ ١٣، ٢٢) وانظر سفر التكوين (٣٢/ ٢٣، ٣٠).

(٢) انظر: سفر صموئيل الثاني (١٢/ ٢٤).

(٣) سفر عزرا(٧/ ١١)، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

(٤) انظر: إنجيل لوقا (٣/ ٢٢)، ومتىٰ (٤/ ١ـ ١١) ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

(٥) المختار في الرد علىٰ النصارىٰ ص(١٠٥).

يأبون ذلك»[١].

ثم لماذا ساغ عند النصارىٰ أن يكون الله ـ تعالىٰ وتقدس وتنزه ـ أبًا، ولم يكن جدًا وأخًا وعمًا وعندهم في الإنجيل ما يسوغ ذلك ويبرره؟

يقول الجاحظ في ذلك: «والقول بأنَّ الله يكون جدًا وأخًا وعمًا للنصارىٰ ألزم، لأنَّ النصارىٰ تزعم أنَّ الله هو المسيح ابن مريم، وأنَّ المسيح قال للحواريين «إخوتي»[٢] فلو كان للحواريين أولاد لجاز أن يكون الله عمهم»[٣].

ومتىٰ ما جاز أن يكون عمًّا جاز أن يكون جَدًّا وخَالاً فلا مانع هنا من ذلك.

ومن عجيب ما ينقله الحسن بن أيوب عن النصارىٰ في عقيدة الأب قوله: «إنهم يقولون إنَّ الله الأب لما رأىٰ استيلاء العدو علىٰ خلقه، ونكول الأنبياء عن مناوأته أرسل إليه ابنه الفرد وحبيبه»[٤].

ثم إنَّ «الأب» الذي هو «الله» عند النصارىٰ تعالىٰ الله وتقدس عن مثل ذلك ضعيف القدرة والقوة، فكل ذلك

---

(١) النصيحة الإيمانية ص(٦٤).

(٢) انظر إنجيل متىٰ (١٠/ ٢٨).

(٣) المختار في الرد علىٰ النصارىٰ ص(١٠٥)، وقريبًا من هذا المعنىٰ، المغني للقاضي عبدالجبار (٥/ ١٠٥، ١٠٦).

(٤) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١١٢)، ولم أجد هذا المعنىٰ فيما توفر لديَّ من مراجع النصارىٰ وكتبهم.

بيدالمسيح.

يقول القاضي عبدالجبار: «واعلم أنَّ النصارىٰ تعتقد أنَّ الأب قد اختلع من ملكه كله وجعله لابنه، فهو يخلق ويرزق ويحيي ويميت، وهذا بيِّن في تسبيحة إيمانهم»[١].

وهذا مصرحٌ به في تسبيحة إيمانهم وهذا اسم آخر لقانون الإيمان الينقوي، والذي جاء فيه: «ونؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، . . .إلىٰ قولهم بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء».

فأي تناقض هذا الذي سلب «صانع مايرىٰ وما لا يرىٰ» وهو الأب عندكم الصنع والخلق والإتقان؟!»[٢]

قال أبوالوليد الباجي رحمه الله رادًّا على راهب فرنسا[٣]: «وأما ملكوت رب العالمين فهو المنفرد به تعالىٰ، لا ينبغي أن يشاركه فيه طائعٌ ولا عاص، ولابرٌّ ولا فاجر»[٤].

---

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١١١).

(٢) انظر: النصيحة الإيمان ص(٦٨، ٦٩).

(٣) راهب فرنسا حنا مقار، أو يوحنا الأسباني أو الإشبيلي، أحد اليهود المتنصرين، وقد حرَّق الفلاسفة الغربيون كنيته العربية وهي ابن داود »إلى «افنديت»، وقد ترجم كتب ابن سينا والغزالي والفارابي وغيرهم إلى اليهودية، وقد أدخل الأرقام العربية إلى الغرب، عاش في القرن الثاني عشر الميلادي. انظر: قصة الحضارة (١٧/١٧).

(٤) رسالة أبي الوليد الباجي في الرد علىٰ راهب فرنسا ص(٦٦).

لذلك يعجب أبوعبيدة الخزرجي من النصارىٰ أشد العجب في اعتقادهم بـ«الأب» فيقول: «وأيم الله، ما يُعلم في معمور الأرض ديانةً يشرع بها إنسان، تضاد الفلسفات[(١)] والعقليات التي ادَّعيتم تجويز محالاتكم عليها، مثل ملتكم، ولعمري إنَّ العرب عبدة الأوثان[(٢)] الذين بعث الله فيهم سيد النَّبيين والمرسلين محمَّدًا ﷺ كانوا أشد الكفار عبادة للأوثان وأشنعهم إلحادًا، ورغم هذا فلقد اتقوا من مثل ما أنتم عليه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم[(٣)] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[(٤)].

---

(١) الفلسفة: كلمة يونانية مركبة من كلمتين «فيلا» بمعنىٰ الإيثار وجعلها فيثاغورس بمعنىٰ محبة، و«سوفيا» ومعناها الحكمة، والفيلسوف مشتق من الفلسفة بمعنىٰ «مؤثر الحكمة» إلا أن المصطلح تطور وأصبح يعني الحكمة. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١١١٨، ١١١٩).

(٢) الوثن: الصنم، والوثن الصنم ما كان، وقيل: الصنم الصغير. قال ابن منظور: الفرق بين الوثن، والصنم: أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمي تعمل وتنصب فتعبد، والصنم الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين، وقد يطلق الوثن على غير الصورة، والجمع أوثان ووُثن ووَثْن وأُثُنٌ. انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٤٣) مادة (وثن).

(٣) الصنم: الصاد والنون والميم كلمة واحدة لا فرع لها، وهي الصنم، وكان شيئًا يتخذ من خشب أو فضة أو نحاسٍ فيعبد. انظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا.

(٤) الزمر، آية: (٣).

فكأنهم نزهوا الله تعالىٰ إلاَّ أنهم جعلوا واسطة بينهم وبينه جهلاً منهم.

ما أبين فضل هؤلاء علىٰ من اعتقد أنَّ الله تبارك وتعالىٰ نزل من السماء عن كرسي عظمته، ودخل في امرأة. . . »(١).

ومن أعجب ما يذكر عندالنصارىٰ في هذا المقام، خصوصًا مع اعتقادهم بالتثليث، وأنَّ الثلاثة واحد، ومع محاولاتهم المتكلفة واحتجاجاتهم المتناقضة لإثبات ذلك.

فعلىٰ فرض صحة ذلك فإنَّ «الأب» عندهم والذي هو الله، ـ تعالىٰ الله وتقدس عن صفات العيب والنقص ـ فإنه ملعون ـ عياذًا بالله ـ بنص كتابهم المقدس.

وإلىٰ ذلك أشار أبوعبيدة أيضًا بقوله: «. . .أنه تبارك وتعالىٰ أوجب علىٰ نفسه اللعنة ـ عياذًا بالله من الكفر والضلال ـ لأنه قال في التوراة: «وإذا وجدتم علىٰ أحد جريمة تستوجب القتل، فقتل وعُلق علىٰ خشبة فلا تتركوا جثته علىٰ الخشبة إلىٰ اليوم الثاني، بل في ذلك اليوم تدفنونه، لأنَّ المعلَّق ملعونٌ من الله، فلا تنجسوا أرضكم التي أعطاكم الرب إلـٰهكم ملكًا لكم»(٢).

ولقد جعلتموه سفيهًا ـ عياذًا بالله من الضلال ـ حين وصفتموه بهذا الأمر وهو قادرٌ عليه، نستعيذ بالله من شرِّ هذا

(١) مقامع هامات الصلبان ص(١٥٢، ١٥٣).

(٢) سفر التثنية (٢١/ ٢٢،٢٣).

الإلحاد الذي شرعتموه ونستهديه أوضح سبل الرشاد الذي حرمتموه، تعالىٰ الله عمَّا يقولون علُوًّا كبيرًا»[١].

وقد يكون المراد بكل ما ورد في كتب النصارىٰ من إطلاق لفظ الأبوة، أو ما يتبعها من بنوة علىٰ فرض صحتها، إنما هو من باب المجاز اللغوي، حيث يقول أبوحامد الغزالي: «أما ما تعلقوا به من إطلاق الأبوة علىٰ الله عزَّوجل، والبنوة علىٰ نفسه ظانين بأنَّ ذلك محصّل غرضًا، أو مثبت خصوصية يقع بها الامتياز فليس الأمر كذلك وإنما حَمْله علىٰ أنَّ تجوز بمثل ذلك مع القطع بأنَّ الحقيقة غير مراده، لأنَّ الأب جُبل علىٰ أن يكون شديد الحنان والرأفة والرحمة والشفقة لولده، حريصًا علىٰ أن يجلب له جميع الخيور، ويدفع عنه جميع الشرور، مجتهدًا علىٰ أن يوضح له طرق الخير ويأمره بالمبادرة إليها، مسارعًا، إلىٰ تحذيره مما يفضي به إلىٰ عقوبة أو لوم، أو ضرر دائم، أو جهالةٍ ساترة لما يراد به في المستقبل»[٢].

ويقول الشهرستاني رحمه الله في ذلك أيضًا: «وأطلقوا لفظ الأبوة علىٰ الله عزَّوجل وعلىٰ المسيح لما وجدوا في الإنجيل، حيث قال: «إنَّك أنت الابن الوحيد»[٣].

---

(١) مقامع هامات الصلبان ص(١٥٣).

(٢) الرد الجميل ص(١٤٤، ١٤٥).

(٣) انظر رسالة يوحنا الأولىٰ (٣:١٨، ٤:٩).

ولعلَّ ذلك من مجاز اللغة، كما يقال لطلاب الدنيا: أبناء الدنيا، ولطلاب الآخرة أبناء الآخرة»[١].

من خلال مامرَّ معنا من كلام النصارىٰ، واعتقادهم في «الأب»، وما سبقه من كلامٍ في عقيدة التثليث، يتَّضح لنا مدىٰ عمق تأثر النصارىٰ بالقول بالحلول[٢] والاتحاد[٣].

وعقيدة الحلول والاتحاد عقيدة وثنية قديمة، سبق النصارى إليها البراهمة[٤]، والبوذيون[٥]، والزادشتيون[٦].

---

(١) الملل والنحل ص(٢٢٢).

(٢) هو اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلىٰ أحدهما إشارة إلىٰ الآخر كحلول ماء الورد في الورد، أي حلول أحدهما في الآخر. انظر: التعريفات للجرجاني ص(٩٨).

(٣) هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا. تعريفات الجرجاني ص(٦).

(٤) البراهمة: هي الاسم الآخر للهندوكية، وهي نسبة إلى «براهما» الذي يمثل عند الهندوك القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرًا من العبادات، كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد، وتقديم القرابين، والبراهمية مشتقة من البراهما لتكون علمًا على رجال الدين الذين كانو يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي؛ ولذا لا يجوز ذبح الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٩٥).

(٥) أتباع بوذا، صاحب مذهب أخلاقي يدعو إلىٰ التقشف والزهد والعمل علىٰ التخلص من الألم ولم يكن يعنىٰ بالحديث عن الإلـه عاش (٥٦٣ـ ٤٨٣) ق م، انظر د/ كامل سعفان موسوعة الأديان القديمة معتقدات أسيوية ص(١٩٩).

(٦) هم أتباع الحكيم زرادشت، زعيم ديني فارسي، ولد في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وهاجر إلىٰ شراحه إيران في مرحلة شبابه، دعا الناس إلىٰ عبادة النار، =

والتي لم يفصّل القول في هذه الجزئية علماء المسلمين في القرون الستة الهجرية الأولىٰ، وإنما جاء بعدهم عليهم رحمة الله جميعًا من أوضح هذا الترابط وهذه العلاقة بين النصارىٰ وغيرهم في هذه المسألة[1].

= مات قتيلاً في بيت فيه النار في بلخ حوالي سنة (٥٨٣ قبل الميلاد.

انظر بطرس البستاني دائرة المعارف (٩/ ١٩٨، ١٩٩) ومحمَّد شقيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة ص(٩٢٢).

(١) خصوصًا شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (٢/ ١٦٠ـ ٢٠٠).

الفصل الثالث
جهود علماء المسلمين في رد قول النصارى بالابن

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **ذكر أدلة النصارى على قولهم بألوهية المسيح والرد عليهم.**

المبحث الثاني : **الرد على قولهم ببنوة المسيح من كتبهم.**

المبحث الثالث: **الرد على قولهم بالبنوة بالأدلة العقلية.**

أولاً: رسالته ﷺ إلى هرقل وهي: «من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1]»[2].

ثانيًا: من تأمل حوارات النبي ﷺ وأصحابه وجد أن غايتها هذا الهدف الأسمى، ومن ذلك أنه لما سمع بعض نصارى الحبشة بمبعث النبي ﷺ قدموا إلى مكة ـ وكان ذلك قبل الهجرة ـ وكانوا عشرين رجلاً فأتوا النبي ﷺ فوجدوه عند البيت الحرام، فجلسوا إليه وكلموه، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، وعندما أسلموا[3] أنزل الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) صحيح البخاري: ١/٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢٨ـ٢٩.

هذا ما جاء به عيسى عليه السلام إلى قومه وإن أنكره النصارىٰ وسيتضح ذلك إن شاء الله من خلال الرد عليهم في عقيدتهم بالابن من كتبهم.

أما اعتقاد النصارى بالمسيح عليه السلام، فهم يعتقدون أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إله وربٌّ لجميع الخلائق، لأنه ـ على حدّ زعمهم ـ ابن الله نزل إلى الأرض في صورة البشر[(١)] وسيأتي تفصيل ذلك قريبًا إن شاء الله.

وبنوة المسيح لله حسب اعتقادهم ليست مجرد لقب يطلق على المسيح عليه السلام فحسب بل هي أهم ألقابه، وعليه فإنه يجب على كل نصراني الإيمان بذلك، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في شريعة إيمانهم المجمع عليها بين جميع طوائفهم: «نؤمن بالله الأب مالك كل شيء صانع ما يُرى وما لا يُرىٰ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم»[(٢)].

وبناءً على ما ذُكر نعلم أن القول بالابن، والبنوة، من

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس ص (٨٦٠ـ٨٨٨).

(٢) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ٩٧، ٩٨)، والنصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن يحيى ص (٦٨، ٦٩) وأشار إلى هذا المعنى أيضًا: عبدالله الترجمان في تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص (١٧٤، ١٧٥).

عقائد النصارى المجمع عليها عند جميع طوائفهم، بعد مجمع نيقية، فإنهم جميعًا يؤمنون بشريعة إيمانهم هذه ويعملون بمقتضاها.

أما مستندهم في ذلك، فليس لهم في ذلك أي دليل يصح التعويل عليه لا من قول المسيح ولا من أقوال غيره من الأنبياء السابقين عليهم السلام، فكل ما عندهم أنهم اتبعوا من ابتدع لهم هذه العقائد من أساقفتهم وغيرهم من رؤساء دينهم، كما يقول المهتدي نصر بن يحيىٰ المتطبب في مقدمة كتابه: «ليس لاعتقادهم أصل يعوَّلُ عليه ولا برهانٌ يستند إليه قد اقتدوا بقوم لا يعقلون واغتروا بجهال لا يفقهون»[(١)].

وهكذا فالنصارىٰ ليس لهم أي مستند في اعتقادهم "بالابن" أو بعبارة أو أخرى ببنوة عيسىٰ المزعومة لله تعالى، وكل ما عندهم لا تعدو أن تكون شبه وأوهام تعلقوا بها بسبب تفسيرات مضلله من رؤسائهم حيث تمسكوا بظواهر بعض الألفاظ الواردة في أناجيلهم مما يوهم نسبة الولد، أو الابن لله تعالى، ثم أولوها على حسب أهوائهم.

ومن تلك الألفاظ، أو ما يعتبره النصارىٰ أدلة على القول بالابن وهو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عندهم:

أولاً: يحكون عن المسيح عليه السلام أنه قال: «أنا

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص (٥٢) ويشير إلى ذلك أيضًا عبدالله الترجمان في تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص (١٨١-١٨٣).

بأبي وأبي بي»[١].

ويحكون عنه أيضًا أنه تضرع إلى الله في تلاميذه وقال: «ياأيها الأب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم شيئًا واحدًا وكما أنك أرسلتني فكذلك أرسلهم فأنا بهم وهم بي»[٢].

قال نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ رادًّا هذا الدليل وهذه الشبهة على القول ببنوة المسيح: «ومعنى ذلك أنك معي كما أني مع تلامذتي وأنك أرسلتني إلى الخلق لأدعو إليك، وكذلك أرسلتهم إلى عبادك.

ولو لم يكن كما قلنا لكان معناه على قولهم: أن الله بالمسيح بمعنى أن قوامه به وهذا كفر لأن قوام كل شيء بالله يوجب التداخل والامتزاج وهو أن يكون الله في المسيح والمسيح في الله وأن يكون تلامذته متداخلين فيه وهو متداخل في تلامذته وهذا ظاهر الفساد»[٣].

وقال الغزالي ـ رحمه الله ـ معضدًا قوله نصر في النص السابق: «أطلق هذا التلميذ الجليل عندهم (يوحنا) هذه الكلمات مصرحًا فيها بالحلول من خلال قوله: (الله لم يره أحد قط فإن أحب بعضنا بعضًا فالله حال فينا ومحبته كاملة

---

(١) يوحنا (١٧: ٢١، ٢٢).

(٢) يوحنا (١٧: ١١، ١٢).

(٣) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص (٨٠، ٨١).

فينا وبهذا نعلم أنا حالون فيه وهو أيضًا حال فينا لأنه قد أعطانا من روحه ونحن رأينا ونشهد أن الأب أرسل ابنه لخلاص العالم... وذكر فيها أيضًا من يعترف أن يسوع هو ابن الله فالله حال فيه وهو أيضًا حال في الله)[١].

فإن يكن هذا التلميذ الجليل عندهم فهم أن الحلول الذي أثبته عيسى عليه السلام في النصوص المذكورة مقتض للإلهية فيكون مثبتًا لنفسه ولغيره الإلهية بقوله: وبهذا نعلم أنا حالون فيه وهو أيضًا حال فينا، وهم لا يعتقدون فيه ذلك ولا في أحد من سائر تلامذة عيسى عليه السلام وأتباعه، فتعين أنه فهم من النصوص ما أشرنا إليه من المجاز ويدل على ذلك أنه أومأ إلى جهة المجاز بقوله: لأنه قد أعطانا من روحه.

يريد: أنه أفاض علينا سرًّا وعناية علمنا بهما ما يليق بجلاله ثم وفقنا إلى العمل بمقتضاه فلا نريد إلا ما يريده ولا نحب إلا ما يحبه»[٢] مع التحفظ على هذا المعنى الذي يقرر بعض عقائد المتصوفة والفلاسفة.

من خلال ما تقدم يتبين لنا بطلان صحة الاستدلال بهذا الدليل الذي يتعلق به النصارى لمجرد وروده في الإنجيل.

ولله در القائل:

وكم من عائب قولاً صحيحًا   وآفته من الفهم السقيمِ

---

(١) رسالة يوحنا الأولى (٤: ١٢-١٧).

(٢) الرد الجميل ص (١٠٩-١١١).

ولكـنِ تـأخـذ الأفهـام منـه على قدْر القرائح والعلوم[١]

ثانيًا: ويستدل النصارى على بنوة المسيح وألوهيته بما ورد في الإنجيل من أنه قال: «لا يصعد إلى السماء إلا من نزل من السماء»[٢].

قال نصر ـ رحمه الله ـ في معرض رده لهذا الدليل: «وهذا الكلام له وجوه في التأويل منها: أن المراد به أن الملائكة التي تصعد إلى السماء هي التي نزلت من السماء، ووجه آخر: أنه لا يصعد إلى السماء من أعمال الناس إلا ما كان زكيًّا مأخوذًا عن الوحي والتنزيل.

ولو كان كما زعموا وصح ما أوردوا وأخذوا بظاهر ما حكوا فقد صعد إلى السماء فيما يزعمون غيره، ولم يكونوا نزلوا من السماء وهم: أخنوخ[٣] وإلياس[٤] فهم في ذلك بين أمرين: إبطال الخبر وتكذيب من نقله، أو القبول له وتأويله

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ص (٢٣٢)، دار صادر.

(٢) يوحنا (٣: ١٣).

(٣) أخنوخ: اسم عبري معناه «مكرس» أو محنك، وهو ابن يارد، عاش ثلاثمائة وخمسًا وستين سنة، انظر معجم الكتاب المقدس ص (٣٢). ورد في الإنجيل أنه لم يوجد بعد ذلك لأن الله أخذه. انظر: سفر التكوين (٥: ٢٤).

(٤) هو (إيليا): اسم عبري ومعناه «إلـهي يهوه»، والصيغة اليونانية لهذا الاسم «إلياس» وتستخدم في العربية، نبي عظيم، له كثير من المعجزات، كإحياء ابن الأرملة من الموت، والمشي على الماء والصعود إلى السماء عند النصارى. معجم الكتاب المقدس ص (١٤٤، ٣٤٥).

على غير ما أوردوه.

ويلزمهم على ذلك أن يكون قد صعد إلى السماء جملة المسيح، أعني: جسمه مع لاهوته على قولهم، والناسوت لم ينزل من السماء فقد صعد إلى السماء من لم ينزل منها»[١].

وأشار الحسن بن أيوب إلى ذات الرد في رسالته إلى أخيه[٢].

ثالثًا:

ومما يستدل به النصارى على بنوة المسيح وألوهيته أيضًا ما ورد في كتابهم المقدس من أنه عليه السلام أحيا الموتى[٣] وأبرأ الأكمه والأبرص[٤] ومشى على الماء[٥]

---

(١) النصيحة الإيمانية ص (٨١).

(٢) انظر رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٣).

(٣) حيث ورد في الإنجيل في قصة طويلة أنه أحيا رجلاً اسمه «ليعازر» بعد موته بأربعة أيام حيث: «صاح بأعلى صوته (المسيح): «ليعازر اخرج فخرج الميت مشدود اليدين والرجلين بالأكفان معصوب الوجه بمنديل، فقال لهم يسوع: حلُّوه، ودعوه يذهب» انظر يوحنا (١١ : ١ـ٤٥).

(٤) حيث جاء في الإنجيل: أنه أتى له بأخرس فيه شيطان فلما طرد يسوع الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع.. انظر متى (٩ : ٨) شفاء الأبرص: متى (٨: ٢ـ٤) ومرقس (١: ٤٠ـ٤٥) ولوقا (٥:١٢ـ١٦)، وسيأتي معنا النص كاملاً في الصفحة التالية.

(٥) كما جاء في الإنجيل من أنهم: رأوا يسوع يدنو من القارب ماشيًا على البحر فخافوا، فقال أنا هو لا تخافوا...» انظر يوحنا (٦: ١٦ـ ٢١).

وصعد إلى السماء[١] وصير الماء خمرًا[٢] وكثّر القليل[٣].

قال الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ رادًا دعوىٰ بنوة المسيح وألوهيته بناء على ما ذكر: «يجب عليكم ـ معشر النصارى ـ أن تنظروا إلى كل من فعل مثل هذه الأمور فتجعلونه ربًا وإلهًا فإن كتاب (سفر الملوك) يتضمن: (أن إلياس أحيا ابن الأرملة، واليسع أحيا ابن الإسرائيلية، وأن حزقيال أحيا خلقًا كثيرًا)[٤] ولم يكن أحد من هؤلاء بإحيائه الموتىٰ إلهًا»[٥].

هذا بالنسبة لإحياء الموتى، أما بالنسبة لإبراء الأكمه فيقول الحسن بن أيوب أيضًا: «إن التوراة تخبر: (أن يوسف

---

(١) كما جاء في إنجيلهم: «وبعد ما كلم الرب يسوع تلاميذه رُفع إلى السماء وجلس عن يمين الله» انظر مرقس (١٦: ١٩، ٢٠)، ولوقا (٢٤: ٥٠ـ٥٣).

(٢) وهي أولى معجزات المسيح كما يعدها الإنجيل حيث ورد أنه قال للخدم: «املأوا الأجران بالماء فملأوها حتى فاضت، فقال لهم: استقوا الآن وناولوا رئيس السدنة، فناولوه، فلما ذاق الماء الذي صار خمرًا. . . انظر انجيل يوحنا (٢: ١ـ١١).

(٣) حيث ورد في الإنجيل أنه أطعم خمسة آلاف شخص من خمسة أرغفة من شعير وسمكتين، فأخذ يسوع الأرغفة وشكر ثم وزع على الحاضرين بمقدار ما أرادوا. انظر يوحنا (٦: ٤ـ١٤).

(٤) سفر الملوك (١٨: ١٧ـ٢٤)، وسفر الملوك الثاني (٤: ٨ـ٣٧).

(٥) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٠، ١٢١) ونقله بتمامه نصر بن يحيى في النصحية الإيمانية ص (١٠٤، ١٠٥) وانظر الرد الجميل للغزالي ص (٩٥).

أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت)[١] وتخبر أيضًا: (أن موسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصر بهما)[٢]»[٣]، وذكر مثل ذلك الماتريدي رحمه الله[٤].

ويتابع علماء الإسلام الرد عى شُبه النصارى في مسألة استدلالهم على ألوهية المسيح وبنوته بإبراء الأبرص فيقول نصر ـ رحمه الله ـ: «أما إبراء الأبرص فإن كتاب سفر الملوك يخبر أن رجلاً من عظماء الروم اسمه (نعمان)[٥] برص فرحل من بلده قاصدًا اليسع[٦] يبرئه فوقف على بابه أيامًا فلم يؤذن له في الدخول إليه، وأُخبر اليسع به فقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى هذا الرجل وقل له: انغمِس في الأردن[٧] سبع مرات فمضى وفعل ذلك فذهب عنه البرص ورجع إلى بلدته،

(١) سفر التكوين (٤٦ : ٤).
(٢) سفر الخروج (٤: ١ـ٥).
(٣) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢١).
(٤) التوحيد ص(٢١٢).
(٥) نعمان: اسم سامي معناه «نعيم» وهو نعمان بن بانع بن بنيامين رئيس عشيرة النعمانين. انظر معجم الكتاب المقدس ص (٩٧٣).
(٦) اليسع: اسم عبراني معناه «الله خلاص» وهو خليفة إيليا في العمل النبوي، واسمه اليشع بن شاقاط ومن سبط يساكر، ينتسب إلى أسرة ثرية، ترك الثراء وتبع إيليا للعمل النبوي والاشتغال بالدعوة، قام بمعجزات كثيرة لم يقم بها أي نبي آخر، كما سجلها العهد القديم. انظر معجم الكتاب المقدس ص (١١١، ١١٢).
(٧) الأردن: اسم عبري معناه «الوادي المنحدر»، وهو أهم أنهار فلسطين. انظر معجم الكتاب المقدس ص (٤٦).

فتبعه خادم[١] اليسع وأوهمه أن اليسع وجه به إليه يطلب منه مالاً فسر بذلك، ودفع إليه شيئًا كثيرًا، فرجع وأخفى ذلك عن اليسع، فقال له: تبعت النعمان وأوهمته عني كذا وكذا وأخذت منه مالاً وأخفيته في موضع كذا، وحيث قد فعلت فليصر برصه عليك وعلى نسلك فبرص الخادم في الحال[٢]، فهذا اليسع أبرأ أبرصًا، وأبرص صحيحًا وهو أعظم مما فعل المسيح ولم يكن في فعله إلهًا»[٣]، وذكر ذلك موجزًا الماتريدي رحمه الله[٤].

أما استدلال النصارى على ألوهية المسيح وأنه ابن الله تعالى بمجرد مشيه على الماء فلا يستقيم ولا يصح به الاستدلال، حيث يقول الحسن بن أيوب رحمه الله:

«فهذا سفر الملوك «يخبر أن «إلياس» صار إلى الأردن، ومعه تلميذه اليسع فأخذ عمامته، وضرب بها الأردن، فاستيبس له حتى مشى عليه، ثم صعد إلى السماء على فرسٍ من نور، واليسع يراه، ودفع عمامته إلى اليسع فلما رجع إليه، إلى الأردن، ضرب الماء فاستيبس له حتى مشى

---

(١) خادم اليسع: اسمه جيحزي كما جاء في معجم الكتاب المقدس ص (٩٧٣).

(٢) انظر إنجيل لوقا (٤: ٢٤-٣٠)، ومرقص (١: ٤١)، وسفر الملوك الثاني (٥: ١-٢٧).

(٣) النصيحة الإيمانية ص (١٠٥)، والفكرة ذاتها عند الحسن بن أيوب في الجواب الصحيح (٤/ ١٢٢، ١٢٣).

(٤) كتاب التوحيد ص(٢١٢).

عليه»[١] ولم يكن واحدٌ فيهما بمشيه على الماء إلهًا، ولا كان إلياس بصعوده إلى السماء إلهًا»[٢] وأشار إليه الماتريدي[٣]، من هنا يتضح تناقض ادعائهم ألوهية المسيح وبنوته لمجرد مشيه على الماء فإن أبوا إلا ذلك، فيلزمهم القول ببنوة وألوهية إلياس، وإلا فما الفرق؟

أما استدلالهم بأن المسيح عليه السلام صيّر الماء خمرًا على ألوهيته وبنوته فلا يختلف الرد عليها عن سابقاتها من حيث التناقض والتعارض والإلزام، قال نصر بن يحيى رحمه الله رادًا على هذه الشبهة وهذا الاستدلال الواهي: «وأما قولكم أنه صير الماء خمرًا، فكتاب سفر الملوك: «يخبر أن «اليسع» نزل بامرأة اسرائيلية، فأضافته وأحسنت إليه، فلما أراد الانصراف قال لها: هل لك من حاجة؟، فقالت له: يا نبي الله، إن على زوجي دينًا قد فدحه، فإن رأيت أن تدعوا الله لنا أن يقضي ديننا فافعل، فقال لها: اجمعي كل ما عندك من آنية، واجمعي من جيرانك كل ما قدرت عليه من آنيتهم ففعلت، ثم أمرها أن تملأ تلك الأواني ماء، ثم قال لها: اتركيه ليلتك هذه على حاله ومضى من عندها، فأصبحت المرأة، فوجدت الماء زيتًا، فباعوه وقضوا دينهم، وعاشوا بما

---

(١) سفر الملوك الثاني (٢: ٧٠، ٨).

(٢) رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٣).

(٣) كتاب التوحيد ص(٢١٢).

تخلّف معهم مدّة»[1]، وتحويل الماء زيتًا أبدع من تحويله خمرًا، ولم يكن اليسع بذلك إلهًا»[2]، وأشار إليه بإيجاز الماتريدي رحمه الله[3].

ويستدل النصارى أيضًا على ألوهية المسيح، بأنه عليه السلام كثّر القليل حتى أكل خلقٌ كثير من أرغفة يسيرة، كما مرّ معنا قريبًا.

فيقول الحسن بن أيوب رحمه الله رادًا على هذا الاستدلال: «هذا سفر الملوك: «يخبر أن «إلياس» نزل بامرأة أرملة، وكان القحط قد عم الناس، وأجدبت الأرض، ومات الخلق ضرًا، وكان إلياس في جيش، فقال للمرأة: هل عندك طعام؟ فقالت: والله ما عندي إلا كفٌّ من دقيق أردت أن أخبزه لطفل لي، وقد أيقنّا بالهلاك لما الناس فيه من قحط، فقال: أحضريه فلا بأس عليك، فأتت به فبارك عليه، فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر تأكل منه وأهل بلدتها بعد أن أكل إلياس وجيشه حتى فرّج الله عن الناس»[4].

فقد فعل إلياس أكثر مما فعل المسيح، لأن إلياس كثّر القليل فأدامه، والمسيح كثّر القليل في وقت واحد، ولم يكن

---

(١) سفر الملوك الثاني (٤ : ١-٧).

(٢) النصيحة الإيمانية ص (١٠٦).

(٣) التوحيد ص(٢١٢).

(٤) سفر الملوك الأول (١٧ : ١٠-١٦).

إلياس فيما فعله إلهًا»[1].

وهذه ملاحظة لطيفة ونكتة بديعة من الحسن بن أيوب في ردّه على استدلالهم بذلك، وأشار إليه أيضًا بإيجاز الماتريدي رحمه الله[2].

من هنا يتضح بطلان ما استدلوا به على ألوهية المسيح وكونه ابن الله بمجرد حصول بعض الخوارق على يديه، إذ قد ثبت عندهم حصول مثل تلك الخوارق وأعظم منها لغيره، ولم يقل أحدٌ أنه إلٰه، فإن قال أحدهم: إن المراد بذلك نسبة من الألوهية ظهر أثرها في خرق العوائد كإحياء الموتى وغير ذلك فيدلّ إذ ذاك على المقصود؟

فكما أورد الغزالي هذه الشبهة فإنه يرد عليها بقوله: «فالجواب: إن مثل هذه النسبة التي يتمكن المتصف بها من الإتيان بخرق العوائد، ثابتة لغير عيسى عليه السلام ـ ثم أورد ما سبق ذكره من خوارق لغير عيسى عليه السلام ـ ثم قال: ثم لما كان من الأنبياء أنبياء لم ترسل، فما المانع أن تكون هذه النسبة ثابتة لكل واحد منهم، لكنها لم تظهر لعدم الرسالة المحوجة إلى البراهين الصادرة عنها»[3].

ويتمم الحسن بن أيوب رحمه الله قريبًا مما ذكره

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٤).

(٢) التوحيد ص(٢١٢).

(٣) الرد الجميل ص (٩٦)، وهل المعجزة لا تكون إلا للرسول دون النبي.

الغزالي من كون هذه النسبة المفترضة المسببة لحصول خوارق العادات موجودة في غير عيسى عليه السلام بقوله:

«فإن قلتم إن هؤلاء الأنبياء الذين أتوا بالخوارق ليس لهم صنع في هذه الأفعال، وأن الصنع والقدرة لله عز وجل، وهو أجراها على أيديهم، فقد صدقتم، وكذلك المسيح ليس له صنع فيما ظهر على يديه من الأعاجيب إذا كان الله أظهر ذلك، وهكذا قال المسيح عن نفسه في الإنجيل: «أنني لا أستطيع أن أصنع شيئًا إلا بأمر الله»[١].

فما الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء؟ وما الحجة على ذلك؟

فإن قلتم: إن الأنبياء كانوا إذا إرادوا أن يظهر الله على أيديهم شيئًا تضرعوا إلى الله، ودعوا وأقروا له بالربوبية وشهدوا على أنفسهم بالعبودية والمسيح لم يكن كذلك. قلنا: ما كان سبيله إلا سبيلهم وقد كان يدعو الله ويتضرع ويعترف بربوبيته ويقرّ له بالعبودية، والإنجيل يتضمن: أن المسيح لما أراد أن يحيى رجلاً يقال له «ليعازر» قال داعيًا الله: «إنني أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتستجيب لي، وأنا أدعوك لأجل هؤلاء الحضور ليعلموا أنك أرسلتني، وفي كل وقت تجيبني»[٢].

---

(١) يوحنا (٦: ٣٨-٤٠).

(٢) يوحنا (١١: ٣٩-٤٨).

وقال وهو على الخشبة ـ كما يزعمون ـ: «ايل ايل لما نشتوقلال»، معناه: إلهي إلهي لماذا تركتني[١]،

وقال: «ياأبتاه اغفر لهم ما يعملون فإنهم لا يدرون ما يصنعون»[٢].

وقال أيضًا: «ياأبي إن شئت فلتعرني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، فلتكن مشيئتك»[٣].

وقال أيضًا: «إنكم متى دفعتم ابن البشر فحينئذٍ تعلمون أني أنا هو، وشيءٌ من قبل نفسي لا أفعل، ولكن كل شيء أعمله هو الذي علمني أبي»[٤].

وقال في موضع آخر: «من عند الله أرسلت معلمًا»[٥].

فاعترف بأنه نبي مألوه ومربوب ومبعوث»[٦].

فيسقط بذلك استدلالهم بما حكوه عن المسيح من خوارق. ويتابع علماء الإسلام ذكر أدلتهم على القول ببنوة المسيح وإلهيته والرد عليها.

رابعًا: ويستدل النصارى على بنوة المسيح وإلهيته بما

---

(١) مرقس (١٥ : ٣٣ـ٣٦) وهي عند متىٰ «لم لما شبقتاني» (٢٧ : ٤٦).

(٢) لوقا (٢٣ : ٤٦).

(٣) متى (٢٦ : ٣٦، ٤٥).

(٤) يوحنا (١٤ : ١ـ١٤).

(٥) يوحنا (٧ : ١٦).

(٦) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٦، ١٢٧) ونقل النص بتمامه نصر بن يحيى في النصيحة الإيمانية ص (١٠٧، ١٠٩).

ورد عندهم من أن الأنبياء تنبأت بألوهية المسيح، فقد قال أشعياء[١]: «العذراء تحمل، وتلد ابنًا ويدعىٰ اسمه: «رعمانوئيل» وتفسيره: معنا إلهنا»[٢].

قال نصر رحمه الله: «قلنا لكم: إن هذه استعارة، وإن كان الله المتفرد بمعنى الألوهية، وقد قال عز وجل في التوراة لموسىٰ: «قد جعلتك لهارون إلهًا وجعلته لك نبيًا»[٣]، وقال في موضع آخر: «قد جعلتك ياموسى إلهًا لفرعون»[٤] فإن قلتم جعله إلهًا على معنىٰ الرّبانية[٥]، قلنا: وكذلك قول أشعياء في المسيح أنه إله لأمته على هذه المعنى، وإلا فما الفرق؟»[٦].

خامسًا: ويستدل النصارى أيضًا على بنوة المسيح وألوهيته بما ورد في الإنجيل أيضًا من أن المسيح ـ عليه

---

(١) أشعياء: ومعناه «الرب خليص»، وهو النبي العظيم، عاش حتى جاوز الثمانين في سنة ٧٣٦ق.م، تعتبره النصارى أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة قيل أنه مات منشورًا، وقيل أنه صعد إلى السماء. انظر معجم الكتاب المقدس ص (٨٣، ٨٤، ٨٥) وللنظر في سيرته والخلاف في أمره: انظر أشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم للدكتور محمود المراغي، ص (٣١٩ـ٣٢٨) دار العلوم العربية، بيروت.

(٢) سفر أشعياء (٧: ١٣ـ١٦).

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

(٥) الربانية: أي كربّ البيت وربّ الأسرة، أي ربًا لهم بهذا المعنىٰ.

(٦) النصيحة الإيمانية ص (١٢١).

السلام ـ قال: «من رآني فقد رأى أبي، وأنا وأبي شيء واحد»(١).

قال نصر بن يحيى رحمه الله معلقًا ورادًا على هذا النص: «قلنا: إن قوله أنا وأبي شيء واحد، إنما يريد به أن قبولكم لأمري هو قبولكم لأمر الله، كما يقول رسول الرجل: أنا ومن أرسلني واحد، وكقول الوكيل: أنا ومن وكلني واحد، لأنه يقوم في ذلك مقامه، ويتكلم بحجته، ويطالب بحقوقه، وكذلك قوله: من رآني فقد رأى أفعال أبي»(٢).

سادسًا: ومن أدلة النصارى على القول بألوهية المسيح وبأنه أحد أقانيم الثالوث المقدس عندهم، ما ورد في إنجيلهم من أنه عليه السلام قال: إبراهيم أبوكم اشتهى أن يرى يومي، فرأى وفرح، فقال له اليهود: لم يأت لك بعد خمسون سنة وقد رأيت إبراهيم، فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: أنا قبل أن يكون إبراهيم»(٣).

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله رادًا على الاستدلال بهذا الدليل ومبينًا بطلان الاستدلال به: «هذا الكلام ناطق بالمجاز، لأن إبراهيم عليه السلام لم ير يوم ولادته ولا يوم إرساله (عيسى عليه السلام) لأن هذه كلها حدثت بعد إبراهيم

(١) يوحنا (١٤ : ٩).

(٢) النصيحة الإيمانية ص (١٢٢).

(٣) يوحنا (٨ : ٥٦ـ٥٨).

عليه السلام بل المراد من ذلك: أن الأنبياء يحبون دوام طاعة الله ودوام إظهار شرائعه المتكفلة بمصالح العباد، فلما أعلم سبحانه ابراهيم عليه السلام برسالة عيسى عليه السلام وهدايته للعالم، وما يظهر على يده من مصالح العباد، على ما اقتضته شريعته، سُرّ بذلك، فالرؤية هاهنا محمولة على البصيرة التي هي العلم لا على البصر، . . .

ثم قال الغزالي رحمه الله: وقد صرح بذلك «بولس»[(١)] حيث قال: «ولكننا ننطق بحكمة الله الخفية، بالسِّرّ الذي لم يزل مستترًا، وكان الله تقدم فَقررها قبل العالمين»[(٢)].

يريد أن هذه الأحكام مقررةٌ في علم الله، فليست إذًا تقوّلًا وافتراءًا وهذا عين ما أولناه، وصرح بذلك أيضًا بطرس بن يونا المعروف بشمعون الصفا[(٣)] قائلاً: «يابني اسرائيل اسمعوا هذا الكلام إن يسوع الناصري رجل ظهر عندكم من

---

(١) بولس: بولس رسول الأمم العظيم اسمه العبري «شاؤول» أي مطلوب، ولد في طرسوس، كان صانع خيام، اضطهد المسيحيين بداية ثم تجدد وآمن بالمسيح ودعا له ونذر نفسه له، فهو فريد بين المسيحيين. معجم الكتاب المقدس ص (١٩٥ـ١٩٩).

(٢) رسالة بولس إلى أهل كورثوس (٧:٨).

(٣) بطرس بن يونا: اسم يونا في معناه صخرة أو حجر، رسول عند النصارى كان اسمه سمعان وسماه المسيح بهذا الاسم، كانت مهنته صيد السمك، كان تلميذًا ليوحنا المعمدان قبل مجيئه إلى المسيح، من رسل المسيح، له رسالتان في الكتاب المقدس. انظر معجم الكتاب المقدس ص (١٧٥، ١٧٦، ١٧٧)

الله، بالقوى والآيات التي فعلها الله على يديه بينكم كما تعلمون أنتم، فهذا الذي كان مقررًا لهذا من سابق علم الله ومشيئته»[١]، صرح هذان العظيمان عندهم بعين ما أولناه، وصرحوا بأنه رجل، وبأن القوى والآيات التي ظهرت على يديه ليست واقعة بفعله، بل صرح أن فاعلها هو الله»[٢].

وكما أن الغزالي رحمه الله يوضح أن المراد برؤية المسيح لإبراهيم عليه السلام رؤية البصيرة التي هي العلم لا البصر، وكما وضح رحمه الله بأن المراد بقبلية عيسىٰ لإبراهيم عليهما السلام أي المراد أن الأحكام مقررة في علم الله تعالى.

يقول نصر رحمه الله حول هذا النص: «إن سليمان بن دواد يقول في حكمته: «أنا قبل الدينا، وكنت مع الله حيث مدَّ الأرض»[٣]، هذا قوله وقد أعطي من طاعة الجن والإنس والطير والوحش ما لم يعطه المسيح، وما تهيأ له، ولا لأحد أن يقول فيه: أنه إله، وما قال: أنه قبل الدنيا بالألوهية.

وقال دواد في الزبور: «ذكرتك ياربّ من البدء»[٤]، فإن قلتم: إن كلام سليمان بن دواد متأول، لأنه من ولد إسرائيل،

---

(١) أعمال الرسل (٢: ٢٢ـ٢٥).

(٢) الرد الجميل ص (١٥٨، ١٥٩، ١٦١).

(٣) لم أجده من خلال فهرس الكتاب المقدس وعبر كل الكلمات الموجودة في النص

(٤) لم أجده.

وليس يجوز أن يكون قبل الدنيا، وكذلك قول المسيح: «أنا قبل إبراهيم»، فإن تأولتم تأولنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح، تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان ودواد، وإلا فما الفرق؟»(١).

ويضيف الحسن بن أيوب قوله: «ويؤكد ما قلناه أن متىٰ قال في إنجيله: «كان مولد أيشوع المسيح قبل داود وإبراهيم»(٢)، فكيف يصح أن يكون قَبْلَه على قولهم وهو في هذه الحالة لحم ودم ولم يكن عندهم قبل إبراهيم لحم ولا دم، ولو قالوا ذلك نقضوا تسبيحة إيمانهم: أن تجسد مريم بعد نزوله، ففي هذا كفاية»(٣).

سابعًا: ومما يستدلون به أيضًا على القول والاعتقاد ببنوة المسيح وألوهيته البشرى التي أتى بها جبريل عليه السلام إلى مريم حيث بشرها كما جاء في إنجيلهم بقوله: «السلام عليك أيها الممتلئة نعمًا، ربنا معك أيتها المباركة من النساء، فلما رأته مريم ذعرت منه، فقال: لا ترهبي يامريم فقد فزت بنعمة من ربك فها أنت تحبلين وتلدين ابنًا، وتسميه يسوع، ويكون كبيرًا، ويسمى ابن الله العلي، ويعطيه الله الرب كرسي

---

(١) النصيحة الإيمانية ص (١٢٢)، وهو نصٌّ منقولٌ من رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح ج(٤)، ص (١٤١، ١٤٢)

(٢) متىٰ (٢٢: ٤١ـ٤٦).

(٣) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٤١/ ١٤٢).

أبيه دواد ويكون ملكًا على آل يعقوب إلى الأبد، فقالت مريم: أنى يكون لي ذلك ولم يمسسني رجل؟» قال لها الملك: إن روح القدس يأتيك، أو قال يحلّ فيك، وقوة العلي تحبلك من أجل ذلك يكون الذي يولد منك قديسًا، ويسمى ابن الله العلي»[١].

يرد على هذه الشبهة وعلى هذا الاستدلال الحسن بن أيوب رحمه الله حيث يقول: «لم نر الملك قال لها: إن الذي تلدين هو خالقك وهو الرب كما سميتموه بل أزال الشك في ذلك بأن قال: إن الله الرب يعطيه كرسي أبيه دواد ويصطفيه ويكرمه، وأن دواد النبي أبوه وأنه يسمى ابن الله.

والذي جاء في النص أيضًا أنه يكون ملكًا على بني اسرائيل فقط، وليس على كل الأرض، أما حلول الروح عليه، فهي على الجهة التي قالها «متى التلميذ»[٢] للشعب عن المسيح في الإنجيل: «لستم أنتم متكلمين، بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم»[٣].

فأخبر أن الروح تحل في القوم أجمعين وتتكلم فيهم.

---

(١) لوقا (١: ٢٨_٣٥).

(٢) متى: معناه «عطية يهوه»، وهو أحد الاثني عشر رسولاً وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه، كان في الأصل جابيًا في كفرنا حوم وكانت الجباية مهنته، استفاد منها بمعرفة الأشغال. انظر معجم الكتاب المقدس ص (٨٣٢).

(٣) متى (١٠: ٢٠).

وقال الملك في بشارته لمريم بالمسيح عليه السلام: إنه يكون ملكًا على آل يعقوب، فخصّ آل يعقوب بتملكه عليهم دون غيرهم من الناس، ولم يقل أنه يكون إلهًا للخلائق، ومعنى قول جبريل لمريم: «ربنا معك»، مثل معنى قول الله عز وجل لموسى وغيره من الأنبياء: إني معكم، فقد قال ليوشع بن نون: «إني أكون معك كما كنت مع موسى عبدي فقول النصارى كلهم في مجالى لغتهم ومعاني ألفاظهم: أن الله عز وجل وروح القدس مع كل خطيب وراهب وفاضل في دينه على هذه السبيل»[1].

يظهر لنا مما سبق ذكره من كلام المهتدي الحسن بن أيوب بطلان الاستدلال، بذلك الدليل وتلك الشبهة على القول والاعتقاد ببنوة المسيح وألوهيته.

ثامنًا: ومما يستدل به النصارى على بنوة المسيح وألوهيته أيضًا: ما ورد في إنجيل متىٰ حيث قال فيه: «إن المسيح عليه السلام لما خرج من الأردن تفتحت له السماء، فنظر «يحيى بن زكريا» إلى روح القدس قد نزلت على المسيح كهيئة حمامة وسمع نداءً من السماء: إن هذا ابني الحبيب

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٠٢ـ١٠٤) بتصرف يسير.

الذي اصطفيته»[١].

ويرد على هذا الدليل وعلى هذا النص الحسن بن أيوب رحمه الله بقوله: «قد علمنا وعلمتم أن المصطفى مفعول والمفعول مخلوق، وليس يستنكف المسيح عليه السلام من الاعتراف بذلك وعن الاعتراف بذلك ـ في كل كلامه ـ، وما زال يقول: إلهي وإلهكم وأبي وأبيكم»[٢] وما زال يصرح بأنه عبد مرسل مربوب مبعوث مأمور يؤدي ما سمع ويفعل ما حُدّ له»[٣].

تاسعًا: ويستدل النصارى أيضًا على ألوهية المسيح وبنوته بما ورد في إنجيلهم من قول عيسى عليه السلام: «أنا والأب واحد»[٤].

ويرد هذا الدليل ويبين بطلانه أبو حامد الغزالي رحمه الله، من خلال قوة تأمله وبراعته في بيان تناقضه فيقول: «هذا النص بالغ في تحصيل غرضنا الذي نحاوله في مسألة الاتحاد، وبيانه: أن اليهود لما أنكروا عليه قوله أنا والأب واحد، كما جاء في النص ذاته: «إذ تناول اليهود حجارة ليرجموه ـ بعد قوله لهم أنا والأب واحد ـ فأجابهم قائلا:

(١) متى (٥: ١٦).

(٢) متى (٥: ١٦) (٥: ٤٥)، (٦: ١، ٨)، مرقس (١١: ٢٦)، لوقا (٦: ٣٦).

(٣) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٠٤، ١٠٥).

(٤) يوحنا (١٠: ٣٠).

أريتكم أعمالاً كثيرة حسنة من عند أبي، فمن أجل أي الأعمال ترجموني؟ فأجابه اليهود قائلين: ليس من أجل الأعمال الحسنة نرجمك ولكن لأجل التجديف، وإذ أنت إنسان تجعل نفسك إلهًا»[١].

يتابع الغزالي قوله: وهذه هي مسألة الاتحاد نفسها، ظانين بأنه أراد بقوله: «أنا والأب واحد» مفهومه الظاهر، فيكون إلهًا حقيقة، انفصل عليه السلام عن إنكارهم مصرحًا بأن ذلك من قبيل المجاز، إذ جاء في النص: «فأجابهم يسوع: أليس مكتوبًا في ناموسكم أني قلت: أنكم آلهة، فإن كان قد قال لأولئك لأن الكلمة صارت إليهم، وليس يمكن أن ينقص المكتوب فيكم بالحري الذي قدسه وأرسله إلى العالم»[٢].

ثم تابع الغزالي كلامه بقوله: «ثم أبان لهم جهة المجاز بضربه لهم المثل، فقال: قد أطلق عليكم في ناموسكم أنكم آلهة، ولستم آلهة حقيقية، وإنما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنى وهو صيرورة الكلمة إليكم، وأنا قد شاركتكم في ذلك»[٣].

ثم يقول الغزالي متابعًا ردّه على ما ذكرناه من شبهة

---

(١) يوحنا (١٠ : ٣٣، ٣٤).

(٢) يوحنا (١٠ : ٣٥، ٣٩).

(٣) الرد الجميل ص (١٠٢).

حيث يوضح إن المجاز صريح وبيّنٌ في النص السابق الذي يستدل به النصارى على بنوة المسيح وإلهيته، فيقول: «وقد صرح عيسى عليه السلام في هذا النص بجهة المجاز بقوله: «لأن الكلمة صارت إليهم» ومحال أن يريد بالكلمة لفظًا ذا حروف، وإنما يريد بالكلمة سرًّا منه، يهبه لمن يشاء من عباده، يحصل لهم به التوفيق إلى ما يصيّرهم غير مباينين لله عز وجل، بل يصيّرهم لا يحبون إلا ما يحبه، ولا يبغضون إلا ما يبغضه، ولا يكرهون إلا ما يكرهه، ولا يريدون إلا ما يريده من الأقوال والأعمال اللائقة بجلاله[(١)]، فإذا أصارهم التوفيق إلى هذه الحالة، حصل لهم المعنى المصحح للتجوز.

ويدل على صحة هذا التأويل الصارف إلى المجاز المذكور، أنه عليه السلام احترز عن إرادة ظاهر هذا النص الدال على الاتحاد بقوله: فيكم بالحري الذي قدسه وأرسله.

(١) ويشبه الغزالي هذا المعنى السابق بما جاء عند البخاري من قوله ﷺ: «**ولن يتقرب إلي المتقربون بأفضل من أداء ما افترضت عليهم، ثم لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها..**» ثم قال: ومحالٌ أن يكون الخالق حالاً في كل جارحة من هذه الجوارح، أو يكون عبارة عنها، لكن لما بذل العبد جهده في طاعة الله كان له من الله قدرة ومعونة بهما يقدر على النطق باللسان، والبطش باليد، إلى غير ذلك من الأعمال المقربة، ولذلك يقول: من أقدر شخصًا على أن يضرب بالسيف ولولاه لما قدر على ذلك: أنا يدك التي ضربت بها ثم قال: فهذا ضرب من المجاز استعماله شائع غير منكور ص (١٠٢).

فصرح بأنه رسول، متبرئًا من الإلهية التي تخيل اليهود أنه ادّعاها مثبتًا لنفسه خصوصية الأنبياء، وعلو وجهتهم على غيرهم ممن ليسوا أنبياء بقوله: «فيكم بالحري الذي قدسه وأرسله» أي قد شاركتكم في السبب المصحح للتجوز، وفضلتكم بمراتب النبوة والرسالة»[١].

عاشرًا: ومما يستدل به النصارى كذلك على بنوة المسيح وإلوهيته ما قاله متى التلميذ في إنجيله: «إنه لما جاء يسوع إلى أرض «قيسارية»[٢] قال لتلاميذه: ماذا يقول الناس في ابن البشر؟ قالوا: منهم من يقول: إنك يوحنا المعمدان[٣]، ومنهم من يقول: إنك أرميا[٤] أو أحد الأنبياء،

(١) الرد الجميل ص (١٠٢، ١٠٣).

(٢) قيسارية: هي من أهم المدن في فلسطين، تقع جنوب حيفا، وهي لا تزال تدعى «قيصرية»، وهي الآن خراب أما حجارتها فقد نقل جانب عظيم منها إلى مدن أخرىٰ. معجم الكتاب المقدس ص (٧٥٥).

(٣) يوحنا المعمدان: يوحنا هي صيغة عربية لاسم «يوحنان» وهو اسم عبري معناه «يهوه حنون»، وهو من نسل هارون، مهيىء طريق المسيح، ولد قبل المسيح بستة أشهر أو ٥ ق.م، في قرية عين كارم جنوب أورشليم كرس حياته للإصلاح الديني والاجتماعي كان يعمد التائبين بعد أن يعترفوا بخطاياهم في نهر الأردن. انظر معجم الكتاب المقدس ص (١١٠٦، ١١٠٧).

(٤) أرميا: وهو نبي عظيم عند اليهود والنصارى وهو ابن حلقيا الكاهن دعاه الرب للعمل النبوي في رؤيا رآها له عدد من النبوات التي نطق بها في مصر ولا يعرف شيء عن موته ولا كيف كان ولا متى حدث ذلك، معجم الكتاب المقدس له سفر أرميا في العهد القديم ص (٥٢ـ٥٦) من الكتاب المقدس.

فقال لهم يسوع: أنتم ماذا تقولون؟ فقال شمعون الصفا[١] ـ وهو أذكىٰ التلاميذ ـ: «أنت المسيح ابن الله الحي، فقال المسيح: طوبىٰ لك ياشمعان بن يونان، إنه لم يطلعك على هذا لحم ولا دم ولكن الذي في السماء»[٢].

قال نصر رحمه الله رادًا على هذا النص من كتابهم المقدس: «إن لوقا حكىٰ هذا الخبر في إنجيله، وقال: «إن شمعان قال له: أنت مسيح الله»، ولم يقل: ابن الله، وقال المسيح: إن شمعون الصفا لم ينطق به، ولكن بما أوحى الله في قلبه، ولم يدفعكم قط عن أنه مسيح ـ كما تقولون في لغتكم ـ، أنه ابن الله بالرحمة والصفوة، مع الاختلاف الواقع في قول التلميذين»[٣].

الحادي عشر: ويزعم النصارى أن المسيح عيسى عليه السلام ابنًا لله تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك استدلالاً: بأن المسيح عليه السلام قال: «اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قتلتموه ربًا ومسيحًا»[٤].

يقول الحسن بن أيوب المهتدي رحمه الله رادًا على هذا الدليل: «قد سمىٰ الله جل ثناؤه يوسف ربًا، حيث ورد عندكم

---

(١) شمعون الصفا: سبقت ترجمته.

(٢) إنجيل متىٰ (١٦ : ١٣ـ١٧).

(٣) النصيحة الإيمانية ص (١٢٨).

(٤) أعمال الرسل (٢٣).

أن دواد قال: «وللعبودية بيع يوسف، وشددوا بالكبول رجليه، وبالحديد دخلت نفسه حتى صدَّقت كلمته قول الرب: فربُّه، بعث الملك فحلَّه وصيرّه مسلطًا على شعبه وربًا عليهم، ومسلطًا على فتيانه»[(١)][(٢)].

فبين الحسن رحمه الله تناقض النصارى في استدلالاتهم، فإما أن يقولوا أن يوسف إله بناءً على هذا النص، وإلا فيلزمهم أن يقولوا في المسيح كما سيقولون في يوسف، فلا فرق بين الأمرين.

الثاني عشر: ومما يستدل به النصارى أيضًا على بنوة المسيح قول داود عندهم: «قال الرب اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لرجليك، عصا العظمة تبعث الرب من صهيون، ويبسط على أعدائك شعبك يامسيح يوم الرعب في بهاء القدس من اليوم الذي ولدتك يا صبيّ، عهد الرب لا يكذب، إنك أنت الكاهن المؤبد يشبه "ملكية داق"»[(٣)].

قال الحسن بن أيوب أيضًا رادًا وداحضًا هذا الدليل:

---

(١) سفر المزامير (١٠٥: ١٧-٢١)، ولم أجدها في سفر المزامير كما ساقها الحسن بن أيوب، وليس فيها «ربا عليهم».

(٢) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/١١٩، ١٢٠).

(٣) وهو في الكتاب المقدس «ملكيصادق»: وهو اسم سامي معناه «ملك البر» وهو ملك أورشليم، هو كاهن الله العلي، أخرج خبزًا و خمرًا لابراهيم في وادي شوى وأخذ عشرًا منه، وهو رمز إلى المسيح الذي هو كاهن على رتبة ملكي صادق... انظر معجم الكتاب المقدس ص (٩٢٢).

«فهذه مخاطبة ينسبونها إلى اللاهوت، وقد أبان داود عليه السلام في مخاطبته لربه أن الذي ذكره ربًا هو أعظم منه وأعلى، أعطاه ما حكيناه ومنحه ذلك وشهد عليه، إن عصا العظمة تبعث ربه هذا من صهيون وسمّاه صبيًا محققًا لقوله الأول: اليوم ولدتك على أول كلامه وهو ربه، ووصف أنه الكاهن المؤبد الذي يشبه ملكية داق»[1][2].

هكذا يبين علماء الإسلام بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة أن ما ذكره النصارى من نصوص يعتقدونها أدلة على القول ببنوة المسيح وإلهيته، إنما هي لا تعدوا شبهًا وتأويلات، وضعها لهم بعض قساوستهم ورجال دينهم، لتحريف هذا الدين السماوي الذي جاء به المسيح من عند الله تعالى لإفراده جل وعلا بالعبادة، يذكر الباقلاني رحمه الله ما حدث له في القسطنطينية: «من أنه دخل يومًا على كبار القساوسة، فلما حيَّاه، قال له القاضي: «كيف أنت؟ وكيف الأهل والأولاد؟ فتعجب كبير القسس من كلامه وقال له: ذكر لي من أرسلك إليّ في رسالة تعرفني عنك أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء ملتك. أما علمت أن المطارنة الرهبان

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٣١).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقًا على ذلك: «وإذا كان المسيح مشبهًا به مع تسميته كاهنًا كان ذلك من أعظم الأدلة على أنه مخلوق» الجواب الصحيح (٤/ ١٣٢).

منزهون عن الأهل والأولاد؟ فأجابه القاضي: رأيناكم لا تنزهون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد، فهل المطارنة عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه؟!»[(١)]، وتبليغ ما أُمر به من ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[(٢)].

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (١٣)، تقديم وشرح الشيخ: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦، ١١٧.

المبحث الثاني
الرد على قول النصارىٰ ببنوة عيسىٰ عليه السلام من كتبهم

لاشك أن عقيدة النصارىٰ ببنوة المسيح عليه السلام عقيدة باطلة ومرفوضة عند كل مسلم، استنادًا للعقيدة الإسلامية الحقة التي تفرد الله تعالى بالألوهية وتنزهه عن كل معاني النقص والعيب.

والمسيح عليه السلام في الإسلام نبي مرسلٌ من الله تعالى يدعو الناس لإفراد الله جل وعلا بالألوهية وإخلاصها، وترك إشراك غيره سبحانه.

والمسيح عند النصارى كما مر معنا ابن الله فهو إله مع الله ـ تعالى الله وتقدس عن ذلك ـ وهذا قولٌ لا يستطيعون إثباته وتأكيده، وإن زعموا أن كتبهم المقدسة تؤكد ذلك وتثبته.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول للنصارىٰ: «أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هوالله إلا بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلا بإثبات أن الحواريين رسل الله معصومون، ولا يمكنكم إثبات أنهم رسل الله إلا بإثبات أن المسيح هو الله فصار ذلك دورًا[1] ممتنعًا، فإنه لا

(١) الدور هو: توقف الشيء على نفسه، أي يكون هو نفسه علة لنفسه، بواسطة أو بدون واسطة، والدور مستحيلٌ بالبداهة العقلية. انظر: عبدالرحمن الميداني ضوابط=

تُعلم إلهية المسيح إلا بثبوت هذه الكتب ولا تثبت هذه الكتب إلا بثبوت أنهم رسل الله، ولا يثبت ذلك إلا بثبوت أنه الله، فصار ثبوت الإلٰهية، وثبوت كونهم رسل الله متوقفًا على كونهم رسل الله، فصار ذلك دورًا ممتنعًا»[١].

ومع زعم النصارىٰ أن كتبهم تؤكد القول ببنوة المسيح وألوهيته، إلا أن الناظر والمتأمل للكتاب المقدس يرىٰ واقعًا يؤكد خلاف ذلك.

فكثير من نصوص الإنجيل تؤكد أن المسيح عليه السلام نبيٌ مرسل ومعلِّمٌ صالح وبشرٌ كسائر الأنبياء والرسل، لا يتعدىٰ هذه المرتبة العالية إلى مرتبة الألوهية أو البنوة لله عزوجل بأي حالٍ من الأحوال.

وقد أجاد علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ في بيان ذلك وتوضيحه وكشفه.

يقول أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ مخاطبًا النصراني: «ألم تقرأ في إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسىٰ أنه قال حين خرج من السامرة[٢] ولحق بالجليل[٣]: أنه لم

= المعرفة ص (٣٣٣)، الطبعة الثانية.

(١) الجواب الصحيح (١/ ٣٥٧).

(٢) السامرة: تقع على مسافة خمسة أميال ونصف من شكيم، ويبلغ طولها ميلاً من الشرق إلى الغرب. انظر: معجم الكتاب المقدس ص (٤٤٩).

(٣) الجليل: تشمل الجليل العليا ويحدها من الشمال صور ومن الجنوب السامرة ومن الغرب فينيقية ومن الشرق الأردن، والجليل السفلى وهي جنوب العليا، وتمتد من =

يكرم أحدٌ من الأنبياء في وطن[١]، وفي الإنجيل للوقا: أنه لم يقبل أحدٌ من الأنبياء في وطن فكيف تقبلونه[٢].

وحسبك هذا من دليلٍ أنه ما ادعىٰ غير النبوة»[٣].

ويزيد أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ في بيان ذلك ويضيف قوله: «وفي الإنجيل لمرقس أن رجلاً أقبل إلى المسيح وقال له: « أيها المعلم الصالح، أي صلاحٍ أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له المسيح: لماذا تدعوني صالحًا ليس أحدٌ صالحًا إلا واحدًا وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له: أية الوصايا؟ فقال يسوع: لاتقتل، لا تزن، لاتسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك»[٤].

قال الغزالي عند هذا النص: «وهذا دليل على التغاير؛ لأنه وصف نفسه بوحدة التعليم في الأرض، ووصف الإله بوحدة الألوهية، وهو إذا أطلق الأب أراد الإله فيكون قد وصفه بوحدة الإلهية»[٥].

= بحيرة طبريا إلى قرب «عكا» على البحر الأبيض المتوسط، انظر: معجم الكتاب المقدس ص (٢٦٥).

(١) يوحنا: ٤٣، ٤٤.

(٢) لوقا: ٢٣، ٢٤.

(٣) مقامع هامات الصلبان ص (١٣١).

(٤) متىٰ ١٩: ١٦ ـ ١٩، ومرقس ١٠: ١٧ ـ ١٩.

(٥) الرد الجميل ص (١١٩).

وفي الإنجيل ليوحنا «أن اليهود لما أرادت القبض عليه وعلم بذلك رفع بصره إلى السّماء وقال: قد دنا الوقت يا إلهي فشرفني لديك، واجعل لي سبيلاً إلى أن أملك كل ما ملكتني، الحياة الباقية، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهًا واحدًا، وبالمسيح الذي بعثت، وقد عظتمك على أهل الأرض واحتملت ما أمرتني به فشرفني لديك»(١).

وفي الإنجيل أن عيسىٰ قال لتلاميذه: «لا تسبوا أباكم على الأرض؛ فإنه أباكم الذي في السّماء وحده، ولا تدعوا معلمين، فإنه معلمكم المسيح وحده»(٢).

فقوله: «لا تسبوا أباكم على الأرض» معناه: «لا تقولوا أنه على الأرض، ولكنه في السّماء، ثم أنزل عيسىٰ نفسه حيث أنزله الله تعالى، وقال: «لا تدعوا معلمين، فإنه معلمكم المسيح وحده، فها هو ذا قد سمىٰ نفسه معلمًا في الأرض لهم، وشهد أن إلههم في السّماء واحد»(٣).

ثم يوضح هذا الأمر أيضًا نصر بن يحيىٰ المتطبب ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «وقال المسيح لبني إسرائيل:

---

(١) يوحنا بمعناه ١٧: ١ ـ ١٠.

(٢) متىٰ ٢٣: ٩، ١٠.

(٣) مقامع هامات الصلبان ص (١٣٢). وانظر: رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٦٦).

تريدون قتلي وأنا رجلٌ قلت لكم الذي سمعت الله يقوله»(١).

وقال في الرجل أقامه من الموتىٰ: «يا أبي أشكرك على إجابتك دعواي وأعترف لك بذلك»(٢).

فأي تضرع، وأي إقرار بالرسالة والطلب للإجابة من الله أشد من هذا؟»(٣).

ويدلّل نصر ـ رحمه الله ـ أيضًا على نبوة عيسىٰ وأنه مرسلٌ من عند الله تعالى بقوله: «وقد قال شمعون الصفا رئيس الحواريين: يارجال بني إسرائيل، اسمعوا مقالتي بأن يسوع الناصري، ظهر لكم من عند الله بالقوة والأيد والعجائب التي أجراها الله تعالى على يديه، وأنكم أسلمتموه، وقتلتموه، فأقام الله تعالى المسيح يسوع هذا من بين الأموات»(٤).

فأي شهادةٍ أبين وأوضح من هذا القول؟ وهو أوثق التلاميذ عندكم، يخبر كما ترون بأن المسيح رجل، وأنه جاء من عند الله وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله تعالى تخبر بأن المسيح رجل، وأنه أجراها سبحانه على يديه، وأن الذي بعثه

---

(١) يوحنا بمعناه ١٤ : ١٠ ـ ١٣، ٣١.

(٢) يوحنا ١١ : ٤١، ٤٢ مع تغيير بسيط في اللفظ.

(٣) النصيحة الإيمانية ص (١١٠، ١١١). وانظر: رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٣٠)، النص بما فيه مع تقديم وتأخير بسيطين من صاحب النصيحة، والقاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة (١/ ١١٣).

(٤) أعمال الرسل ٢ : ٢٢ ـ ٢٥.

من بين الأموات هو الله عزوجل؟»[١].

ويؤكد ذلك الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ من خلال إطلاق صفة العبودية لله على المسيح في كتب النصارىٰ حيث يقول ـ رحمه الله ـ: «وقال أشعيا عن المسيح في نبوءته عن الله عزوجل: هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت نفسي إليه أنا واضع روحي عليه، ويدعو الأمم إلى الحق»[٢].

فما يحتاج إلى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلمتوه حجة لكم، وقد أوضح الله أمره وسماه عبدًا، وأعلم أنه يضع روحه عليه، ويؤيده بها كما أن سائر الأشياء بالروح، فأظهروا الآيات المذكورة عندهم»[٣].

ويرد الحسن بن أيوب كذلك القول بألوهية المسيح وبنوته من خلال كونه ناقص العلم وأن الله تعالى أعز وأعلم منه، فيقول رحمه الله: «وقد قال المسيح في الإنجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة: إن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفه أحد ولا الملائكة الذين في السّماء ولا الابن أيضًا،

---

(١) النصيحة الإيمانية ص (١١١، ١١٢)، ورسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٣٢، ١٣٣).

(٢) أشعيا: ٤٢ : ١.

(٣) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٨).

ولكن الأب وحده يعرفه»[١].

فهذا إقرارٌ منه بأنه منقوص العلم وأن الله تعالى أعز وأعلم منه، وقد بين بقوله: «أحد» عمومه بذلك الخلق جميعًا، ثم قال: «ولا الملائكة» وعندهم من علم الله ما ليس عند أهل الأرض، ثم قال: «ولا الابن» وله من القوة ما ليس لغيره، وشهد قوله هذا شهادةً واضحةً عليه بأنه لا يعلم كل ما يعلمه الله، ولو كان إلهًا كما يقولون، لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء وسرائر الأمور وعلانيتها»[٢].

ثم يذكر الحسن بن أيوب أيضًا بعض الدلالات التي تدل على عدم صدق قول النصارىٰ بألوهية المسيح وبنوته من خلال تصريح الإنجيل بأنه عليه السلام لا يسجد إلا لله وحده، ومن خلال تصريحه كذلك بالنبوة، وتصريحه بوعده أن يجعله في ملكوت السّماء يأكل ويشرب مع تلاميذه، فقال ـ رحمه الله ـ مبينًا ذلك: «وقوله «عيسىٰ» للمرأة التي جاءته فقالت: أنت ذلك النبي الذي كنا ننتظر؟ فقال لها المسيح: صدقت طوبى لك»[٣].

ثم قال للشيطان حين اختبره فسامه أن يلقي نفسه من

---

(١) متىٰ ٢٤: ٣٦، ٣٧.

(٢) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٤٤، ١٤٥) بتصرف يسير. وانظر الرد الجميل للغزالي ص (١١٥).

(٣) يوحنا ٤: ١٩.

رأس الهيكل فقال: «أمرنا ألا نجرب الرب» ثم سامه أن يسجد له، فقال: «أمرناألا نسجد إلا لله وحده، ولا نعبد سواه»[١]، قال الباجي ـ رحمه الله ـ عنه هذا النص: «فهل لمن جوزوا هذا عليه مع ادعائهم أنه ابن الإله مسكة، أو بقيت بينه وبين التمسك بالحقائق والديانة نسبة»[٢].

وقال الحسن بن أيوب متممًا كلامه: «ثم صلاته في غير وقت لله وآخرها الليلة التي أخذته اليهود فيها، فإذا كان إلهًا كما زعمتم فلمن كان يصلي ويسجد؟»[٣].

ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل أورشليم، وهي مدينة بيت المقدس، على الآذان لمن كان يسأله عن أمره لما راجت المدينة به: «هذا يسوع الناصري النبي الذي من الناصرة»[٤].

ويشبه ذلك قوله لتلاميذه في إنجيل لوقا: «فأنتم الذين صبرتم معي في بلائي وتجاربي، فإني أعدكم كما وعدني أبي في الملكوت لتأكلوا وتشربوا معي على مائدتي في ملكوتي»[٥].

---

(١) متىٰ ٤: ٧ ـ ١١.
(٢) انظر: رسالة الباجي في الرد على راهب فرنسا ص (٧٨).
(٣) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٦٧).
(٤) متىٰ ٢٦: ٣٦، ٤٦، مرقس ١٤: ٣٢ ـ ٤٢، لوقا ٢٢: ٣٩ ـ ٤٦.
(٥) متىٰ ٢١: ١١.

فبين أن الله تعالى وعده أن يجعله في ملكوت السّماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته، وهذا مالاشك لكم فيه.

ثم قوله لشمعون حين أتته الجموع فأخذوه: «أم تظن أني لست قادرًا أن أطلب إلى أبي فيقيم لي اثني عشر جندًا من ملائكته أو أكثر، ولكن كيف تتم الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون»[(١)].

ولم يقل: «إني قادر أن أدفعهم عن نفسي، ولا أني آمر الملائكة أن يمنعوا عني، كما يقول من له القدرة والأمر»[(٢)].

ثم إن القول ببنوة المسيح لله ـ تعالى الله عن ذلك ـ والقول بألوهيته معضلة لا تثبت بمجرد الاحتمال بل لابد من الدليل اليقيني عليها، لاسيما في شخصٍ وضحت إنسانيته من خلال الإعياء والجوع والعطش والنوم.

هذا ما يوضحه الغزالي ـ رحمه الله ـ بقوله: «وما حدث له من التألم ـ على رأيهم في الصلب ـ حيث قال: «إلهي إلهي لم تركتني»[(٣)].

هذه أمور منافية للإلهية، وكيف ينكر ذلك؟ وفي إنجيل

(١) لوقا ٢٢: ٢٨ ـ ٣٠.

(٢) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/١٦٧ ـ ١٧٢) بتصرف يسير.

(٣) مرقس ١٥: ٣٤، ٣٥.

مرقس[١] «وفي الغد خرجوا من «بيت عنيا»[٢] فجاع، ونظر إلى تينة من بعيد، وعليها ورق، فجاء إليها ليطلب فيها ثمرة، فلما جاءها لم يجد عليها شيئًا إلا ورقًا فقط، لأنه لم يكن في زمن التين»[٣].

صرح في هذا النص بإحساسه بالجوع، وظنه الشيء خلاف ما هو عليه، لأنه ظن أن عليها ثمرة، فأخلف ظنه، وظن أن الزمن زمن التين، أو ظن أنها تثمر في غير زمن التين، وكلاهما ظن غير مطابق»[٤].

ثم يرد الغزالي ـ رحمه الله ـ على من يقول من النصارىٰ: إنه فعل ذلك ليثبت لهم أنه قادر على إماته الأحياء فيقول ـ رحمه الله ـ: «وهذا يبطل قول من يقول: إنما فعل ذلك إعلامًا لهم أنه قادر على إماتة الأحياء، لأنه يلزم أن

(١) مرقس هو: اسم لاتيني معناه «مطرقة». وهو لقب ليوحنا، ويرجح أنه ولد في أورشليم؛ لأن أمه سكنت هناك وكانت ذات اعتبار بين المسيحيين فإن بطرس لما أطلق من السجن ذهب إلى بيتها، ويظن أن مرقس هو الشاب الذي اتبع المسيح ليلة تسليمه وتوجه مع بولس وبرنابا في رحلتهم التبشيرية الأولىٰ ولا يعرف شيء حقيقي عنه حياته إلا أنه مترجم بطرس، وإنجيله الثاني في ترتيب الأناجيل الأربعة وهو أقصرها. انظر: معجم الكتاب المقدس ص (٨٥٣).

(٢) بيت عنيا: قرية قريبة من بيت فاجي التي تقع على سفح جبل الزيتون الشرقي وتبعد بضعة كيلومترات عن أورشليم. انظر: حاشية الكتاب المقدس في إنجيل مرقس ص (٧٤) من العهد الجديد.

(٣) إنجيل مرقس: ٩: ١٧.

(٤) الرد الجميل ص (١١٣).

يكون واضع هذا النص في الإنجيل كاذبًا في قوله: فجاع، وفي قوله: فجاء ليطلب فيها ثمرة، جعل ذلك علة مجيئة إليها وهل يكون ماذهبوا إليه إلا كقول القائل: جعت، فنظرت شجرة، فجئت إليها، لأطلب فيها ثمرةً، فلم أجد شيئًا فدعوت عليها بالجفاف، ليُستدل بذلك على أني إله قادرٌ على إماتة الأحياء، وهذا من جنس كلام المغفلين، تعالى الله عن ذلك»[1].

ثم لقد صرح المسيح أيضًا بالرسالة في نصٍ واضح صريح في إنجيلهم، حيث يذكر يوحنا في إنجيله قوله: «...تكلم يسوع بهذا، ثم رفع عينيه إلى السّماء وقال: يا أبت، حضرت الساعة فمجِّد ابنك، ليمجدك ابنُك، كما أعطيته السلطان على كل جسد، ليعُطي من أعطيته حياة الأبد.

وهذه حياة الأبد، أن يعرفوك أنك الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح»[2].

قال الإمام الغزالي بعد ذكره للنص السابق: «صرّح بالرسالة للمسيح، حيث فسّر حياة الأبد، فقال: «وهذ حياة الأبد: أن يعرفوك أنك الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح».

فصرح للإله بالإلهية والوحدانية، وصرح لنفسه

(١) الرد الجميل ص (١١٥).

(٢) يوحنا ١٧ : ١ ـ ٤.

بالرسالة»[١].

وجاء هذا التصريح بالرسالة أيضًا في إنجيل يوحنا حيث قال: «يا أبت أشكرك لأنك تسمع لي وأنا أعلم أنك تسمع لي في كل حين، لكن لأجل هذا الجمع الحاضر ليؤمنوا أنك أرسلتني»[٢]. قال الغزالي ـ رحمه الله ـ عند ذكره هذا النص: «صرح بذلك يوحنا في إنجيله...، ـ ثم قال الغزالي رحمه الله ـ: ثم أوضح المغايرة فقال ـ عيسىٰ عليه السلام ـ: «إن من سمع كلامي وآمن بمن أرسلني وجبت له الحياة الدائمة»[٣].

فصرح بأنَ له مرسِلاً، ومعلومٌ أن المرسِل غير المرسَل.

ثم جعل الحياة الدائمة مشروطةً بالإيمان بمرسله، وسماع كلامه المخبر به عن الله، وهذا تصريحٌ بأحوال الأنبياء والمرسلين»[٤].

ويتكرر التصريح بالرسالة في إنجيل يوحنا أيضًا، ويتتبع الغزالي ـ رحمه الله ـ هذه المواضع بدقة، حيث يقول: «وجاء أيضًا: فإن لي كلامًا كثيرًا أقوله فيك وأحكم به، ولكن الذي

---

(١) الرد الجميل ص (١١٧، ١١٨).

(٢) يوحنا ١١: ٤١، ٤٢.

(٣) يوحنا ٥: ٢٤.

(٤) الرد الجميل ص (١٢٠، ١٢١)، والقاضي عبدالجبار في تثبت دلائل النبوة (١/١١٢).

أرسلني حق، والذي سمعته منه، به أتكلم في العالم»[١].

وجاء أيضًا: «لأني لم أتكلم بها من نفسي، لأن الأب الذي أرسلني هو أعطاني الوصية، بماذا أقول، وبماذا أنطق، وأعلم أن وصيته حياة الأبد، والذي أقوله أنا كما أمرني الأب، كذلك أتكلم»[٢].

صرح بالرسالة وأنه لا يفعل إلا ما أمر به بقوله: «كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله»، وبقوله: «كما أمرني الأب، كذلك أتكلم»[٣].

ويأتي نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ بحجج دامغةٍ ترد زعم النصارىٰ وقولهم ببنوة المسيح لله، حيث يقول: «ومما يشهد بصحة قولنا ـ أن المسيح ليس ابنًا لله تعالى الله وتقدس عن ذلك ـ ويبطل ما تأوله رؤساؤكم في عبودية المسيح أن متىٰ التلميذ، حين بنىٰ إنجيله، وأسس القول فيه، وأول ما ابتدأ به أنه قال: «كتاب ولادة عيسىٰ المسيح بن داود بن إبراهيم، ولقد ولد إبراهيم إسحاق، وولد إسحاق يعقوب...»[٤]. ونَسَبه إلى من كان على الصحة، ولم يقل

---

(١) يوحنا ٨: ٢٦.

(٢) يوحنا ١٢: ٤٩، ٥٠.

(٣) الرد الجميل ص (١٢٢).

(٤) متىٰ ١: ١ ـ ٢.

أنه ابن الله»[١].

يضيف الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ في هذا المقام ما قاله المسيح: «إن الله لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم يره أحدٌ من خلقه، ولا يراه أحدها إلا مات»[٢].

ثم يقول ـ رحمه الله ـ معلقًا عليه: «والمسيح قد أكل وشرب وولد ورآه ا لناس فما ماتوا من رؤيته ولا مات أحدٌ منهم وقد ثبت فيهم ثلاثًا وثلاثين سنة»[٣].

قلت: «وفي هذا النص أيضًا التصريح بعدم الولادة من قبل الله ـ تعالى وتقدس عن ذلك ـ فكيف يزعمون بنوة المسيح له جلا وعلا؟

ثم يرد نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ ادعاء بنوة المسيح وولادته من الله ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علو كبيرًا ـ الموجود في شريعة إيمانهم حيث يقول: «ثم إنكم تقولون «إن المسيح مولودٌ من أبيه، أزلي»[٤].

ويجب على المدعي بقول أن يثبت الحجة، ويعلم أنه

---

(١) النصيحة الإيمانية ص (١٣٣).

(٢) ولم أجد هذا النص الذي ذكره الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ في الكتاب المقدس من خلال فهرسه.

(٣) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٢٦).

(٤) شريعة الإيمان النيقوي. انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لابن البطريق ص(١٣٠ـ١٣٢). طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٥م.

مطالبٌ بإيضاحها، وبرهانها، لاسيما في هذا الخطب الجليل، الذي لا يجب أن يقع التلاعب به، والويل لمن تأوَّل فيه تأويلاً لا أصل له ولا حقيقة، فإنه يهلك نفسه وعوالمٌ من الناس معه ممن يتبع قوله، فإن كان المسيح «أزليًا» على ما تقولونه في شريعة إيمانكم، فليس بمولود، وإن كان مولودًا فليس بأزليّ، لأن اسم الأزلية إنما يقع على من لا أول له ولا آخر، ومعنىٰ المولود أنه حادثٌ مفعول، فله أوّل، فكيف ما قلتم كان فيه بطلان شريعة إيمانكم؟

وإذا كان الأب قديمًا فالابن قديم مثله، وإن كان الأب خالقًا، فالابن خالق أيضًا، وشريعة إيمانكم تشهد بذلك في قولها: «إنه خالق الخلائق كلها وأنه نزل لخلاصكم»[1] ومن قدر على ذلك لم يكن إلا خالقًا قادرًا.

وهذه المعاني تبطل اسم: الأبوة والبنوة، وفي بطلانها تبطل شريعة إيمانكم التي تقول: إنه ولد من أبيه، فإذا كان الأب والابن متكافئين في القدم والقدرة فأيُّ فضل وسلطان للأب على الابن، حتىٰ أمَرَه ونهاه، فصار الأب باعثًا والابن مبعوثًا تابعًا مطيعًا؟»[2].

ويضيف علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ تعليقًا على

(١) شريعة الإيمان النيقوي. انظر: المرجع السابق.

(٢) النصيحة الإيمانية ص (١٣٢) وهو عند الحسن بن أيوب في الجواب الصحيح (٤/ ١٧٢، ١٧٣).

ما مضىٰ ذكره من شريعة إيمانهم فيقول: «والنصارىٰ عند ما قالوا في أول شريعة دينهم: أنا نؤمن بالله خالق كل ما يُرىٰ، ثم اتبعوا قولهم بأن المسيح خالقٌ غير مخلوق، بدأ التناقض في قولهم»(١).

وكذلك الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ يعلق على ماجاء في شريعة إيمانهم واعتقادهم بها أن المسيح ابن الله ـ تعالى وتقدس عن ذلك ـ فيقول: «فتركتم ما أتت به الرسل والنبوات في المسيح، وجعلتم لأنفسكم شريعة غيرها، ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم مثل من آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة، لأن المسيح عليه السلام يقول أنه مربوب مبعوث ـ كما مر معنا في النصوص السابقة ـ وتقولون: «بل هو خالقٌ أزليٌّ إلا أنه يستر نفسه، ويقول المسيح: أنه معطىٰ وأن الله معطيه، وتقولون: بل هو رازق النعم وواهبها، ويقول: إن الله أرسله، وتقولون: بل هو الذي نزل لخلاصنا»(٢).

كل ذلك وغيره يدل دلالةً واضحةً على كذب ادعاء النصارىٰ بنوة المسيح وإلهيته، والأصرح من ذلك تصريح «بولس الرسول» برسالة عيسىٰ المحضة في رسالته التي كتبها للعبرانيين حيث قال: انظروا إلى هذا الرسول عظيم أحبار

---

(١) الدين والدولة ص (٤٥).

(٢) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/١٠٧) وأشار إلى مثل ذلك القاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة (١/١٠٠، ١١١).

إيماننا، يسوع المسيح المؤتمن عند مرسله، وهو مثل موسى عليه السلام في جميع بنيه»[١].

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ معلقًا على هذا النص: «صرح بأنه من جملة أحبارهم، وصرح بأن له مرسلاً، وأنه مؤتمن عنده، ثم جعله مثل موسىٰ، في جميع بنيه، أي الطوائف التي أرسل إليهم، أي مثل موسىٰ في أمته، وهذا تصريح بالرسالة المحضة.

وقد صرح في هذه الرسالة بما يوضح ذلك فقال: «فإن لكل بيتٍ، إنسانًا يبنيه، والذي يبني الكل هو الله»[٢].

يريد بذلك: أن كل واحدٍ من هذين الرسولين هديت به أمته، والذي هدىٰ الكل ـ في الحقيقة ـ إنما هو الله.

وعاضد هذ التأويل مصرَّحٌ به في الإنجيل وهو: «أنا كرمة الحق، وأبي هو الفارس لكل عضدٍ فيّ[٣]»[٤].

أما بالنسبة لظهور الخوارق على يد عيسىٰ عليه السلام واستدلالهم بها على بنوته وألوهيته، فيقول الغزالي رحمه الله رادًا على هذا الاستدلال: «أما ظهور الخوارق على يده بالسؤال والطلب، فذلك ثابتٌ لغيره من الأنبياء، وكيف يُنكَر

---

(١) رسالة بولس للعبرانيين ٣: ١ ـ ٦ بمعناه.

(٢) في الموضع الذي قبله. أي رسالة بولس للعبرانيين ٣:١ـ٦.

(٣) يوحنا ١٥ : ١ بمعناه.

(٤) الرد الجميل ص (١٢٢، ١٢٣).

ذلك وهو المتضرع السائل عند إقامته «عازر» وقد رفع عينيه إلى السّماء وقال: يا أبتي أشكرك لأنك تسمع لي، وأنا أعلم أنك سميع لي في كل حين، ولكن لأجل هذا الجمع الحاضر، ليؤمنوا أنك أرسلتني»(١).

والطالب لتلامذته التقديس والحفظ من الإله القادر على ذلك بقوله: «قدسهم بحقك»(٢). وبقوله: «أحفظهم باسمك الذي أعطيتني»(٣) والمستفهم من الإله لم تركه حين الصلب بقوله: «إلهي إلهي لم تركتني»(٤) والمصرح بالإنسانية والرسالة بقوله: «إنسانٌ كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله»(٥).

والمقيِّدُ أحكامِه بما يؤمر به: «كما أمرني الأب كذلك أتكلم»(٦) والمشهود له على لسان من أثنىٰ عليه من عظماء تلامذته بأن الخوارق مصنوعة لله(٧) على يده، بقوله: «إن يسوع الناصري رجل ظهر بينكم بالقوىٰ والآيات التي جعلها

---

(١) يوحنا ١٧ : ١ ـ ٩ بمعناه.
(٢) يوحنا ١٧ : ١٧.
(٣) يوحنا ١٧ : ١٧.
(٤) متىٰ ٣٧: ٤٦.
(٥) يوحنا ٨: ٣٩، ٤٠ دون التصريح بالإنسانية.
(٦) الموضع السابق نفسه.
(٧) فالمعتزلة ينكرونها لغير الأنبياء، فهي شرط عندهم لصدق النبوة بينما الأشاعرة يجوزونها لكل أحد.

الله على يده»[١].

وإذا كانت هذه حالته عليه السلام فكيف يركن العاقل إلى ما لا يعلم حقيقته مع إحكام علمه ونبذ المعقول والمنقول؟»[٢]، وأشار إلى هذا المعنى الماتريدي رحمه الله[٣].

وأما ما يستدل به النصارىٰ على بنوة المسيح وإلهيته من خلال إطلاق لفظ «الرب» على عيسىٰ عليه السلام، فيرد ذلك الغزالي رحمه الله بكلام جميل مليءٍ بالحجة والبرهان والإقناع فيقول: «وأما الرب فيطلق بالاشتراك، على الله جل اسمه، وعلى المالك، فيقال: ربّ المنزل وربّ المتاع.

وأما الإله فيطلق عندهم بالاشتراك على كل عظيم، وقد جاء في المزامير: وآلهة قلت لكم وبنوا العلي كلكم[٤].

وقال الله في التوراة لموسىٰ عليه السلام: «قد جعلتك إلهًا لفرعون، وأخاك هارون رسولك[٥].

ويطلق الإله على كل من عبد سواءً كانت العبادة حقًا أو باطلة، وبمجموع هذا البيان صرح بولس في رسالته الثانية في

---

(١) أعمال الرسل ٢: ٢٢ ـ ٢٥.

(٢) الرد الجميل ص (١٣٦ ـ ١٣٨) ونقل بعض هذ الأدلة أبوعبيدة الخزرجي في مقامع هامات الصلبان ص (١٣٢، ١٣٣).

(٣) التوحيد ص(٩٢).

(٤) المزامير ٨٢: ٦. وانظر: يوحنا ١٠: ٣٤.

(٥) سفر الخروج ٧: ١.

الفصل التاسع من رسائله تصريحًا لم يبق معه عُلْقةً إلا لمن فقد دينه وعقله وعلمه، فقال: وأن لا إله غير الله وحده، وإن كانت أشياء مما في السّماء والأرض، يسمىٰ آلهة، وكما قد توجد آلهة كثيرة وأرباب كثيرة، فإن لنا نحن إلهًا واحدًا، هو الله الأب، الذي منه كل شيء، ونحن به، وربًا واحدًا هو يسوع المسيح الذي كل شيء بيده، ونحن أيضًا قبضته»[(١)].

فانظر إلى حسن هذا البيان: صرّح بأن ا لإله والرب يطلقان على الله عزوجل، وعلى غيره مما لايستحق أن يكون معبودًا، ثم أثبت للإله المعبود صفة الخالق المستحق للعبادة فجعل كل شيء صادرًا منه بقوله: الذي منه كل شيء ونحن به.

ثم صرح بأن ذلك هو الله وأثنىٰ عليه بالوحدانية بقوله: فإن لنا إلهًا واحدًا هو الله، ثم نفىٰ استحقاق غيره للإلهية، بقوله: وأنه لا إله غير الله وحده.

ثم أشار إلى المسيح إذا أُطلق عليه الرب الذي صرح باشتراكه، كان ذلك بمعنىٰ المالك، يدل على ذلك أنه لم يثبت له شيئًا من صفات الإله المذكورة، وإنما أثبت له يد الملك التي من شأنها أن تثبت للمالك، فانظر إلى حسن هذه الإشارات التي لايتقاعد ذو الفهم عن تلقيها بالقبول، فليت شعري: من أي الجهات بُني هذا الشرع على هذا الخزي

---

(١) رسالة بولس (١) إلى أهل كورنثوس ٨: ٤ ـ ٦ بمعناه.

الفاضح»[١].

ومع ذكر علماء الإسلام لهذه الحجج الساطعة والبراهين القاطعة على بطلان قول النصارىٰ ببنوة المسيح وإلهيته، إلا أن النصارىٰ لا يرجعون عن غيّهم وكفرهم، لذلك يسوق الحسن ابن أيوب دليلين آخرين على إنسانية ونبوة عيسىٰ وهما:

أولاً: ما قاله لوقا في آخر إنجيله حيث قال: «إن المسيح عرض له ولتلميذه «أي لوقا نفسه» جبريل في الطريق وهما محزونان، فقال لهما وهما لا يعرفانه: ما بالكما محزونين؟ فقالا: كأنك أنت وحدك غريبٌ ببيت المقدس، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري، فإنه رجلاً نبيًا قويًا في قوله وفعله عند الله وعند الأمة، أخذوه وقتلوه»[٢].

والثاني: ما قاله داود في المزمور الثاني في زبوره مخاطبًا لله ومثنيًا على المسيح، حيث قال: مَنْ الرجل الذي ذكرته، والإنسان الذي أمرته وجعلته دون الملائكة قليلاً وألبسته المجد والكرامات؟»[٣].

ثم يعلق الحسن ـ رحمه الله ـ ويقول: «فهذا قوله، وأقوال تلاميذه قد تركتموها وعقدتم على بدعٍ ابتدعها لكم

---

(١) الرد الجميل ص (١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) لوقا ٢٤: ١٩ ـ ٢٠.

(٣) المزامير ٨: ٤ ـ ٦ بمعناه.

أولوكم تؤدي إلى الضلالة والشرك بالله جل ثناؤه، وكل ما ذكرنا يدل على تصحيح خلق المسيح وعبوديته، وبطلان ما يدعونه من بنوته وربوبيته.

فإذا كانت الشهادات منه على نفسه، ومن الأنبياء عليه، ومن تلاميذه بمثل ما قد بيناه، وإذا كان قد أفصح في كل الأناجيل من كلامه ومخاطبته ووصاياه بما لا يحصىٰ كثرة بأنه عبد مثلكم ومربوب معكم، ومرسل من عند ربه وربكم، ومبدي ما أمر به فيكم. وحَكىٰ مِثْل ذلك مِن أمره حواريوه وتلامذته ووصفوه لمن سأل عنه، وفي كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله عزوجل، ونبي له قوة وفضل، فتأولتم في ذلك أنه أخرج كلامه على معنىٰ الناسوت، ولو كان كما تقولون لأفصح عن نفسه بأنه إله كما أفصح بأنه عبد، ولكن ما ذكره ولا ادعاه، ولا دعا إليه، ولا ادعته كتب الأنبياء قبله ولا كتب تلامذته، ولا حُكي عنهم، ولا أوجبه كلام جبريل الذي أداه إلى مريم، ولا قول يحيىٰ بن زكريا»[(١)].

ويضيف أبوعبيدة الخزرجي قوله: «إن اليهود لم يمدحوه إلا أنهم أنزلوه منزلة النبي فقط عند ما قالوا: ما رأينا أنصف منه، وعند ما قالوا لأحد كبار قسيسيهم: «اكشف الكتاب ترىٰ أنه لا يجيء من الجليل نبي»[(٢)] ولو علموا من

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١١٩، ١٢٠).

(٢) يوحنا ٧: ٤٥ ـ ٥٣.

دعواه ادعاء الألوهية لهجوه وحرضوا على قتله»[١].

بل إن المسيح عليه السلام احتاج إلى غيره لتكميل أمره كما هو موجودٌ ومصرح به عند النصارىٰ حيث يقول الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ مبينًا ذلك: «وقد وجدنا المسيح عليه السلام احتاج إلى تكميل أمره لمعمودية «يحيىٰ» له، فصار إليه لذلك وسأله إياه، فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب، قال لوقا «التلميذ» في إنجيله: «إن يحيىٰ المعمداني أرسل إلى المسيح بعد أن عمده وسأله: أنت ذلك الذي تجيء أو نتوقع بخيرك؟»[٢] فكان جواب المسيح لرسله: «أن ارجعوا فأخبروه بما ترون من عميان يبصرون وزمنىً ينهضون، وصم يسمعون، فطوبى لمن لم يغتر بي أو في أمري»[٣].

فوجدنا يحيىٰ مع فضله وجلالة قدره عند الله عزوجل، ثم ما شهد به المسيح من أنه ما قامت النساء عن مثله قد شك فيه فاحتاج أن يسأله عن شأنه، ثم لم يكن من جواب المسيح له بشيء مما تصفون من الربوبية، ولا قال: أني خالقك وخالق كل شيء كما في شريعة إيمانكم، بل حذر الغلط في أمره والاغترار، ولا كان من قوله أكثر مما ذكر أنه أظهر بنبوته

---

(١) مقامع هامات الصلبان ص (١٣٦).

(٢) لوقا ٧: ١٩ ـ ٢٣.

(٣) الموضع السابق.

من هذه الآيات التي سبق إلى مثلها أكثر الأنبياء.

ولا رأينا يحيىٰ زاد في وصفه إياه لما قرظه وأعلا ذكره مع تشككه في أمره وحاجته إلى مسألته عن حاله أن قال: «هو أقوىٰ مني، وإني لا أستحق أن أُجعل مِقْعَدُ خُفِّه»[(١)].

ولم يقل: «إنه خالقي، وقد يقول الرجل الخير فيمن هو دونه مثل الذي قال «يحيىٰ» فيه تواضعًا وخشوعًا لما قال المسيح في «يحيىٰ»: أنه ما قامت النساء عن مثله[(٢)]»[(٣)].

كل ذلك مما عَرَضَه علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولى ـ عليهم رحمة الله أجمعين ـ دالٌّ دونما شك أو ريب لكل ذي لبٍّ سليم، على بطلان دعوىٰ النصارىٰ وقولهم ببنوة المسيح عليه السلام لله ـ تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد وعن جميع صفات النقص والعيب ـ لذلك يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ: «فليت شعري، بأي عذرٍ يعتذر المعاند، بعد تصريحه بالإنسانية والرسالة، وتقيِّده في أحكامه بما يؤمر به، فانظر كيف أعمىٰ الله بصيرة من يجعل إلهه تارة إنسانًا وتارةً إلهًا تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا»[(٤)].

---

(١) يوحنا ١: ٢٧.

(٢) متىٰ ١١: ١١ بمعناه.

(٣) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٠٥ ـ ١٠٧).

(٤) الرد الجميل ص (١٢٤، ١٢٥)، وقريبًا من معناه ماذكره أبوالوليد الباجي في رسالته في الرد على راهب فرنسا ص (٧٨، ٧٩) ومثله ما ذكره القاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٠٠ ـ ١١٣).

ويقول الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ مبينًا بعض المعاني الدقيقة واللطيفة: «وإذا نظر في الإنجيل وكتب بولس وغيره، مما يحتج به النصارىٰ، وجد نحوًا من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح، وكلها تنطق بعبودية المسيح، وأنه مبعوث مربوب، وأن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيره مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هداهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد، وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة التي يوجد بها من التأويل خلاف ما يتأولونه، على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل، لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء على الكل، ويستدل على ما غاب بما حضر، وعلى ما أشكل بما ظهر»(١) وقال القاضي عبدالجبار: «ولقد أحصىٰ أهل المعرفة والعلم، فوجدوا المسيح عليه السلام له من الإقرار على نفسه بالعبودية والضعف والفقر الفاقة، ولله عزوجل بالغنىٰ والربوبية مالم يكادوا يجدونه لأحدٍ من الأنبياء والصالحين،

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٧٦) ولقد جاء بعض علماء النصارىٰ المحدثين ليؤكدوا هذا المفهوم وهذا المعنىٰ أي نفي القول ببنوة المسيح، بل تأكيد نبوته ورسالته وعبوديته لله تعالى. وانظر لذلك المسيحية نشأتها وتطورها لـ«شارل جينيبير» رئيس قسم الأديان بجامعة باريس ص (٣٣ ـ ٥٥)، تقديم وعرض: د. عبدالحليم محمود، الطبعة الثانية، دار المعارف.

ثم تقول فيه النصارىٰ ما سمعت»[١].

ويقول نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ كذلك: «وأنتم تركتم هذه الأقاويل التي في حق المسيح وحدتم عنها، وعقدتم دينكم على بدعٍ ابتدعها أولكم، تؤدي إلى الشرك والضلال، ثم مع كونكم تصفون المسيح بالألوهية ـ نتيجة البنوة ـ فقد حكيتم في أناجيلكم ما يدل على الإهانة له، والسخرية منه والتهكم به بشتىٰ أنواع الإهانة والسخرية والتهكم، مما ذكر في أناجيلكم مِنْ بصقٍ في وجهه، وضربٍ، وجلدٍ، ورجمٍ، وربطٍ، وتوثيقٍ، وتعريةٍ، وغيرها»[٢].

فكيف تنسبونه إلى البنوة والألوهية وتحكون عنه مثل هذه الحكايات؟»[٣].

وما أجمل مانقله نصرٌ ـ رحمه الله ـ من أبياتٍ لأبي العلاء المعري[٤] حيث يقول نصرٌ: «ولقد حسن في هذا الموضع ذكر قول بعض الشعراء:

عجبًا للمسيح بين أناسٍ وإلى خير والدٍ نسبوه

---

(١) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار (١/ ١١٤).

(٢) انظر لبيان ذلك: لوقا الإصحاح (٢٣)، ومتىٰ الإصحاح (٢٧)، ويوحنا الإصحاح (١٩)، ومرقس الإصحاح (١٥)، وما يسمىٰ بآلام المسيح عند موته على زعمهم في جميع الأناجيل.

(٣) النصيحة الإيمانية ص (١١٢، ١١٧) بتصرف.

(٤) أبوالعلاء المعري توفي سنة (٤٤٩هـ).

أسلمته إلى اليهود النصارى وأقـــروا بـــأنهـــم صلبـــوه
فـإذا كـان مـاتقـولـون حقًـا ليت شعري فأين كان أبوه؟[١]»[٢]

المبحث الثالث
الرد على قول النصارىٰ ببنوة المسيح بالأدلة العقلية والنقلية

مرّ معنا من خلال المبحث السابق أن بشرية عيسىٰ عليه السلام ثابتة في الأناجيل الأربعة، وعلى لسان المسيح عليه السلام، بل وعلى لسانِ بعض تلامذته أحيانًا، رغم انحراف تلك الأناجيل، ومحاولة تقريرها لبنوته، «عليه السلام» لله تعالى، وبالتالي القول بألوهيته ـ عياذًا بالله من الكفران والخذلان ـ.

ولقد ظهر القول ببشرية المسيح عليه السلام ونبوته جليًا عند القديس برنابا[1] في إنجيله حيث يقول في مقدمتة: «أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد تفقدنا في الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة، للتعليم وللآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوىٰ التقوىٰ مبشرين بتعليم شديد الكفر وأن المسيح ابن الله»[2].

---

(١) برنابا: اسم آرامي معناه «ابن الوعظ» لاوي قبرصي الجنس، اعتنق المسيحية في زمان الرسل، وبدأ يحث الناس على اعتناق المسيحية، كان كبير القلب كريمًا. انظر: معجم الكتاب المقدس ص (١٧٢) وينكر النصارىٰ أن إنجيل برنابا من وضعه، ويقولون: هو مؤلف وضع في القرون الوسطى، وانتحل اسم برنابا باطلاً، ولا يثبتون له إلا رسالة معنونة باسمه فقط. انظر: معجم الكتاب المقدس ص (١٧٢).

(٢) إنجيل برنابا، د. خليل سعادة ص (٣).

ويورد إنجيله لنا أيضًا إعلان عيسىٰ للناس مؤكدًا لهم عبوديته لرب العالمين، حيث يقول: «إني أشهد أمام السماء وأُشهد كل ساكنٍ على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني، من أني أعظم من البشر، لأني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر، عرضة للشقاء العام»[(١)] وغير ذلك من النصوص الموجودة في هذا الإنجيل.

المطلب الأول
الرد على القول ببنوة المسيح بالأدلة العقلية

ويأتي علماء القرون الستة الهجرية من المسلمين ليؤكدوا ذلك ويثبتوه من خلال بعض الأدلة والأقيسة العقلية، وبعض ما جاء في كتاب الله تعالى من أدلة تثبت نبوة عيسىٰ عليه السلام وبشريته وعبوديته لله تعالىٰ، وتنفي عنه ما يدعيه النصارىٰ من بنوته وألوهيته لله ـ جل وعلا ـ يقول: نصر بن يحيىٰ المتطبب في نصيحته مُثْنيًا على الله وشاكرًا له تخليصه من دين النصارىٰ: «الحمدلله الذي خلصني من دينٍ هذا عقل أربابه، تارةً يعترفون أن مريم ولدت المسيح، وهو الجامع للاهوت والناسوت، ويقولون: إنه مات، فهل وقعت الولادة والموت وسائر الأفعال التي ذكر النصارىٰ أنها فعلت بالمسيح إلا عليه؟

فإن قلتم: إن المصلوب هو الله عزوجل فمريم على قولكم ولدت الله ـ عياذاً بالله ـ.

وإن قلتم: ولدت إنسانًا، فإن المقتول المصلوب هو إنسان، وفي ذلك بطلان قولكم، فاختاروا أي القولين شئتم، فإن فيه نقض دينكم»(١).

---

(١) النصحية الإيمانية ص (٧٢)، وقريبٌ من قول الحسن بن أيوب في رسالته إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١١٥).

ثم إن ادعاء الألوهية ـ الذي يقول به النصارىٰ نتيجة لقولهم بالبنوة ـ أمرٌ يستطيع ادعاءه كل أحد، كما يقول القاضي عبدالجبار ـ رحمه الله ـ: «ولم يكن هذا بالبعيد عن الروم[(١)]؛ لأن من اعتقد في الكواكب وهي جمادٌ موات أنها أرباب وتنفع وتضر، لم يبعد عنهم أن يقولوا في إنسانٍ حي عاقل مميز، قد قيل لهم أنه كان يحيي الموتىٰ، ألا ترىٰ القبط[(٢)]، ومن كان بمصر، كانوا يعتقدون إلهية فرعون، وأنه لا إله غيره لهم؟»[(٣)].

ويرد نصرٌ ـ رحمه الله ـ زعمهم بنوة المسيح بأن ذِكْرَ ما يعتقده النصارىٰ من أنه وقع بالمسيح كالحبس، والضرب، والقذف، وغيره يرد على دعوى بنوته وإلهيته فيقول: «فإن قلتم إن ذلك حل بالجسم، فإن القياس لا يحتمل ذلك، أفليس قد وقع كل ذلك بجسم اتحدت اللاهوتيه به ـ كما يدعون ـ

---

(١) خص الروم هنا؛ لأن الرومان تنصروا بعد أن كانوا عبادًا للأصنام والأوثان، فأشار القاضي إلى ذلك في غير ما موضعٍ من كتابه. تثبيت دلائل النبوة مثل (١/ ١٦٤).

(٢) الأقباط: مفردها «قبطي» وهي كلمة يونانية الأصل، معناها سكان مصر، ويذهب فريقٌ من آخر من الباحثين إلى أنها نسبة إلى القبط بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام، وفريق آخر يرجح أن الأقباط دخلاء على مصر جلبهم الإسكندر الأكبر عبيدًا، حيث أن مفردات اللغة القبطية إغريقية الأصل، وهي تعني بوجهٍ عام نصارىٰ مصر من الأقبطا الأرثوذكس أو الكاثوليك أو البروتستانت. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١١٢٣).

(٣) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار (١/ ١٦٢).

وحلّت الروح فيه، وقد انتخبه الله تعالى ـ على ماتصفون ـ لخلاص الخلق، وفوّض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون للحساب؟»(١).

ويضيف أبوالوليد الباجي ـ رحمه الله ـ قوله: «ولو كان كذلك لجاز أن يدّعىٰ ذلك لإبراهيم ـ عليه السلام ـ لما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد أن قذف فيها(٢)، ولجاز أن يُدّعىٰ ذلك لموسىٰ عليه السلام لما ظهر على يديه من قلب العصا حية(٣) وفلق البحر(٤)، ولجاز أن يدعىٰ ذلك لمحمد ﷺ لما ظهر على يديه من انشقاق القمر وتسبيح الحصىٰ في يده، وحنين الجذع إليه». وسيأتي تخريج مثل هذه الأحاديث في مبحث موقفهم من معجزاته ﷺ.

يتضح مما سبق ذكره أنه ليس للمسيح عليه السلام مزيّةٌ ترفعه من درجة النبوة إلى مرتبة البنوة والألوهية، بمجرد ذكر الخوارق والمعجزات، ونسبة ما جرىٰ من حبس، وضربٍ، وقذف إلى حلوله بالجسم فقط، فلا فرق بين من ادعىٰ ذلك كله للمسيح عليه السلام، أو من ادعاه لغيره من الأنبياء عليهم

---

(١) النصيحة الإيمانية ص (٧٣). وانظر: رسالة الحسن إلى أخيه ضمن الجواب الصحيح (٤/ ٩٩، ١٠٠).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

(٤) إشارة إلى قوله: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾.

السلام مع وجود المعجزات والخوارق لهم وعلى أيديهم.

ثم يذكر الباجي ـ رحمه الله ـ دليلاً عقليًا على بطلان القول ببنوة المسيح وإلهيته من خلال دليل الحدوث، فيقول ـ رحمه الله ـ رادًا على رسالة راهب فرنسا: «وإنا لنربأ بمثلك، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك من أن عيسىٰ ﷺ ابن الله، بل هو بشرٌ مخلوق، والتغيّر من حالٍ إلى حال، وأكل الطعام والموت الذي كتب على جميع الأنام مما لا يصح على إلهٍ قديم، ولا يمكن عند ذي رأي سليم، ولو جوزنا كونه ﷺ مع هذه الصفات والأحوال والمحدثات إلهًا قديمًا، لنفينا أن يكون العالم أو شيء مما فيه محدثًا مخلوقًا؛ لأنه ليس في شيءٍ مما ذكرنا من البشر والعالم وما فيه من الحيوان والجماد من دلائل الحدوث غير ما في عيسى عليه السلام»[(١)].

فعلامات الحدوث مشتركة بين المسيح عليه السلام وبين سائر المخلوقات من الحيوان والجماد فكيف يمكن لمحدثٍ اجتمعت فيه صفات الحدوث، أن يكون قديمًا؟.

ويقارن أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ بين ولادة المسيح من غير أب، والتي يستند إليها النصارىٰ كثيرًا في تأييد قولهم ببنوة المسيح، وبين خلق آدم عليه السلام مقارنة يتضح معها لكل ذي لب أن القول ببنوة المسيح، وبين خلق آدم عليه السلام لغير أب، قولٌ مردود لا يرتقي إلى أدنىٰ

(١) رسالة الباجي إلى راهب فرنسا ص (٥٩، ٦٠).

درجات الصحة والقبول، فيقول: «أخبرني أيها الجاعل إلهية المسيح من حيث هو من الله روح، لم تظلم آدم، وأنتم تقولون وتوافقون أن الله تعالى نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من تراب، وتقولون: إن المسيح نفخةٌ من روح الله في رجلٍ سواه الله تعالى من لحمة مريم المتخذة من آدم، فلحمه إذن بمنزلة تراب، ونفخة «عيسىٰ» من روح الله بمنزلة نفخة «آدم» فلماذا أوجبت الألوهية لعيسىٰ ولم توجبها لآدم؟»(١).

ويكمل المقارنة بين عيسىٰ وآدم أبوالوليد الباجي فيقول أيضًا: «وإن الله تعالى خلق عيسىٰ عليه السلام من غير أبٍ كما خلق آدم من تراب، وقد حملت بعيسىٰ أم، ولم تحمل بآدم أنثىٰ ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم إلهًا وهو الأب الأول ـ بل هو مخلوق ـ فعيسىٰ أولىٰ ألا يكون إلهًا وهو من ذرية آدم وولده، بل هو عبدٌ مربوب، وإن هذا لواضح إلا لمن جهل معنىٰ الحدوث ولم يميز الخالق من المخلوق، وأما من نظر في شيءٍ من أبواب العلم وأُيِّد باعتبارٍ وفهم، فعلامات الحدوث أوضح، ودلائلها أصح من أن تخفىٰ أو تُشكل أو يَمتريَ في أمرها من له من العلم أدنى محلّ»(٢).

وهكذا يردّ علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ على ادعاء النصارىٰ بنوة المسيح بكلامٍ عقليٍ جميل،

(١) مقامع هامات الصلبان ص (١٤١).

(٢) رسالة الباجي إلى راهب فرنسا ص (٦٠).

وجدلٍ بالتي هي أحسن، من خلال المقارنة بين ولادة عيسىٰ عليه السلام من أمٍ دون أب، وبين خلق آدم عليه السلام دون أيّ منهما، فإذا كان ادعاء البنوة لله تعالى والألوهية لعيسىٰ عليه السلام نيتجةً لتلك الولادة، فإن القول بألوهية آدم أولىٰ وأحرىٰ، وهم لا يقولون بذلك، فبطل استدلالهم بمجرد تلك الولادة لعيسىٰ على القول ببنوته وألوهيته.

وما أجمل قول نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ حينما قال: «فإن قلتم إن المسيح كان من غير «فحل» قلنا: قد كان ذلك، وليس هو مما يوجب الألوهية ولا الربوبية له؛ لأن القدرة في ذلك للخالق عزوجل، لا للمخلوق، كما أن حواء أم البشر خلقت من فحلٍ بلا أنثىٰ، وخَلْق أنثىٰ من ذكر أعجب من خلق ذكرٍ من أنثىٰ بغير فحل، وأعجب من ذلك خلق آدم من تراب»[١].

ويورد الجاحظ ـ عفا الله عنه ـ في هذا المقام دليلاً عقليًا إلزاميًا للنصارىٰ في قولهم ببنوة وإلهية المسيح، فيقول: «يقال لهم: هل يخلو المسيح أن يكون إنسانًا بلا إله؟ أو إلهًا بلا إنسان؟ أو أن يكون إنسانًا وإلهًا؟

فإن زعموا أنه كان إلهًا بلا إنسان قلنا لهم: فهو الذي كان صغيرًا وشبّ والتحىٰ، والذي كان يأكل ويشرب، وينجو

(١) النصيحة الإيمانية ص (١٢٣)، وهو منقول بتمامه من رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٤٣، ١٤٤).

ويبول، وقتل بزعمكم وصلب، وولدته مريم وأرضعته، أم غيره هو الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا؟

وكيف يكون إلهًا بلا إنسان؟ وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان؟

وليس القول في غيره ممن صفته كصفته إلا كالقول فيه، لاشتمالها على غيره.

وإن زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية ولم يتحول عن جوهر البشرية، ولكن لما كان اللاهوت فيه صار خالقًا سمى إلهًا، قلنا لهم: خبرونا عن اللاهوت أكان فيه وفي غيره أم كان فيه دون غيره؟

فإن زعموا أنه كان فيه وفي غيره فليس هو أولىٰ بأن يكون خالقًا ويتسمىٰ إلهًا من غيره، وإن كان فيه دون غيره فقد صار اللاهوت جسمًا»[١].

ويذكر نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ ردًا قريبًا مما ذكره الجاحظ فيقول: «وما يخلو أمر المسيح من أن يكون إما؛ إلهًا أو إنسانًا، فإن كان إلهًا، فإما أن يكون هو واجب الوجود الرب المعبود، أو إلهًا آخر غيره، فقد حصل الإشراك. وإن كان إنسانًا فلم نسبتموه إلى الربوبية أو الألوهية؟ فأي القولين

(١) المختار في الرد على النصارىٰ ص (١٢٦). (أي في الرد عليهم).

اخترتم ففيه نقض شريعتكم»[(١)].

ويذكر نصرٌ ـ رحمه الله ـ أيضًا ردًّا حول ذات المعنى السابق تقريبًا، وهو مقارنة بين الابن ومدىٰ حاجته إلى الروح القدس، فيقول رحمه الله: «وقولكم إن الابن تجسد من روح القدس، فما كانت حاجة الابن إلى الروح، وهي في قولكم: مثله، والابن إذًا دون الروح وليس كمثله، فإن الأزلي لا ينفصل عن الأزلي لكونه مثله، وإن كان المسيح من روح القدس، كما قال جبريل لمريم فلم سميتموه: «كلمة الله وابنه» ولم تسموه: روحه؟

وإنما قال لها جبريل: إن الذي تلدين من روح القدس، والروح غير الابن، فلم تثلثون وتقولون: الأب، الابن، الروح القدس»[(٢)].

ويعلق الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ على ادعاء النصارىٰ أن المسيح كلمة الله ويرد بكلامٍ عقليٍ جميل على هذا الادعاء ومعضدًا ذلك بنصٍّ من نصوصهم فيقول: «وتدعون: أن المسيح كلمة الله، وأن قوة الله غير نائية منه ولا معرفةٌ عنه، ويستشهدون عليه في الإنجيل بقوله: «إنه يصعد إلى السّماء ويجلس عن يمين أبيه، ويدين الناس يوم القيامة ويجازيهم بأعمالهم، ويتولى الحكم بينهم، وأن الله منحه

---

(١) النصيحة الإيمانية ص (٩٨).

(٢) النصيحة الإيمانية ص (٩٥).

ذلك، إذ كان لا يراه أحدٌ من خلقه في الدنيا ولا في الآخرة».

فإن كان هذا الجالس للقضاء يوم الدين، والقاعد عن يمين أبيه وهو شخصٌ قائمٌ لا يشك فيه، هو الجسد الذي كان في الأرض، المتوجة به الربوبية، فقد فصلتم بين الله وبينه وبعضتموه، باجتماعهما في السّماء شخصين متباينين، أحدهما عن يمين صاحبه، وهذا شركٌ وكفرٌ، بالله تعالى.

وإن كان جسدًا خاليًا من الألوهية، وهي الكلمة وقد عادت إلى الله تعالى كما بدأت منه، فقد زال عنه حكم الربوبية التي تنحلونه إياها»[(١)]، ويقول الباقلاني بعد أن ذكر أكثر ما سبق: «ولا يجوز إثبات الربوبية بجسد أكل الطعام، ومشىٰ في الأسواق، والقول بأن اللاهوت اتحد به قولٌ بعيد لا يحتمل التأويل»[(٢)].

ويذكر أبومنصور الماتريدي خلاف النصارىٰ حول طبيعة المسيح في معرض بيان تناقضهم في هذه القضية مما يدل على بطلانها، فيقول: «وتفرقت النصارىٰ في المسيح، فمنهم من جعل له روحين: أحدهما محدثًا وهو روح الناسوتية، يشبه أرواح الناس، وروح لاهوتي قديمة جزء من الله، صار في البدء ذلك، وآخرون جعلوا الروح الذي في المسيح الله،

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب ضمن الجواب الصحيح (٤/١٥٨، ١٥٩).

(٢) التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ص(٩٦).

لا الجزء...»[١].

هذا الذي ذكرناه سابقًا هو جملة ما يتعلق به النصارىٰ من أقيسةٍ عقلية يعضدون بها قولهم ومعتقدهم ببنوة المسيح، وقد فندها علماء الإسلام بجملتها بأجوبةٍ واستفهاماتٍ عقلية، لا تدع مجالاً بعدها للمجادلة، بل تزيل كل لبسٍ وكل إشكالٍ وكل تردد يدعو للتمسك والتعلق بها، فرحمة الله تعالى على علماء الإسلام جميعًا.

---

(١) التوحيد لأبي منصور الماتريدي ص(٢١٠)، حققه وقدم له: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

المطلب الثاني
الرد على قول النصارىٰ ببنوة المسيح ببعض الأدلة النقلية

يذكر علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ بعضًا من الأدلة الشرعية، دون محاولة جمعها أو سردها، أو استقصائها، ولكنها تأتي في سياق كلام أحدهم ـ رحمهم الله جميعًا ـ لذلك جاء ذكرها عندهم متفرقًا مشتتًا، دون إسهابٍ أو إطناب في هذه المسألة، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

يقول الباجي ـ رحمه الله ـ في معرض رده على كلام النصارىٰ في مسألة بنوة المسيح ـ عليه السلام ـ لله تعالى: «...على أن ملك الله تعالى أعظم من أن يحيط به فهم إنسان، أو تستوعب صفاتُه بكلامٍ أو بيان، فمن عظمته تعالى وقدرته وعزته، انفراده عن الأشراك والأنداد واستغناؤه عن الصاحبة والأولاد ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾(١) تفرد بالخلق والإنشاء وكشف الضر والبلوىٰ، وبعث النبيين مبشرين ومنذرين، فأخبروا عن ربنا بعظيم قدرته، وعلو كلمته، وتمام مشيئته، وبينوا شرائعه، وأوضحوا براهينه وأمره، كل ذلك بالكلام المبين، والمنهج القويم، والأدلة التي تضطر من تأمّلها إلى الحق، وتُنكِّب من

(١) سورة المؤمنون، الآية (٩١).

خالفها إلى الشرك، ولولا الكلام ما عُرف الجائز من المحال، ولا تبيّن الهدىٰ من الضلال»[١].

ومن ذلك أيضًا ما ذكره الجاحظ: «من إخبار الله تعالى عن اليهود والنصارىٰ القائلين: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[٢]، وأن الله جل وعلا إنما ذكر ذلك في معرِض الذم لهم، ولو عَلم الله سبحانه وتعالى أنه قد كان فيما أنزل من كتبه على بني إسرائيل: «إن أباكم كان بكري وأنكم أبناء بكري» لما غضب سبحانه من قولهم نحن أبناء الله»[٣].

وكذلك ما يشير إليه الجاحظ أيضًا من أن: «الله تعالى استعظم زعم العرب أن الملائكة بنات الله[٤] وغضب سبحانه على أهل هذا الزعم، وإن كانت العرب لم تجعل الملائكة بناته على الولادة واتخاذ الصاحبة، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون الله تعالى قد كان يخبر عباده بأن عيسىٰ ابنًا له؟»[٥].

ويقول أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ في هذا الموضوع أيضًا:

وقد دعا سيد المرسلين محمد ﷺ أربابكم إلى المباهلة

---

(١) رسالة إلى الوليد الباجي في الرد على راهب فرنسا ص (٦٧، ٦٨).

(٢) سورة المائدة، الآية (٥).

(٣) المختار في الرد على النصارىٰ ص (٤٠).

(٤) إشارة لما جاء في الأنعام: الآية (٦)، والنحل: الآية (٤٦)، والصافات: الآية (٣٧)، والزخرف: الآية (٤٣) وغيرها.

(٥) المختار في الرد على النصارىٰ ص (٤٦).

حين أنزل الله عليه: «﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١ ﴾[(١)]» فجزعوا لذلك وأبوا عليه، فأوعدهم عليه الصلاة والسلام لو باهلوا باضطرام ذلك الوادي عليهم، فتخوفوا نقمة الله حين يُظهر كرامته عليهم وجاهه لديهم، وإلا فلِمَ لم يجيبوه حينئذٍ وتباهلوا ولا يحترقون كما أوعدهم فيكون في ذلك عليه مالا يخفى[(٢)]»[(٣)].

ويقول أبوعبيدة الخزرجي كذلك للراهب النصراني رادًا زعمه بنوة المسيح: «ما أزين بك أن تقول: إن الله خلق عيسىٰ وأمه آيةً للناس، عبدًا ورسولاً، وهي صديقةٌ مباركة، وكانا يأكلان الطعام، وأكل الطعام هنا كناية عن التغوط. وقد كان يجب لله تعالى لو سبق في حكمه أن يكون إنسانًا وينزل لمقابلة عباده كما زعمت أن يمتنع عن التغوط، إذ هو دنيةٌ ابتلىٰ بها آدم وبنيه، مبينةً لنقصهم واحتقارهم، وهو سبحانه وتعالى المختص بالكمال، والموصوف بالعظمة والجلال فلا يليق به تلك الدنية، ولا نعلم في فرق ملتكم من يقول: إن

(١) سورة آل عمران، الآيات (٥٩ ـ ٦١).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢١٧).

(٣) مقامع هامات الصلبان ص (١٤١).

عيسىٰ لم يكن يتغوط ولا يبول، حاشا الله تعالى أن يحقّر خلقًا له بدنّيةٍ يراها أخس الآدميين عارًا على نفسه ثم يتشبه بعبيده فيها، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الإنسانية»[١].

ويقول: أبوعبيدة كذلك ومستدلاً بما جاء في كتاب الله تعالى وبما يوافق العقل السليم في ردّ دعوىٰ بنوة المسيح لله تعالى: «ثم كتبتم في الإنجيل الذي بأيديكم: «إن الرب صعد فصار على يمين الرب في أثر الصلب»[٢]، أخبرني أيها المخدوع عن هذين الربين: من خلق منهما صاحبه؟ فالمخلوق منهم ضعيف عاجز ليس بإله، وإذا أراد أمرًا لمن الحكم منهما؟فإن كان أحدهما مضطرًا إلى مشاورة الآخر ومساعدته، كان المضطر عاجزًا مقهورًا، ولم يكن إلهًا قادرًا، وإن كان قادرًا على مخالفته وموافقته، فهو إذًا إله مداهن، ويكون الآخر ضعيفًا عاجزًا مقدورًا عليه، أما تعلم أيها المغرور أنه ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[٣] «﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[٤]»[٥].

---

(١) مقامع هامات الصلبان ص (١٦٢).
(٢) مرقس ١٦: ١٩.
(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).
(٤) سورة المؤمنون، الآية (٢٣).
(٥) المقامع ص (١٧٨، ١٧٩).

ويذكر الباجي ـ رحمه الله ـ أيضًا في هذا الباب استدلالاً آخر، له دليله من كتاب الله تعالى، كما أنه يوافق العقل الصحيح كذلك، حيث يقول لراهب فرنسا: «وإني لأعجب أيها الراهب على ما ينقل إلينا من فضلك في قومك، وتقدمك على أهل ملتك، مما يبدو من فرط غفلتك وعدم معرفتك فيما تضمنه كتابك من أن إبليس اللعين يقدر أن يُضل من شاء الله أن يهديه إلى الدين القويم، مع قولنا وقولك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٤٨﴾[1] فأي قدرةً له إذا كان قد بذل دمه في نقض ما شرعه إبليس وغيره من خلقه فلم يقدر على إصلاح ما أفسده، ولا استرجاع ما أحدثه، ولا تقويم ما عوّجه، وإبليس اللعين لم يبلغ فيما ناله من ذلك سفك دمه ولا تغير حاله، ولا تجسّد بغير جسده، ولا انتقل إلى ما كان عليه؟ إن هذا لممّا كان يجب ألا يجوز على أقلّ تلاميذك وأصغر أتباعك، ومما كان يجب ألا يجوز على أضعف الناس علمًا وأقلهم فهمًا. . . »[2].

ثم يورد الغزالي ـ رحمه الله ـ استدلالاً على عدم بنوة المسيح لله تعالى من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ

---

(١) سورة البقرة، الآيات (٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨)، والعنكبوت، الآية (٢٠)، وفاطر، الآية (١).

(٢) رسالة الباجي إلى راهب فرنسا ص (٧٧، ٧٨).

مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾(١) ويطيل رحمه الله في بيان استدلال ذلك، والذي لم يخل من وضوح نزعة التأويل لديه والاعتماد على الدليل العقلي عنده رحمه الله تعالى، وهذا بعض كلامه رحمه الله:

«ويُستَدلُّ على إلهية عيسىٰ عليه السلام بما ورد في الكتاب العزيز من الآية السابقة، فأحببت أن أكشف غطاء هذه الشبهة ليكون الناظر في هذا النص آمنًا من الشبهات المضلة، فأقول: المولود إنما يتكون مسبَّبًا عن سببين:

أحدهما: في الآيتين كلمة الله «كن» ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، **والثاني**: القوة الموجودة في المنيّ إذا انتقل إلى الرحم وانضمت إليه سائر الشرائط. ثم قال: هذا هو السب العاديّ في تكوين كل مولود، وإذا ثبت ذلك، فنقول: إن كل شيءٍ له سببٌ قريبٌ وسببٌ بعيد، فالأكثر إضافته إلى سببه القريب، فيقال عند رؤية الرياض الخضر: انظر إلى صنع المطر، والله هو الصانع الحقيقي، ولو رؤي نباتٌ نَضيرٌ على صَلْدٍ لقيل: انظر إلى صنع الإله، فيصرّح بالسبب الحقيقي، لفوات السبب العادي!

وإذا وضح هذان الأصلان، نقول:

السبب القريب في حق عيسىٰ عليه السلام، لما دلّ على عدم وقوعه، أضيف تكوينه إلى السبب البعيد وهو الكلمة؛

(١) سورة النساء، الآية (١٧١).

لأن كل أحدٍ مخلوق بكلمة الله القائل بها لكل مخلوق «كن» فإذا هو كائن، فلهذا السبب صرح في حقّه بذلك، إشارةً إلى انتفاء السبب القريب العادي، وأنه إنما كوّن الكلمة التي هي «كن» من غير منيّ!

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ﴾

يريد: أن الولد إنما يتكون من إلقاء المنيّ إلى أمه، وهذا المولود لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلى أمه، التي هي عبارة عن الأمر بالتكوين، فإذًا الإلقاء مجازيّ[(١)]، وقد ورد مثل في حق آدم عليه السلام لما اشتركا في عدم التكوين عن الأسباب العاديّة، حيث قال جل من قائل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾[(٢)] والله عزوجل لا يد له، وإنما المراد خلقته بقدرتي، إشارة إلى أنه لم يكوَّن من منيّ، وإنما كُوِّن بقدرته[(٣)].

يشير بذلك إلى فوات السبب العاديّ، وإذا فات السبب العاديّ، أُضيف إلى السبب البعيد المشَبَّهِ بالحقيقي، وهو

---

(١) ويتضح من خلال ذلك التكلف الفلسفي في فهم القضايا العقدية من أجل الجزم بالتأويل.

(٢) سورة ص، آية: (٣٨).

(٣) وتبرز هنا قضية التأويل عند الغزالي ـ رحمه الله ـ حيث يقول بقول المعتزلة في صفة «اليد» لله تعالى، تأويلها بالقدرة. ولا شك أن في ذلك مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه دون تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تمثيل. وينظر ذلك في كلام ابن تيمية في الفتاوى (٥/ ٢٦، ٢٧) من الحموية.

كلمة الله عزوجل»[١][٢].

ثم يأتي الجاحظ ليرد على استدلال النصارىٰ وقولهم: «أليس المسيح روح الله وكلمته، كما قال عزوجل: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟﴾[٣]، وقولهم أيضًا: أوَ ليس قد أخبر عن نفسه حين ذكر أمه أنه نفخ فيها من روحه؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر أنه لا أب له؟

وأنه كان خالقًا إذ كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون حيًا طائرًا، فأيّ شيءٍ بقي من الدلالات على مخالفته بمشاكلة جميع الخلق، ومباينة جميع البشر؟»[٤].

ثم قال رادًّا على هذه المزاعم والتساؤلات: «قلنا لهم: إنكم سألتمونا عن كتابنا وما يجوز في لغتنا وكلامنا، ولم تسألونا عما يجوز في لغتكم وكلامكم، ولو أننا جوزنا في لغتنا ما لايجوز وقلنا على الله مالا نعرف كنا بذلك عندالله والسامعين في حدّ المكابرين، وأسوأ حالاً من المنقطعين، وكنا قد أعطيناكم أكثر مما سألتم وجزنا بكم فوق أمنيتكم.

---

(١) وقد أطلت في النقل عن الغزالي مضطرًا لطول استدلاله، ولارتباطه بعضه ببعض، هذا مع محاولة الاختصار والإيجاز.

(٢) الرد الجميل للغزالي ص (١٦٥ ـ ١٧١).

(٣) سورة النساء، الآية (١٧١).

(٤) نقلها الجاحظ في المختار ص (١٢٤).

ولو كنا إذ قلنا: «عيسىٰ روح الله وكلمته» وجب علينا في لغتنا أن يجعله الله ولدًا، ونجعله إلهًا، ونقول أن روحًا كانت في الله فانفصلت منه إلى بدن عيسى وبطن مريم فكنّا إذا قلنا: إن الله سمىٰ جبريل روح الله وروح القدس، وجب علينا أن نقول فيه ما تقولون في عيسىٰ، وقد علمتم أن ذلك ليس من ديننا ولا يجوز ذلك، ولو كان قوله جل ذكره ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ يوجب نفخًا كنفخ الصائغ في المفتاح، وأن الروح التي كانت فيه انفصلت إلى بطنه وبطن أمه، لكان قوله في آدم يوجب ذلك، لأنه تعالى قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٢٩﴾[1]، والنفخ يكون من وجوه، والروح يكون من وجوه، فمنها ما أضافه إلى نفسه، ومنها ما لم يضفه إلى نفسه، وإنما يكون لذلك على قدر ما عظم من الأمور، فما سمىٰ روحًا وأضافه إلى نفسه جبريل الروح الأمين وعيسىٰ ابن مريم، وأما القرآن فإن الله سماه روحًا، وجعله يقيم للناس مصالحهم في دنياهم وأبدانهم[2] فاشتبها من هذا الوجه، فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ

(١) سورة الحجر، الآية (٢٩).

(٢) وهو هنا يقرر عقيدة المعتزلة في صفة الكلام من أنه تعالى ليس له كلامٌ يقول به وأن كلامه مخلوق وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فلذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق. انظر: ص (٢٤٤) من الجزء الثاني عشر من الفتاوى الخاص بصفة الكلام.

أَمۡرِنَاۚ﴾[١] وقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[٢]»[٣].

انتهى الباب الأول بحمد الله ويليه الباب الثاني

(١) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٢) سورة القدر، الآية (٤).

(٣) المختار في الرد على النصارى ص(١٢٥، ١٢٦).

الباب الثاني
في جهود علماء الإسلام في الرد على النصارىٰ في اعتقادهم بالأنبياء عليهم السلام

وفيه تمهيد وفصلان:

تمهيـــد **في ذكر العلماء الذين لهم جهود في هذا الباب.**

الفصل الأول: **في جهودهم في الرد على اعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام.**

الفصل الثاني: **في جهودهم في بيان موقف النصارى من نبينا محمد ﷺ وما جاء به.**

تمهـــيد

في ذكر العلماء الذين لهم جهود في هذا الباب

لقد برز جملة من علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ، في مقارعة النصارىٰ والرد عليهم والذب عن حياض الإسلام.

وذلك من خلال جملة من المسائل التي أبرزها: قضية دعوىٰ صلب عيسىٰ عليه السلام ودعوىٰ الفداء، وإثبات نبوة محمد ﷺ ومعجزاته، ودعوىٰ انتشار الإسلام بالسيف، واعتقادهم في الجنة ونعيمها.

وكان من أبرع من رد عليهم بردود علمية رصينة، أبوعبيدة الخزرجي الذي أجاد في ردوده وأفاد، وأطنب وأسهب.

ثم تبعه في ذلك علي بن ربن الطبري، والقاضي عبدالجبار، ونصر بن يحيىٰ المتطبب، وأبوالوليد الباجي، وأبومحمد بن حزم، والشهرستاني، والحسن بن أيوب، والإمام الغزالي، وإمام الحرمين الجويني، والماوردي، وأبومنصور الماتريدي.

حيث أبدع هؤلاء العلماء على اختلاف مشاربهم وتنوع طرقهم واتجاهاتهم في دحض ما أثاره النصارىٰ من شبه حول المسائل آنفة الذكر، فكانت ردودهم ردودًا علمية رصينة بأدلةٍ

قوية متينة، قمعت هامات الصلبان، ورفعت راية الإيمان، ودحضت شبه الشيطان.

وسيتبين كل ذلك من خلال عرض أقوالهم في ثنايا هذا الباب.

الفصل الأول
في جهودهم في الرد على اعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **في رد دعوى صلب المسيح.**

المبحث الثاني: **في رد دعوى الفداء.**

المبحث الأول
في ردّ دعوىٰ صلب المسيح عليه السلام

يعتقد النصارىٰ «أنه بسبب خطيئة آدم استحق المسيح الصلب، تكفيرًا عن تلك الخطيئة، ويعتقدون أن آدم مسؤولٌ عن كل من تحدر منه مسؤولية ربّ العائلة عن أفراد عائلته»[(١)]

«ويعتقد النصارىٰ أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، ولم تكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يَظهر بشكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلمًا ليكفّر عن خطيئة البشر»[(٢)].

«والصلب هو التعليق على خشبة الصلب، واليهود والنصارىٰ يعتقدون أن المسيح عليه السلام مات مصلوبًا، ويزعم اليهود أن المسيح كفر بالله لهذا حملوا عليه وطالبوا

---

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص (٩٨)، للأب بولس إلياس اليسوعي، الطبعة الثانية، الناشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

(٢) المسيحية لأحمد شلبي ص (١٣٦)، الطبعة العاشرة، سنة (١٩٩٣م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. وانظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص (٢٥٦)، د. سعود الخلف، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثانية، الرياض.

بدمه وزعموا أنه مات مصلوبًا، والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم، فقد ورد عندهم في التوراة: «وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تثبت جثته على الخشبة بل تدفنها في ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون من الله»[(١)]، والنصارىٰ يعتقدون كذلك أن المسيح مات مصلوبًا ويعللون ذلك بما سبق»[(٢)].

ولقد وردت قصة صلب المسيح في كتاب النصارىٰ المقدس في مواضع كثيرة وأرىٰ أن نلخص هذه القصة كمدخل لفهم قضية الصلب عند النصارىٰ.

«يعتقد النصارىٰ أن المسيح مات مصلوبًا وقصة الصلب كما وردت في الأناجيل باختصار هي: أن المسيح عليه السلام طلبه اليهود ليقتلوه؛ لأنه في زعمهم كفر بالله، فدلهم على مكانه أحد أتباعه، وهو يهوذا الإسخريوطي[(٣)] بعد أن أغروه بالمال، فقبضوا عليه ليلة الجمعة بعد أن كان قد فرغ من

---

(١) سفر التثنية ٢١/ ٢٢.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية النصرانية د. سعود الخلف، ص (٢٥٦) بتصرفٍ يسير.

(٣) يهوذا الإسخريوطي: يهوذا الإسخريوطي بن سمعان الإسخريوطي، التلميذ الذي خان سيده، ولقب بالإسخريوطي تمييزًا له عن يهوذا الآخر أحد الأثني عشر، والإسخريوطي هو التلميذ الوحيد بين التلاميذ الذي لم يكن جليليًا، أسلم المسيح لأعدائه مقابل ثلاثين من الفضة، كما يعتقد النصارىٰ. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (١٠٨٩ ـ ١٠٩٠).

صلاةٍ طويلةٍ تضرع وتوسل فيها إلى الله عزوجل أن لا يذيقه هذه الكأس، ثم ساقوه إلى دار رئيس كهنة اليهود الذي تحقق من أنه مستحق للقتل، ثم حُمل إلى دار الوالي الروماني الذي حكم عليه بالصلب بناءً على رغبة اليهود، فصلب الساعة الثالثة صباحًا من يوم الجمعة ومات على الصليب الساعة التاسعة مساءً أي وقت العصر بعد أن صاح: «إلهي إلهي لماذا تركتني».

ثم نهار السبت ثم ليلة الأحد، ولما جاؤا إليه صباح الأحد وجدوا القبر خاليًا، وقيل لهم: إنه قام من قبره ثم إنه ظهر لهم في الجليل(١) وكلمهم وبقي معهم أربعين يومًا ثم ارتفع إلى السّماء، وهم ينظرون إليه»(٢).

هذا هو مختصر قصة صَلب المسيح التي يدّعيها ويزعمها النصارىٰ كما وردت في كتبهم، وهذا هو صميم معتقدهم، وأصل دينهم الذي بنيت عليه شريعتهم، كما هو متقرّر أيضًا في قانون الإيمان النيقوي.

ولقد أجاد علماء القرون الستة ـ رحمهم الله جميعًا ـ في

---

(١) الجليل: اسم عبري معناه «دائره» وتقسم إلى الجليل العليا، والجليل السفلىٰ، العليا: ويحدهامن الشمال صور، ومن الجنوب السامره، ومن الغرب فينقية، ومن الشرق الأدرن، والسفلى التي اسمها الآن عكا على البحر الأبيض المتوسط. انظر قاموس الكتاب المقدس (٢٦٥).

(٢) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٢٦ ـ ٢٨، ومرقس: ١٤ ـ ١٦، ولوقا: ٢٢ ـ ٢٤، ويوحنا: ١٨ ـ ٢١. وانظر: أعمال الرسل ١/٣.

دحض ـ زعم النصارىٰ صلب المسيح عليه السلام ـ بأدلةٍ شافيةٍ كافية بينةٍ واضحة لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

يقول أبوالوليد الباجي ـ رحمه الله ـ رادًّا على دعوىٰ صلب المسيح عند النصارىٰ:

«ومن أغرب ما تأتون به قولكم: إنه بذل دمه في خلاص العباد، وكيف يكون للرب دم، والدم من الأجسام المحدثة المخلوقة؟

ولو حددتم الكلام لزعمتم أنه دم الناسوت دون اللاهوت، وللزمكم أن تقولوا: إن المصلوب هو الناسوت دون ابن الله تعالى، لكنكم حققتم أن إلهكم صلب ومات، وهذه صفةٌ لا تصح إلا على محدثٍ مخلوق؛ لأن الحياة القديمة لا يصح عدمها، ولئن جاز هذا عليه ليجوزنّ على أبيه بزعمكم؛ لأنه على صفة ابنه فكيف يكون إلهًا قديمًا حيًا لم يزل، من يجوز عليه الموت وعدمت حياته؟

وكيف لم يذبّ عن نفسه الموت ولم يقدر على دفعه عنها؟

وإن جاز أن يموت ويكون مع ذلك إلهًا، فما نمنع على هذا أن يكون كل من رأيناه أو سمعنا خبره قديمًا لم يزالوا آلهه، وإن كان لهم أب أو ماتوا وفنيت حياتهم وعدمت.

وهل يصح أن يبلغ من الجهل الواضح وتجويز قلب

الحقائق، ودعوىٰ المحال، إلا من سقطت مقالته، واستحكمت جهالته، وعميت بصيرته؟

فكيف يكون من هذا حاله يدعوا إلى ما هو عليه ويندب إليه؟

وهل يمكن أن يكون في المقالات المستحيلة، أو المحايل المرذوله، أشد فسادًا من هذه التلفيقات التي تخجل من يوردها، ولا يكاد يصح تكليف من يجوّزها ويعتقدها؟»[(١)].

ثم يورد أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ مجموعةً من الأدلة التي تدل على إنكار وردّ ودحض دعوىٰ صلب المسيح عليه السلام من الكتاب المقدس فيقول:

«ثم قلت أيها القسيس: إنه لا ينكر صلب عيسىٰ إلا كافر، وما ذلك إلا ضلالات ابتدعتموها، ومحالات على رعاع الأعاجم أجزتموها، وأيم الله إنكم لفي شكٍّ منه مالكم به من علمٍ إلا اتباع الظن[(٢)].

وإلا فأخبرني أيها المغرور ما معنىٰ قول «يهوذا الإسخريوطي» وهو من الحواريين تلاميذ المسيح، أمرتد

---

(١) رسالة الباجي في الرد على راهب فرنسا ص (٧٢، ٧٣).

(٢) أخذًا من قوله تعالى: «﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ سورة النساء، الآية (١٥٧).

عنكم بزعمكم» ودلّ عليه بظنكم حين خرج مع اليهود إلى طلبه، قال لهم: إني لأستحي منه، ولذا سوف أجعل الإمارة عليه، ـ حيث أنكم لا تعرفونه بعينه ـ، أن أقبله فإذا فعلت ذلك فأنتم وذاك فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه، وهذا منصوص في أناجيلكم[١].

وفي أناجيلكم أيضًا: أنه «اليهود» حين أحاطوا بالمسيح ومن معه، خرج بنفسه إليهم وقال: من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصريّ، قال: أنا هو، فنظروا إلى يهوذا نظرة تساؤل عن الإشارة التي اتفقوا معه عليها ففعلها، فقبضوا عليه بظنكم[٢].

أخبرني: كيف أَمِنتم والحال كما رويتم، أن يكون قد عمد اليهود إلى سواه، حيث كانوا لا يعرفونه، ورفعه الله كما رفع أخنوخ[٣] النبي»[٤].

ويضيف أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ قوله: «ولعلكم صدقتم «يهوذا الإسخريوطي» في دلالته عليه، وفي نص إنجيلكم أنه مرتد كافر ملعون، فشهادته إذن غير جائزة، ولعله عندما عاينه، وأدركته الندامة، جعل الإمارة على غيره من التلاميذ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه، والدليل على قيام هذا

---

(١) كما جاء في متىٰ ٢٦: ٤٨.

(٢) انظر مثلاً: يوحنا ١٨: ٣ ـ ٤، والقصة موجودة في جميع الأناجيل.

(٣) أخنوخ النبي. سبقت ترجمته ص (١١٩).

(٤) مقامع هامات الصلبان ص (١٥٨، ١٥٩).

الاحتمال: أنه في نص الإنجيل الذي بأيديكم أن «يهوذا الإسخريوطي» أدركته الندامة حينئذ، وأعاد لهم ثلاثين درهمًا التي باعه بها، إذ أعلمهم أنه ليس هو ذلك المقبوض عليه، فقال له اليهود: وما علينا، فأنت ترىٰ هذه الندامة وهذا القول لليهود وتقرأها في أناجيلكم[1]، وقلتم أنه خنق نفسه.

وأما اليهود فإنهم قتلوا رجلاً لم يعينوه بإقرار كتابكم ـ كما مرّ معنا ـ ولم تعرفه إلا بشهادة يهوذا الإسخريوطي، أنه ذلك المطلوب، وأما أنتم فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلك، ولا خبرٌ قاطعٌ للحجة، كيف لا ونصوص الإنجيل والكتب النصرانية متنافرة دالة على عدم صلب المسيح عيسىٰ عليه السلام ووقوع الشبه على غيره، وذلك من وجهين:

أحدهما: جاء في الإنجيل: «أن المصلوب قد استسقىٰ اليهود، فأعطوه خلاً ممزوجًا بمرارة، فذاقه ولم يشربه، فنادىٰ: «إلهي إلهي لم خذلتني»[2].

والأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام «كان يطوي أربعين يومًا وليلة أي: يصوم، ويقول للتلاميذ: إن لي طعامًا لستم تعرفونه»[3].

ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يومًا وليلة كيف

---

(١) انظر: متى ٢٧: ٣ ـ ٤.

(٢) سبق ذكره.

(٣) وجاء ذكر هذا المعنى في جميع الأناجيل.

يُظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يومٍ واحد؟ هذا لا يفعله أدنى الناس، فكيف بخواص الأنبياء؟ وكيف بالرّب تعالى على ما تدّعونه، فيكون حينئذٍ المدّعي للعطش غيرُه وهو الذي شُبِّه لكم.

ثانيهما: «إلهي إلهي لم خذلتني؟» هو كلامٌ يقتضي عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسىٰ عليه السلام منزهٌ عن ذلك، فيكون المصلوب غيره، لاسيما وأنتم تقولون أن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه، ويُخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف تروون عنه ما يؤدي إلى خلاف ذلك؟ مع روايتكم في توراتكم عن الأنبياء أنهم لما حضرهم الموت، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم فلم يجزعوا من الموت، ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه[(١)]، مع أنهم عبيدالله، والمسيح بزعمكم ولدٌ وربٌّ، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم ولما لم يكن ذلك، دلّ على أن المصلوب غيره»[(٢)].

وإن من لطيف استنتاج علماء القرون الستة، لكذب النصارىٰ وادعاءاتهم الباطلة ما يقوله أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ أيضًا حيث يقول:

---

(١) انظر: قصة صلب المسيح في جميع الأناجيل.

(٢) مقامع هامات الصلبان ص (١٦١ ـ ١٦٤) بتصرفٍ يسير. وانظر: مثله القاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة ص (٢/ ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١)، والمغني (٥/ ١٤١).

«من كان الممسك للسموات والأرض إذا كان الله كما تزعمون مربوطًا على خشبة الصليب؟ هل بقيا ساكنين؟ أم كان استخلف عليهما غيره وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب؟ ليوجب اللعنة على نفسه بما قال في التوراة «ملعون ملعون من تعلق بالصليب»[(١)]، عجبًا له إنه المنتقِم والمنتقَم منه، والحقود والمحقود عليه، وإنه الظالم يأخذ نفسًا بذنب غيرها، وهو المظلوم لأنه أخذ بذنب غيره، وعجبًا لتفاوت غائلته وحقده، كيف يمتنع عن المعايب، وليس هو عندكم غير من اتصف بهذه المعايب، حتىٰ سُمّرت يداه ورجلاه؟ ولا قنع من آدم صاحب الذنب بالتوبة حتى اغرست الخشبة في ظهره تكفيرًا لما ارتكبه آدم في الجنة»[(٢)].

ثم يواصل أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ سرده للأدلة والقرائن التي تمنع وقوع الصلب على المسيح وسأضطر[(٣)] لإطالة النقل عن أبي عبيدة ـ رحمه الله ـ فقال: «أما إنكم أتيتم على الصلب بشواهد من التوارة وكتب الأنبياء، فتأويلكم فيها لايخفى على العواجز ضعفه، ولا على عقول صغار الولدان سخفه، فمن أدلتكم على ذلك ماجاء في التوراة عن

---

(١) سفر التثنية ٢١: ٢٢، ٢٣.

(٢) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٧٥).

(٣) وذلك لتميزه ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة عن غيره، إذ أنه أطال وأجاد في رد دعوىٰ الصلب، ولذلك تم سرد النقل عنه وقدمته على من سواه.

يعقوب بن إسحاق عليهما السلام «أن ابنه يوسف جاء إليه بابنيه «منسىٰ» و«أفرايم» ليبارك له عليهما، فجعل يوسف ابنه «منسىٰ» وهو الكبير من ولديه على يساره كي يكون عن يمين يعقوب إذا وقف أمامه، وجعل «أفرايم» عن يمينه كي يكون عن يسار يعقوب ثم قربهما إليه، فخالف يعقوب بذراعيه، وجعل يده اليمنىٰ على رأس الأصغر واليسرىٰ على رأس الأكبر ثم بارك على يوسف وعلى ولديه، فشق ذلك على يوسف، فأخذ بيد أبيه ورام رفعها عن رأس الصغير إلى رأس الكبير، وقال: لا يحسن هذا يا أبتاه؛ لأن هذا أكبر ولدي فاجعل يمينك على رأسه، فكره ذلك الشيخ، وقال: قد علمت ذلك يا بني وستكثر ذرية هذا، ولكن أخوه الأصغر أكثر ذرية ونسلاً»(١). فتأولتم ذلك بأن مخالفته بيديه إعلامٌ بالصلب! فما أغرب هذا الأمر، وكيف رضيتم بتأويل ذلك بهذا الهذيان، وفي نصّ التوراة السابق سبب مخالفته بيديه من فضل «أفرايم» على «منسىٰ» فإذا كان لا بد من تأويلٍ مستدركٍ على نص التوراة، فهلمّ إلى تأويلٍ أحسن موقعًا في النفوس من تأويلكم، وذلك أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة، إعلامٌ بأن الله تعالى سيخالف بهذه البركة عن ولد إسحاق، إذا أسخطوه بالعصيان، ويصيرها في ولد إسماعيل، وذلك فعل الله بولد إسماعيل إذ بعث منهم سيد النبيين والمرسلين محمدًا

(١) يقارن مع سفر التكوين ٤٨ : ١٣ ـ ٢٠.

ﷺ»[١].

يضيف إلى هذا الرد الجميل ـ من أبي عبيدة ـ نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ إفحامًا قاطعًا للنصارىٰ في دعوىٰ صلب المسيح، فيقول: «تقولون: إنه بصلب المسيح بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان واندرست، فأي خطيئةٍ بطلت، وأي فتنة للشيطان انطفأت، وأي أمرٍ كان الناس عليه قبل مجيئه من المحارم والمآثم تغير حاله؟

وإذا كنتم قد قبلتم هذا المحال الظاهر الذي لا يخفى على الصبيان فأنتم لما هو أعظم من المحال أقبل، وأناجيلكم تكذب هذا القول حيث يقول المسيح فيها: «ما أكثر من يقول يوم القيامة: يا سيدنا، أليس باسمك أخرجنا الشياطين، فأقول: اغربوا عني أيها الفجرة الفارّون ، فما أعرفكم قط»[٢] فهذا خلاف قول علمائكم فيما وصفوه لكم، وقول المسيح: «إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتي، وقائلٌ لأهل الميسرة: إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريبًا فلم تؤوني، ومحبوسًا فلم تزوروني، ومريضًا فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المعدة لكم قبل تأسيس الدنيا.

وأقول لأهل الميمنة: فعلتم عكس هذه الأشياء فاذهبوا

---

(١) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) متى ٧: ١٥ ـ ٢٣.

إلى النعيم المعدّ لكم قبل تأسيس الدنيا»[١].

فهل أدخل أولئك النار إلا خطاياهم التي ارتكبوها؟ وهل صار هؤلاء إلى النعيم إلا بأعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله إياهم؟ فمن قال: إن الخطيئة قد بطلت فقد خالف قول المسيح، وهو من الكاذبين، فكيف تنسبونه إلى الربوبية وتنحلونه اللاهوتية وتجعلونه خالق الخلق أجمعين وإلههم؟ فما الحجة عندكم في ذلك؟ وهل نطقت كتب النبوات به؟ أو قاله هو عن نفسه أو قاله أحد تلاميذه والناقلون عنه؟ أخبرني: ما الذي أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفًا لديكم بهذه الشتائم وهو أبوالبشر، والله قد تاب عليه واجتباه؟ استغفر الله من شرّ ما جئتم به وهو الغفور الرحيم»[٢].

ويأتي الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ ويتحدىٰ النصارىٰ بأن يثبتوا دعوىٰ صلب المسيح عليه السلام، فيقول: هذه الدعوىٰ لا يقدرون على تحقيقها البتة، وكيف يستجيز العاقل أن يطلق الصلب على المسيح «الذي هو أقنوم الحقيقة الإله فقط» ويردّ الألم إلى الإنسان ويصرفه عن الإله فقط؟

وأعجب من ذلك ركونه إلى مالا يعلم حقيقته، وله عن هذه الجهالة مندوحة ظاهرة، وأي عذرٍ لمن يعتقد أن الحامل له على ذلك، ما ورد من ظواهر النصوص الدالة على

---

(١) متى ٢٥: ٣٤ ـ ٤٤.

(٢) نصر بن يحيىٰ، النصيحة الإيمانية ص (٧٧).

الاتحاد، وما ظهر على يد المسيح من الخوارق؟ وهذ اعترافٌ بالجهل الصّادّ عن الحق، ومن لم يَدْرِ أوضاع العلوم ولم يكن له منها هاد يزعه عن الجهالة، هان عليه أن يقول مثل ذلك!»[١].

يوضح الإمام الغزالي التناقض الكبير الذي يعيشه النصارىٰ في كثير من معتقداتهم ومنها: اعتقادهم بصلب المسيح، ومعنىٰ قوله: كيف يستجيز النصارىٰ أن يصلب المسيح ويقع الألم عليه وعلى جسده مع ادعائهم اتحاده بالإله؟ هذا الإدعاء الذي يؤكده ـ بزعمهم ـ جريان كثير من الخوارق الدالة على اتحاده بالإله.

ويأتي أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ ليركّز ـ في ردّه دعوىٰ الصلب ـ على مسألة إلقاء الشبه وأن المصلوب ليس هو عيسىٰ عليه السلام، بل هو غيره، فيقول: «والقول بالشبه قولٌ جائز ممكن، لا بما هو خلاف الضرورة، يؤيد ذلك أن التوراة مصرحةٌ بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصا موسىٰ عليه السلام، وهو أعظم من الشبه، فإن جعل حيوان يشبه حيوانًا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانًا، وقلب العصا حيةً تسعىٰ مما أجمع عليه اليهود والنصارىٰ، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام بردًا وسلامًا فإذا جوّزتم

(١) الإمام الغزالي، الرد الجميل ص (١٣٥، ١٣٦).

مثل هذا، جوزتم أيضًا إلقاء الشبه من غير استحاله»[١].

ويضيف أبوعبيدة أيضًا ما يؤيد ويعضد إلقاء الشبه على غير المسيح عيسىٰ عليه السلام في مسألة الصلب، فيقول أيضًا: «ثم إن الإنجيل عندكم ناطق بأن عيسىٰ عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم ويناظرهم ويعجبون من براعته وكثرة تحصيلة وإذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فلم نص الإنجيل على أنهم «وقت ما أرادوا القبض عليه يتحققوا منه، حتىٰ دفعوا لأحد تلاميذه ـ وهو يهوذا ـ ثلاثين درهمًا ليدلهم عليه، فجاء ليلة الجمعة، لثلاث عشرة خلت من شهر نيسان، ومعه جماعة من اليهود، ومعهم السيوف والعصيّ من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ المذكور: الذي أقبّله هو مطلوبكم فأمسكوه، فلما جاء قال: السلام عليك ثم قبّله، فقال له يسوع: لماذا جئت ياصاحب، فوضعوا أيديهم عليه وربطوه، وتركه التلاميذ كلهم وهربوا، وتبعه بطرس من بعيد. فقال له رئيس الكهنة: استحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذلك وإني أقول لكم، إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالسًا عن يمين الرب آتيًا في سحاب السّماء»[٢].

---

(١) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٦٥).

(٢) يقارن مع ما جاء مفصلاً في إنجيل متىٰ ٢٦، ٢٧.

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة، والمجادلات البليغة كلها تدلّ عل وقوع الشبه قطعًا، فمن أين لكم أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسىٰ عليه السلام دون شبهة؟ بل إنما حصل الظن والتخمين كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾[(١)] »[(٢)].

ويزيد أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ في إسهابه لإيضاح كذب دعوىٰ الصلب عند النصارىٰ بأدلةٍ تثبت وقوع الشبه على غير المسيح عليه السلام، فيقول: «وفي الإنجيل أيضًا: أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان فجاء اليهود في طلبه فخرج إليهم عليه السلام، وقال لهم: من تريدون؟ قالوا: يسوع، وقد خفي شخصه عنهم، ففعل ذلك مرتين وهم ينكرون صورته»[(٣)] وما ذلك إلا دليل الشبه ورفع عيسىٰ عليه السلام»[(٤)].

يريد أن يوضح ـ رحمه الله ـ: أن احتمال وقوع الشبه أمرٌ واردٌ بنصوص كتبهم فإذا كان اليهود لا يعرفونه فاحتمال

---

(١) سورة النساء، الآية (١٥٧، ١٥٨).

(٢) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع الصلبان ص (١٦٥ ـ ١٦٧)، ومثله عند القاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة ص (١٣٧ ـ ١٣٩).

(٣) يوحنا ١٨ : ٤ ـ ٨.

(٤) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٦٧).

وقوع الصلب على غيره ممن يشبهه أمرٌ ورادٌ ومحتملٌ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال. ثم يؤكد ـ رحمه الله ـ إلقاء الشبه على غير عيسىٰ عليه السلام بقوله: «قال متىٰ في إنجيله: بينما التلاميذ يأكلون طعامًا مع يسوع عليه السلام، قال: كلكم تشكّون فيّ في هذه الليلة، فإنه مكتوب أني أضرب الراعي فتفترق الغنم، فقال بطرس(١): فلو شك جميعهم ما أشك أنا، فقال يسوع: الحق أقول لك: إنك في هذه الليلة تنكرني قبل أن يصيح الديك»(٢).

فقد شهد عليهم بالشك بل على خيارهم «بطرس» فإنه خليفته عليهم فقد انخرم حنيئذٍ الوثوق بأقوالكم وجُزم بإلقاء الشبه على غير عيسىٰ عليه السلام، فصح قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾(٣) ومثل هذا كثير»(٤).

ويثبت أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ هنا مطابقة لفظ الإنجيل

---

(١) بطرس: اسم يوناني معناه «صخره أو حجر» كان اسمه سمعان بن يونا، فلما تبع يسوع سمي «كيفا» كانت مهنته صيد السمك التي بواسطتها يحصل على ما يكفي عائلته المقيمة في كفرناحوم، له دورٌ كبير في إرساء عقائد النصارىٰ كما ينسبونه إليه، قتل في روميه له رسالتان في الكتاب المقدس. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (١٧٤ ـ ١٧٩).

(٢) متى ٢٦: ٣١ ـ ٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية (١٥٧).

(٤) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٦٧، ١٦٨).

بالتصريح بشك التلاميذ، بما صرح الله به في كتابه العزيز من أنهم في شك وظن.

ثم يضيف رحمه الله مجموعةً من اللطائف المؤكدة لنفي صلب المسيح والمكذبة لدعوىٰ الصلب حيث يقول رحمه الله: «وإن أردت أن أزيدك توضيحًا تذكّر ما فعله «يهوذا» ويحتمل أن يكون قد كذب في قوله لليهود، ويدل على وقوع ذلك منه ظهور الندم منه بعد ذلك[١].

ثم لا تنسىٰ أن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام شهد للتلاميذ الاثني عشر بالسعادة[٢]، وشهادته حق، ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم إذا شرع فيه، ويهوذا أحد الاثني عشر، فيلزم: إما أن يكون يهوذا لم يدلّ عليه، أو يكون المسيح ما نطق بالصدق، أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل، فاختاروا لكم واحدةً من هذه الثلاث»[٣].

ثم قال ـ رحمه الله ـ ملزمًا لهم: «ثم هل يستحيل أن يكون الله تعالى قد صوّر لهم شيطانًا أو غيره بصورته فصلبوه، ورُفع المسيح عليه السلام؟ وهذا ممكنٌ والله على كل شيءٍ قدير.

وإذا كان ليس عندكم نصوصٌ قاطعةٌ بصلبه كما بينا لكم

---

(١) كما جاء في متىٰ من قصة صلب المسيح. انظر: اصحاح ٢٦، ٢٧.

(٢) متى ١٩: ٢٨.

(٣) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٦٨).

وجوه احتمالات مانقلتموه، واليهود ليسوا قاطعين بذلك، لأنهم اعتمدوا على قول يهوذا فأي ضرورةٍ تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم؟ إن هذا لمن أعجب العجاب»[١].

ثم إنه من المعلوم أن عقيدة النصارىٰ قائمةٌ ومعتمدةٌ اعمادًا كبيرًا جدًا على مسألة صلب المسيح عليه السلام، ويفتخر النصارىٰ بهذا الصليب[٢] ومع ذلك نرىٰ اختلافًا كبيرًا من قبل النصارىٰ وطوائفهم في كيفية هذا الصلب، وقد أسهب علماء القرون الستة ـ رحمهم الله تعالى ـ في بيان الخلاف الكبير بينهم.

فمن قائل: «إن القتل ورد على الجزء الناسوتي، ولم يرد على الجزء اللاهوتي».

ومن قائل: «إن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معًا».

ومن قائل: «إن القتل والصلب وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، قالوا: لو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد».

ومن قائل: «أن القتل والصلب إنما وقع على الخيال لا علىٰ اليقين».

ولقد تميّز القاضي عبدالجبار والشهرستاني في نقل هذه

---

(١) المرجع السابق ص (١٦٩).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٥٤٦).

الاختلافات الكثيرة جدًا في قضية الصلب عند النصارىٰ[١].

كل ذلك في معرض بيان أن الصلب قضية ظنية ليس عند النصارىٰ أي دليلٍ قاطع يدلّ عليها مع أنهم يزعمون أن عليها مدار دينهم، ولا أدلّ على عدم ثبوتها يقينًا عندهم من كثرة تنازعهم واختلافهم فيها.

كل ذلك وغيره دالٌّ تمام الدلالة وبأوضح العبارة والمقالة على أن عيسىٰ عليه السلام لم يصلب، وأن الصلب والقتل إنما وقع على غيره، ولعلّ فيما ذكرت غنية وكفايةٌ عن المزيد من السرد والتكرار لما ذكره علماء القرون الستة الهجرية ـ رحمهم الله تعالى أجمعين ـ.

وأختم هذا المبحث بنصٍ للقاضي عبدالجبار حول مسألة الصلب إذ يقول: «قد ادعىٰ النصارىٰ أنهم قد علموا ذلك، وليسوا به عالمين ولا متيقنين وما معهم فيه إلا الظن كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٢]»[٣].

(١) القاضي عبدالجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/ ٨٤)، والشهرستاني في الملل والنحل (٢/ ٢٢٧)، ولمزيد من معرفة اختلافات طوائف النصارىٰ وغيرها في مسألة الصلب وغيرها ينظر: الكسندروس مطران حمص وتوابعها في تاريخ الكنيسة المسيحية، مكتبة السائح طرابلس، لبنان.

(٢) سورة النساء، الآيتان (١٥٧ـ١٥٨).

(٣) القاضي عبدالجبار، تثبيت دلائل النبوة (٢/ ١٢٣).

المبحث الثاني
في ردهم عليهم في دعوى الفداء

الفداء عقيدةٌ نصرانيةٌ أصيلة، وهي من الثوابت التي لا تقبل النقاش.

وتعريف الفداء عند النصارىٰ: «إشارة إلى الخلاص من الخطيئة، إذ قدّم المسيح نفسه «عند صلبه» لفك كل قيد، ورفع كل مسؤولية، وافتداء كل من كانوا تحت رق عبودية الخطيئة، بشرط أن يقبل الخاطيء الفادي بإيمانٍ قلبي»(١).

أو هو: «اعتقاد النصارىٰ أن موت المسيح كان كفارة لخطيئة آدم التي انتقلت إلى أبنائه بالوراثه»(٢).

يستدل النصارىٰ على هذ الإعتقاد ببعض النصوص الواردة في الكتاب المقدس عندهم، ولا شك أن هذا الاستدلال غير مسلّمٍ به مبدئيًا، إذ أن قبول نصوص الكتاب المقدس مسألة راجعةٌ بدايةً لمدىٰ صحة هذه النصوص وهل دخل عليها التحريف والتبديل، ـ كما سيأتي بيانه وتوضيحه في الباب الثالث من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى ـ، ولم يهمل علماء القرون الستة الهجرية من المسلمين مناقشة هذه

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص (٣٧٢).

(٢) علم اللاهوت النظامي لمجموعة من اللاهوتيين النصارىٰ ص (٧٥٦)، دار الثقافة المسيحية.

المسألة وهذه العقيدة النصرانية.

يقول الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ مؤكدًا فلسفة النصارىٰ في عقيدة الفداء ورادًّا عليها: «وتعتقدون سبب نزوله «عيسىٰ» من السّماء أنه أراد أن يخلصكم، ويحتمل الخطيئة ويربط الشيطان، فقد وجدنا الخلاص لم يقع، والخطيئة لم تزل، والشيطان أعتىٰ ما كان لم يربط، بل سلطه الله عليه على ما تقولون، فحصره في الجبل أربعين يومًا، يمتحنه، وقال له في بعض أحواله معه: إن كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزًا، فقال له المسيح مجيبًا له: إنه مكتوب أن حياة الإنسان لا تكون بالخبز، بل بكلمة تخرج من الله، ثم ساقه الشيطان إلى مدينة بيت المقدس، وأقامه على قمة الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فارم بنفسك من هاهنا، فإنه مكتوب أن الملائكة توكل بك، لئلا تعثر رجلك بالحجر، قال يسوع: ومكتوبٌ أيضًا لا تجرب إلهك، ثم ساقه إلى جبلٍ عالٍ وأراه جميع ممالك الدنيا وزخارفها، وقال له: إن خررت على وجهك ساجدًا لي جعلت هذا الذي ترىٰ كله لك، قال له المسيح: أغرب أيها الشيطان فإنه مكتوب: اسجد للرب إلهك ولا تعبد شيئًا سواه، ثم بعث الله ملكًا اقتلع العدو من مكانه ورمىٰ به في البحر، وأطلق السبل للمسيح»[1]»[2].

(١) متىٰ ٦، ولوقا ٤.

(٢) الحسن بن أيوب رسالة ضمن الجواب الصحيح لابن تيمية (٤/١٠٧، ١٠٨).

ثم يؤكد الحسن بن أيوب ـ رحمه الله ـ كلامه السابق ويرد على زعم النصارىٰ زوال الخطيئة بفداء المسيح نفسه، بقوله: «ووجدناكم «النصارىٰ» تذكرون أن المسيح نزل من السّماء فأبطل بنزوله الموت الآثام، وإن العجب ليطول من هذا القول وأعجب منه مَنْ قَبِله ولم يتفكر فيه، وممن لم يستقبح أن يعتقد ديانةً ـ لله تبارك وتعالى ـ على مثل هذا القول المحال البائن عماتشهد به العقول وتنبىء به المشاهدة، ويدعوا الناس إليها، فماهو ببعيد من عَقْد ما هو أمحل وأبطل منها، لأنه إن كانت الخطيئة بطلت بمجيئه، فالذين قتلوه إذا ليسوا خاطئين، ولا مأثومين لأن لا خاطىء بعد مجيئه ولا خطيئة، وكذلك أيضًا الذي قتلوا حوارييه وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، وكذلك من نراه من جماعتكم منذ ذلك الوقت يقتل ويسرق ويزني ويلوط ويسكر ويكذب، ويركب كلّ ما نُهي عنه قبل مجيئه من المحارم والآثام تغير عن حالته»[١].

ثم يضرب أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ لذلك مثلاً يوضح فيه أن عقيدة الفداء لا يقبلها عقلٌ سليم أو تفكير صحيح، فيقول: «أخبرني أيها المغرور عن رجلٍ أخطأ عبده في حقه فبقي بعده مدة غاضبًا عليه ساكتًا على معاقبته حتىٰ ولد لنفسه ولدًا «أي الرجل» فعمد إلى قتل ولده بذنب العبد

---

(١) المرجع السابق ٤/١١٧، ١١٨، ومثله تمامًا عند نصر بن يحيىٰ المتطبب في النصيحة الإيمانية ص (٤٣).

الذي كان أذنب له، ألست ترىٰ ذلك من قتله ولده أنه أراد أن يشفي نفسه على ذلك العبد فأصبح ذلك زائدًا في كربه، وداعيًا إلى دوام خزنه؟ وهل يحدث هذا على نفسه عاقلٌ أو من لا عقل له؟»[١].

ثم يوضح الإمام أبوحامد الغزالي ـ رحمه الله ـ أن الجهل الذي خيّم على النصارىٰ منذ بدايتهم هو السبب في قول واعتقاد مثل هذه الأباطيل، حيث يقول: «وقد أجَرَّهُم الجهل رَسَنَ الجرأة على الله وعلى أنبيائه الهادين وأوليائه المقربين، إلى أن أخطروا ببالهم أباطيل تناقلوها صاغرًا عن صاغر، فلذلك أجمعوا على أن بني آدم أخذوا بسبب عصيان أبيهم آدم، وأن جميع الأنبياء والأولياء أُلقوا في الجحيم ثم إن الإله وعدهم أن يفديهم ففداهم فداء الكريم، والكريم إذا بالغ في الفداء فدىٰ بنفسه، فاتحد بناسوت عيسىٰ عليه السلام، ثم إن الناسوت الذي اتّحد به صلب، فكان صلبه سببًا لخلاص الأنبياء والأولياء وإخراجهم من الجحيم! لا أقال الله لهذه العصابة النوكىٰ[٢] عثارًا»[٣].

ويعقد أبوالوليد الباجي ـ رحمه الله تعالى ـ مقارنة بين

---

(١) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٧٤).

(٢) النوكىٰ: النوك بالضم: الحق، والأنوك: الأحمق وجمعه النوكىٰ. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٠/٥٠١).

(٣) أبوحامد الغزالي، الرد الجميل ص (١٤٣).

عيسىٰ عليه السلام الذي بذل دمه فداءً للبشرية كما يزعم النصارىٰ مقارنة بينه وبين غيره من الأنبياء عليهم السلام في مدىٰ استجابة الناس لهم فيقول: «وقد بذل عيسىٰ عليه السلام دمه بزعمكم حرصًا على استنقاذ الناس من الضلالة، فما آمن به إلا العدد اليسير، وقد آمن بغيره من الأنبياء ممن لم يبلغ به هذا المبلغ مثل من آمن بعيسىٰ، فما توفي موسى عليه السلام حتى آمن به العدد الكثير والجم الغفير، ولا توفي محمدٌ ﷺ حتى آمن به العدد العظيم الذي استحوذ على البلاد وتغلّب على الآفاق وأظهره الله على الدين كله ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1] ثم استفتح بعده ـ بإثر وفاته ﷺ ـ أصحابهُ بلاد الفرس، على بعدها عن مكانه، وتمكّن سلطانه، وعظم شأنها وقدرها، واستفتحوا بلاد الشام، وهي كانت أفضل بلادكم ومكان شريعتكم فما صار لمن تزعمون أنه إلهكم مع بذل دمه، إلا أقلّ مما صار للمربوبين الأدميين من النبيين مع إعزاز الله لهم وحمايته إياهم»[2].

ويتمم هذه المقارنة أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «أخبروني أيها المغرورون عن موسىٰ بن عمران، كيف تفهم أن الله تعالى أدخله الجحيم وخلّده فيها بعد أن كلّمه واصطفاه وفضّله، وبعثه إلى عباده نبيًا وهاديًا ولم يكفر

(١) سورة التوبة، الآية (٣٣)، سورة الصف، الآية (٩).

(٢) أبوالوليد الباجي، رسالة في الرد على راهب فرنسا ص (٧٠).

بعد ذلك؟

وكذلك إبراهيم الذي كان قد اتخذه الله خليلاً واصطفاه وفضّله بهدايته ونبوته، وأظهر على يديه توحيده، ولا جرم أنه لوكان ذنب آدم بقي في أعناق أولاده حتىٰ أُنقذوا منه بدم إله لنطقت بذلك التوراة، ولصرّحت به الأنبياء لأنه أمرٌ شنيع ومصابٌ بشيع، ففي أي موضع من التوراة ذُكِر، أو في أي صحيفةٍ من صحف الأنبياء سُطِر؟»(١).

ثم يضمّن أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ ردّه على النصارىٰ في قضية الفداء دليلاً إلزاميًّا فيقول: «وعلى زعمكم... فالأولى بالله تعالى أن يعفو عن الذنب ويتوب على المذنب، وإن الأبعد عنه عزوجل أن يعاقب أحدًا بذنب غيره، إن هذا لغاية الظلم ونهاية الجور. أبيتم التوبة احتيالاً للصلوبية وإثباتها، ونسبتم إلى الله تعالى ما ينسب إلى شرار الآدميين من الحقد والغائلة، ونفيتم عنه ما يليق به عزوجل من العفو والصفح»(٢).

لذلك ومن كل ما سبق يتضح لنا أن القول بعقيدة الفداء هو المنشأ والأصل لتبرير عقيدة الصلب عند النصارىٰ يؤكد ذلك أبوعبيدة بقوله: «إن الذي دعاكم إلى القول بصلب المسيح عيسىٰ ما أقررتم به من الفداء حين قلتم: إن آدم

(١) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٧٤، ١٧٥) بتصرفٍ يسير.

(٢) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٧٣).

وجميع ولده إلى زمان عيسىٰ كانوا كلهم ثاوين في خشبة الصليب، ثم نزل في ذلك الوقت إلى الجحيم، وأخرجهم منها جميعهم إلا يهوذا الإسخريوطي»[١].

يظهر لنا جليًا مما سبق ذكره من كلام بعض علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ ـ رحمهم الله تعالى ـ أن قول النصاريٰ في قضية الفداء إنما هي سفسطات ومبهمات تحارُ فيها العقول ولا تستطيع إدراكها أو الاقتناع بها[٢] وحقيقة القول في الفداء: أنها فريةٌ اخترعها النصارىٰ وادّعوها بدون دليلٍ من شرع أو عقلٍ[٣] حتىٰ يبرروا قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها، ويرفعوا عن المسيح تلك السُّبَّه الشنيعة التي تلحقه بالصلب وهي اللعن فادّعوا أن الصلب هو الشرف الحقيقي وهو الهدف الأسمىٰ من رسالة المسيح، ولولا

(١) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان ص (١٧٤).

(٢) كما ذكر غير واحدٍ من علماء النصارىٰ مثل: ج. «وستون» صاحب كتاب المسيحية الأصيلة، الذي صرّح بأن موضوع الصلب والفداء يبقىٰ سرًا خفيًا، وظاهرها التناقض الذي يصعب حلّ رموزه، أو فك أسراره. انظر: المسيحية الأصيلة ص (١١٠، ١٢١)، تعريب: زيد زخاري.

(٣) عدا بعض النصوص التي هي ليست صريحة في ذلك:

مثل: «ماجاء في مرقس: «إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسه قربة عن كثيرين» (١٠/ ٤٥).

ومثل: ماجاء في يوحنا: «أنا هو الراعي الصالح، الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (١٠/ ١١).

الصلب ما جاء المسيح، فأخذوا يدندنون حول هذا الأمر ويبحثون له عن الأوجه التي تجعله في حيز المقبول والمعقول، إلا أن كلامهم في الحقيقة يزيد الأمر تعقيدًا وإرباكًا للقارىء والسامع، ولو أن النصارىٰ وأهل الكتاب عمومًا أصغوا إلى الدعوة الربانية الواردة في القرآن الكريم لانكشفت عنهم الحيرة التي ولجوا فيها ولم يستطيعوا الخروج منها، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾(١) وقوله جلا وعلا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢)(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية (١٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٧٧).

(٣) ينظر: دراساتٌ في الأديان، د. سعود الخلف، الطبعة الثالثة، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ص (٢٧٠ ـ ٢٨٢)، حيث ذكر ما يقرب من ثمانية عشر دليلاً على بطلان هذه العقيدة بكلامٍ علمي رصين، واستقراء متين وحجة دامغة لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهو شهيد. والنصرانية في الميزان للمستشار محمد عزت طهطاوي ص (٢٦٠ ـ ٢٦٨)، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

الفصل الثاني

في جهود علماء المسلمين في بيان موقف النصارىٰ من نبينا محمد ﷺ

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **جهود علماء الإسلام في الرد على إنكارهم لنبوته عليه السلام من كتب النصارىٰ.**

المبحث الثاني: **في جهود علماء الإسلام في بيان موقف النصارىٰ من معجزاته عليه الصلاة والسلام والرد عليهم في ذلك.**

المبحث الثالث: **في رد دعوىٰ النصارىٰ انتشار الإسلام بالسيف.**

المبحث الرابع: **في دحض مفتريات النصارىٰ حول الجنة ونعيمها.**

المبحث الأول
جهود علماء الإسلام في الرد على إنكارهم لنبوته عليه السلام من كتب النصارىٰ

يخبرنا الله عزوجل في محكم تنزيله ببشارة عيسىٰ عليه السلام بالنبي محمد ﷺ بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[1] فالبشارة بالنبي محمدٍ ﷺ، وثبوتها عند اليهود والنصارىٰ أمرٌ مؤكد لاشك فيه ولاريب؛ لذا فالكتاب المقدس «عند النصارىٰ، ومع كل ما تعرض له من تغيير وتبديل وإسقاط وإقحام، إلا أنه لا زالت أجزاءٌ منه برمّتها على حالتها الأولى، وهي كثيرة، حتى أن كل من يؤمن بالله وبرسوله المسيح عيسىٰ عليه السلام يتتبع الكتاب المقدس تمامًا في حالته الراهنة، فإن الكتاب المقدس بما يشمله من أجزاء أصليه سيقوده إلى الإسلام ولا ريب، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾»[2].

والكتاب المقدس يحتوي على نصوص شديدة الوضوح حول رسالة وشخصية النبي والرسول محمد ﷺ وضوحًا بينًا

(١) سورة الصف، الآية (٦).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢١).

لا لبس فيه ولا إشكال[١]؛ ومع ذلك فإن النصارىٰ يجاهرون في عنادٍ وتكبر بإنكارهم نبوة محمد ﷺ وزعموا ـ حاشاه الله ـ أنه مدع للنبوة والرسالة، ولم يبعثه الله إلى أحد من العالمين، هذا هو اعتقاد الكثير منهم، وادعىٰ الآخرون منهم أنه ﷺ مرسل ولكنه إلى العرب وليست رسالته إلى غير العرب من العالمين[٢] إلى غير ذلك من ادعاءاتهم الساقطة الواهية[٣].

ولذلك فقد انبرىٰ بعض علماء القرون الستة الهجرية رحمهم لله لتفنيد تلك المزاعم، وإثبات نبوته ﷺ من كتبهم المقدسة المعتبرة.

يقول إمام الحرمين الجويني[٤]: «وقد أنزل ربنا في

---

(١) وينظر لذلك: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن للمهتدي: إبراهيم خليل أحمد، القس: إبراهيم خليل فيليبس سابقًا، راعي الكنيسة الإنجيلية، وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت الكندية بأسيوط ص (٣٠)، دار المنار، القاهرة، (١٤٠٩هـ/ ٩٨٩م).

(٢) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١٢٠ وما يتبعها).

(٣) ينظر: المختار في الرد على النصارىٰ للجاحظ (٨٩، ٩١، ٩٢)، ومقامع هامات الصلبان ص (١٨٨).

(٤) إمام الحرمين: عبدالملك بن عبدالله يوسف بن محمد الجويني، أبوالمعالي، ركن الدين الملقب بإمام الحرمين، من أصحاب الشافعي، ولد في «جوين» من نواحي نيسابور، ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتىٰ ودرّس جامعًا في طرق المذاهب ثم عاد إلى نيسابور، فبنىٰ له الوزير نظام الملك «المدرسة النظامية» فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة منها: البرهان في أصول الفقه، والإرشاد في أصول الاعتقاد وغيرها، توفي سنة =

كتابه الكريم أن عيسىٰ بشر بنبينا محمد ﷺ، فإما أن يكون علم هذا عندكم وإلا فقد كتمه أحباركم ومحوه من أناجيلكم، وعلمنا من اختلافها واضطرابها ما دلنا على أنه قد دخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان»[١].

وكما قلنا ـ سابقًا ـ مع وجود التحريف والتبديل في كتب النصارىٰ المقدسة، إلا أن الله تعالى يأبىٰ إلا أن يتم نوره، ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون، وفي هذا المقام بالذات، يثبت علماء القرون الستة الهجرية ـ رحمهم الله جميعًا ـ، مدىٰ غيرتهم على دين الله تعالى، وقوة صبرهم وجلدهم على سبر أغوار كتب المخالفين، بحيث يأتي الرد قويًا رصينًا بعلم وبصيرة، ونتيجة ذلك؛ فقد حشد علماء القرون الستة ـ رحمهم الله ـ جمعًا كبيرًا من أدلة إثبات نبوة محمد ﷺ في كتب النصارىٰ المقدسة.

يقول أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ: فأما إنكار مضلوكم ذكره في الكتب قبله، وبشارات الأنبياء به، فجريًا بذلك على سبيلهم في الغواية، والتوقح على الله تعالى، وأنا سأذكر ما يبين كذبهم مما هو بين أيديهم في الإنجيل والتوراة، وأورد ذلك على نحو ما قصدت إليه من الإيجاز

= (٤٧٨هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٣٠٦)، الطبعة الثالثة. وينظر ترجمته موسعة في ملحق التراجم.

(١) شفاء العليل (٣٨).

والاكتفاء بالقليل، إذ به يستبين كذب أهل التضليل، والحمد الله على ما منحنا من هدايته»[١].

وسأورد هنا ما ذكره علماء القرون الستة الهجرية من أدلة على ذلك:

١ـ يقول نصر بن يحيىٰ المهتدي: «جاء في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم: «قال الله لموسى بن عمران: إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيًا مثلك، أجعل كلامي على فيه فمن عصاه انقتمت منه»[٢].

فإن قلت: إن ذلك هو يوشع بن نون، فماذا تقول فيما ذكر بَعدُ في التوراة؟

«قال الله: أنه لا يخلف من بين إسرائيل نبي مثل موسىٰ»[٣].

فلا محالة أن الذي بشرت به التوراة لا يكون من بني إسرائيل، لكن من إخوة بني إسرائيل ولامحالة أنه من العرب؛ لأن الروم لم يكن منهم نبي، فهو إذن محمد ﷺ»[٤].

٢ ـ يذكر علي بن ربن الطبري قوله: «وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: «أنه يضع فسطاطه في

(١) مقامع هامات الصلبان (٢١٤).

(٢) سفر التثنية ١٨ : ١٨ ـ ١٩.

(٣) سفر التثنية ٣٤ : ١٠ بنص: «ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسىٰ...».

(٤) نصر بن يحيىٰ، النصيحة الإيمانية (١٤٤، ١٤٥).

وسط بلاد إخوته»[١].

فكنىٰ عن بني إسرائيل بإخوة إسماعيل لما كنىٰ عن العرب بإخوة بني إسرائيل في قوله: «سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيًا مثلك»[٢]»[٣].

وفي هذا المقام يحسن نقل قصة نقلها أبوعبيدة الخزرجي عن نفسه حيث يقول: «وقد ناظرني يومًا أحد رهبان اليهود، وأهل الذكاء منهم فقال: ما تقولونه في محمد ﷺ لا اعتراض عليه، غير أنه قال: «سأقيم لبني إسرائيل ولم يكن محمدًا رسولاً إلا إلى العرب». فقلت: ما أحدٌ يجهل أن محمدًا ﷺ قال: «**بعثت إلى الأبيض والأسود والعبد والحرّ والذكر والأنثىٰ**»[٤].

وهذا كتابه ينطق بالحق أنه مبعوث إلى الخلق كافة فلو أمكنك أن تقول: أنه مبعوث إلى العرب خاصة لكانت لك حجة، فقال الراهب: لا يمكنني ولا غيري دفع ذلك، وبذلك أخبرنا أسلافنا من اليهود أنه قال: «بعثت إلى الخلق كافة»، ثم عطف على يهودي كان بجنبه وقال له: نحن قد جرىٰ

(١) سفر التكوين ١٦: ١٢.

(٢) التثنية ١٨: ١٨ ـ ١٩.

(٣) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٣٨).

(٤) رواه اللالكائي بسنده بشرح أصول في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٨٥)، ورواه أحمد بلفظ «أرسلت إلى الأحمر والأسود» المسند (٢/ ٤٢١)، والبزار بلفظ «بعثت إلى كل أحمر وأسود» مسند البزار (٩/ ٤٦١)، والطيالسي في مسنده (١/ ٦٤).

نشؤنا على اليهودية، لكن كيف نتخلص من هذا العربي؟ لكن لك علينا أن أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا هو النهي عن ذكره بسوء»[(١)].

٣ـ وقال نصر بن يحيىٰ المتطبب ـ رحمه الله ـ: «وفي التوراة: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من «سعير»[(٢)]، وتلألأ من جبال «فاران»[(٣)] ومعه جماعة من الصالحين»[(٤)].

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة، وكلم موسىٰ، وإشراقه من جبل سعير أن دين عيسىٰ بن مريم إنما أشرق من جبال سعير، وهي جبال الروم، واستعلاؤه من جبال فاران أن الله بعث محمدًا ﷺ منها وأوحىٰ إليه فيها، ولا اختلاف أن «فاران» هي مكة.

فقد قال في التوراة: «أن الله أسكن هاجر وابنها

(١) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢١٥، ٢١٦).

(٢) سعير: كلمة عبرية معناها: «كثير الشعر» وهو اسم الأرض الجبليَّة على الجانب الشرقي من البرية العربية أعلى ارتفاع فيها قمة «جبل هور» أو «هارون» كانت تسمىٰ «أدوم» بين البحر الميت وخليج العقبة. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٣٩، ٤٦٦، ٤٦٧).

(٣) فاران: برية واقعة إلى جنوب يهوذا، قريبة من البحر الأحمر، وهي قريبةٌ من سيناء، انظر: قاموس الكتاب المقدس (٦٦٧)، وينظر: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، د. إبراهيم خليل أحمد ص (٥)، دار المنار.

ويلاحظ محاولة صرفها عن مكة المكرمة مما يتعارض مع النص الذي في سفر التكوين «أن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران».

(٤) سفر التثنية ٣٣ : ٢.

إسماعيل فاران»[١]][٢] وقريبًا من هذا النص ماجاء في بشارة حبقوق النبي[٣] والتي ذكرها[٤] علي بن ربن الطبري وأسهب في ذكرها[٥].

٤ ـ ويضيف أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ وقوله: «وفي التوراة التي بأيديكم أن الله قال لإبراهيم حين دعاه في ابنه إسماعيل: «قد أجبتك في إسماعيل وباركت عليه وكثّرته، وعظمته جدًا جدًا»[٦]. وقال: «اجعله أمةً عظيمة»[٧]، يريد أمة محمدٍ ﷺ»[٨].

٥ ـ ويأتي على بن ربن الطبري المهتدي ـ رحمه الله ـ والذي هو من أخبر الناس وأعلمهم بكتاب النصارىٰ المقدس ويقول: «وقال الله في التوراة لهاجر أم إسماعيل لما دعته:

---

(١) تكوين ٢١ : ٢١.

(٢) النصيحة الإيمانية (١٤٧.

(٣) حبقوق: اسم عبري معناه «يعانق أو ربما اسم نبت حديقة» نبي في يهوذا، وهو أحد المغنين في الهيكل، وسفره هو الثامن في النبوات الصغيرة. قاموس الكتاب المقدس (٢٨٧).

(٤) وهي في سفر حبقوق ٣: ٣ ـ ٦ ونصها: «الله يجيء من تيمان القدوس من جبل فاران غطىٰ جلاله السموات وامتلأت الأرض من التهلل به يجيء كلمعان البرق . . .» ص «٢٨٧، ٨٨».

(٥) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٦٩، ١٧٠).

(٦) قارن مع تكوين ١٧ : ٢٠.

(٧) تكوين ١٧ : ٢٠.

(٨) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢١٧).

«قد سمعت خشوعك في إسماعيل، وستكون يديه فوق يد الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع»(١).

ولا محالة أن إسماعيل وولده لم تكن أيديهم إلا تحت يد إسحاق، لأن النبوة كانت في ولد إسحاق، فلما بعث الله محمدًا ﷺ جعل يد بني إسرائيل فوق يد الجميع، وردّ النبوة فيهم، وأنماهم وعظمهم، وبارك عليهم جدًا جدًا كما قال في التوراة»(٢).

٦- يورد علي بن ربّن الطبري - رحمه الله - نصًا من العهد القديم فيه وصفٌ لأمة محمدٍ ﷺ، مما يدل على معرفته العميقة لكتب النصارىٰ، كيف لا وهو النصراني سابقًا، فيقول: وفي الزبور الذي بأيديكم «سبحوا الرب تسبيحًا حديثًا، سبحوا الذي هيكله الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه، وبنات صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، وأعطاهم النصر وأيدهم بالكرامة، يسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرونه بأصواتٍ مرتفعه، بأيديهم سيوفٌ ذات شفرتين لينقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال»(٣).

أخبرني من هذه الأمة التي سيوفها ذوات شفرتين ينتقم

---

(١) يقارن مع ما جاء في سفر التكوين ١٦: ١٢.

(٢) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ (١٣١، ١٣٢).

(٣) يقارن مزمور (١٤٩)، ونحوه في أشعياء (٢٠).

الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟ ومن الذين يكبرون الله بأصواتٍ مرتفعة في الأذان؟»][١].

٧ ـ ويزيد أبوعبيدة على ذلك بقوله: «وفي الزبور وصفٌ لمحمدٍ ﷺ حيث جاء فيه: «ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار، وأنه يخرّ أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويجلس أعداؤه بالتراب، ويأتيه ملوكٌ بالقرابين، وتسجد له وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد؛ لأنه يخلص المظلوم من الظالم، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، ويدوم أمره إلى آخر الزمان»[٢].

وفي الزبور أيضًا: «أن الله أظهر من صهيون إكليلاً محمودًا»[٣].

فالإكليل ضرب مثلٍ للرياسة، ومحمود هو محمدٌ ﷺ»[٤].

٨ ـ ويورد نصر بن يحيىٰ المتطبب المهتدي دليلاً قاطعًا واضح الدلالة على نبوءة محمدٍ ﷺ عند النصارىٰ فيقول:

---

(١) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٤٢، ١٤٣).

(٢) مزمور ٧٢: ٨ ـ ١٥.

(٣) يقارن مع مزمور: ١٣٢: ١٨، ومزمور ١٣٣: ١ ـ ٣.

(٤) أبوعبيدة، مقامع هامات الصلبان (٢١٩).

«ولما ضللتم في عيسىٰ بن مريم عليه السلام فدعوتم الله أبًا له، ودعوتموه ابنًا لله، بعث الله كاشف الغمة، الذي أَعلَمَ الناس أنه بشرٌ ليس بإله؛ وكذلك قال المسيح في الإنجيل الذي بأيديكم: «اللهم ابعث الفارقليط[1] ليعلم الناس أن ابن الإنسان بشرٌ»[2].

وفي يوحنا كذلك: «الفارقليط لايجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة، لا يقول من تلقاء نفسه شيئًا، ولكنه مما يسمع يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب»[3].

والفارقليط بالعربية محمدٌ ﷺ»[4].

٩ ـ ويضيف أبوعبيدة الخزرجي إلى ذلك دليلاً آخر يُدين اليهود فيه بقتلهم للأنبياء ويبشر برسالة محمد ﷺ حيث

---

(١) وهي محرفةٌ ومبدلةٌ في نسخ الكتاب المقدس «بالمعزّي» بدلاً من «الفارقليط» وذلك في جميع المواضع وتنطق «برقليطوس» وهي لا تعني المعزي ولا الوسيط، بل تعني من الناحية اللغوية البحتة: الأمجد، والأشهر والمستحق للمديح، وهو مركب من مقطعين الأول «Peri» والثاني «Kleitos» مشتق من التمجيد والثناء مما يعني تمامًا اسم أحمد باللغة العربية أي أكثر ثناءًا وحمدًا. انظر: محمدٌ ﷺ كما ورد في «كتاب اليهود والنصارىٰ»، تأليف: البروفيسور: عبدالأحد داود، ترجمه: محمد فاروق الزين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ). انظر: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل د. أحمد حجازي السقا ص (٢/ ١٥٩ وما بعدها»، دار الجيل، بيروت.

(٢) يوحنا ١٥ : ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) يوحنا ١٦ : ٧ ـ ١٥.

(٤) نصر بن يحيىٰ، النصيحة الإيمانية (١٤٠، ١٤١).

يقول: «وفي الإنجيل الذي بأيديكم أن المسيح قال: لليهود: «وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناكم في دم الأنبياء، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنهم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم، أيها الحيات، أو الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنّم، لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون، وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دمٍ زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا... ياأورشليم... ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا؛ لأني أقول لكم أنكم لا ترونني من الآن حتىٰ تقولوا مباركٌ الآتي باسم الرب»[(١)].

فاعتبر قوله هذا، وبشارته بمحمدٍ ﷺ المنتقم بعده لدماء المسلمين»[(٢)].

يزيد أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ قوله: «وفي الإنجيل الذي بأيديكم عن «متىٰ»: «لما سمع «يوحنا» في السجن بأعمال

---

(١) متىٰ ٢٣: ٣٣ ـ ٣٩.

(٢) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢٢١، ٢٢٢)، وينظر تفصيل ذلك في كتاب بشارة التوارة والإنجيل بنبي الإسلام، د. أحمد حجازي السقا (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٥٨).

المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال المسيح: «الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان؛ لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا «إيليا» المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع»(١).

فاعتبر هذه البشارة، فإن زعمت أن المراد بإيليا هو «إلياس النبي» فهذا من توقحكم على الله، ومكابرتكم على العقول، لأن إلياس كان سابقًا في الزمان على عيسىٰ، أرسله الله إلى قومه، وكان من أمره ما كان وصار إلى الله تعالى، وإنما قال المسيح؛ إن إيليا مزمع أن يأتي؛ لأن إيليا هو الله تعالى مجازًا، فمجيء الله هو مجيء رسوله بكتابه وأمره كما قال في التوراة: «جاء الله من سيناء، وأقبل من فاران»(٢).

وما أشبه ذلك فهو تعبير مجازي، أي جاء رسولٌ من الله ومعه كتابه»(٣).

١٠ـ وذكر أبوعبيدة أيضًا ما يؤيد ذلك بقوله: «وجاء عندكم أن الله قال «لإرميا»(٤): «قبل ما صورتك في البطن

---

(١) متىٰ ١١: ٢ ـ ١٥.

(٢) سبق عزوه.

(٣) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢٢٣).

(٤) إرميا: يقول معجم الكتاب المقدس: أنه إرميا حلقيا مدة خدمته النبوية إحدىٰ وأربعين سنة، قام بالعمل النبوي نتيجة رؤيا رآها ولا يعرف شيءٌ عن موته ولا كيف ولا متى حدث ذلك (٥٢، ٥٣).

عرفتك، وقبل ما خرجت من الرحم قدّستك، جعلتك نبيًا للشعوب»[١].

فهذا قولٌ «لإرميا» أنه يأتي آخر الزمان، ليكون نبيًا للأجناس كلها، كما قيل له، لأنه لم يكن الأنبياء إلا النبي إسرائيل، وما نبيٌّ إلا قال: أنه إلى بني إسرائيل بعث، ولم يبعث إلى غيرهم، إلى أن بعث سيدهم محمدًا ﷺ وقال له: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى﴾[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: «**بعثت إلى الأبيض والأحمر**»[٣].

وقد تيقنت نبوته، وصح فضله على جيمع الأنبياء عليهم السلام، فذلك القول الذي قيل لإرميا فيما أوحى الله إليه، إنما هو قولٌ لما بعده، والمقصود به محمدٌ ﷺ»[٤].

١١ـ ويستمر علماء القرون الستة ـ رحمهم الله ـ في حشد نصوص الكتاب المقدس ـ عند النصارىٰ ـ الدالة على البشارة بنبوة محمد ﷺ وصدق رسالته، فيقول علي بن ربن الطبري: «وفي صحف أشعياء النبي»[٥] التي بأيديكم قال:

(١) إرميا: (٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢٢٤، ٢٢٤).

(٥) أشعياء: هو النبي أشعياء ومعنى اسمه «الرب يخلص» امتدت مدة قيامه بالعمل النبوي إلى ما يزيد على الستين عامًا، كان يسهل عليه الدخول إلى الملوك والتحدث إليهم، وكان يقطن أورشليم، كان مصلحًا اجتماعيًا وسياسيًا محنكًا عاش=

ستمتلىء البادية والمدائن من قصور آل قيدار[١] يسبحون الله، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويبثون تسبيحة الله في البرّ والبحر»[٢].

وقيدار ولد إسماعيل، فأيّ بادية هذه البادية التي امتلأت من قصور إلى قيدار؟ أليس الذين ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس الجبال، ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج إلى بيت الله؟»[٣].

١٢ـ ثم يذكر أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ تصريحًا مباشرًا بنبوة محمد ﷺ عن أشعياء النبي عن الله، تصريحًا لا يدع أي مجالٍ للشك أو التكذيب إلا عند المعاند المكابر.

فيقول ـ رحمه الله ـ: «وقال أشعياء النبي عن الله: «عبدي الذي سُرّت به نفسي أنزل عليه وحيي، فيُظهر في الأمم عدلي، ويوصي الأمم بالوصايا، لا يضحك، ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور ويُسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الغلف، وما أعطيه لا أعطيه أحدًا غيره، أحمد يحمد الله حمدًا حديثًا، يأتي من أقصىٰ الأرض، تفرح

= حتى سن الثمانين. انظر: معجم الكتاب المقدس ص (٨١ ـ ٨٥).

(١) قيدار: اسم سامي معناه «قدير أو أسود» وهو ابن إسماعيل الثاني وهو أب لأشهر قبائل العرب وتسمىٰ بلادهم قيدار وهم بدو يسكنون خيام سود. معجم الكتاب المقدس (٧٥١).

(٢) قارن مع أشعياء ٤٢ : ١١ ـ ٣١.

(٣) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٤٣).

البرية وساكنها، يهلّلون لله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية، لا يضعف، ولا يُغلب، ولا يميل إلى الهوىٰ، ولايسمع في الأسواق صوته، ولا يذل الصالحين، بل يقوّي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ ولا يخضع حتىٰ تثبت في الأرض حجتي، وينقطع به العذر، وإلى توارثه ينقاد الخلق»[١].

اعتبر هذا التصريح لمحمد ﷺ وصفاته، ففيه الكفاية، وكم من وجوهٍ يمتنع عليكم أن تدّعوا فيها لغير محمد ﷺ من ذلك ما جاء في الإنجيل الذي بين أيديكم أن المسيح قال: «لم أبعث إلى الأجناس، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل»[٢]. فلا يجوز أن يكون إلى الأمم جميعًا غير محمدٍ ﷺ، وفي الإنجيل الذي بين أيديكم أن المسيح قال للحواريين: «لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس، ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل»[٣]»[٤].

١٣ـ ويضيف علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ دليلاً آخر من أدلة ـ كتاب النصارىٰ المقدس ـ على بشارته بنبوة

(١) أشعياء ٤٢ : ١ ـ ٧.

(٢) متى ١٥ : ٢١ ـ ٢٦.

(٣) متى ١٠ : ٥ ـ ٦.

(٤) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢٢٥ ـ ٢٢٦). وينظر تفصيل بشارة أشعياء بمحمدٍ ﷺ كتاب: محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، للمستشار محمد عزت طهطاوي ص (٢٩ ـ ٤٠)، مكتبة النور، مصر الجديدة.

محمد ﷺ فيقول: «وفي صحف حبقوق النبي التي بأيديكم: «جاء الله من تيمان[١]، وتقدس من جبل فاران، وامتلأت الأرض من تمجيده وتقديسه وملك الأرض بهيبته»[٢]. فلتعتبروا، فكل ذلك أفصاحٌ لحبقوق باسم محمدٍ ﷺ وصفته»[٣].

١٤ ـ ويذكر علي بن رّبن الطبري نصًا آخر على ذلك من سفر أشعياء، حيث يقول: «وفي صحف أشعياء النبي يقول «أي الله»: «قل لي: قم ناظرًا فانظر، فما ترىٰ؟ قلت: أرىٰ راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول: أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها النخره...»[٤]

فصاحب الجمل هو محمدٌ ﷺ، وصاحب الحمار باتفاقٍ منا ومنكم هو عيسىٰ بن مريم عليه السلام، أو ليس محمدً ﷺ بركوب الجمل أشهر من عيسىٰ بركوب الحمار؟

---

(١) تيمان: اسم عبري معناه «اليميني أو الجنوبي» وهو أقليم أشتهر أهله بالحكمة، وربما كان مكانه الآن طويلان شرقي البتراء. قاموس الكتاب المقدس (٢٢٨).

(٢) سفر حبقوق ٣: ٣ ـ ٤. انظر تفصيل بشارة حبقوق: محمد نبي الإسلام لمحمد عزت طهطاوي (٤١، ٤٢) حيث يذكر أن التصريح باسم «محمد» جاء مرتين في النسخ القديمة منه المطبوعة في لندن قديمًا سنة ١٨٤٨م، والمطبوعة في بيروت ١٨٨٤م وما قبلها وهذا التصريح غير موجود في الطبعات الجديدة.

(٣) علي بن ربن الطبري ـ الدين والدولة (١٧٠).

(٤) أشعياء ٢١: ٦.

وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل[١]، وهدمت أوثانها بالنبي محمد ﷺ وأمته، لا بعيسىٰ ولا بغيره، فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من قوم إبراهيم عليه السلام إلى زمان محمد ﷺ وأمته»[٢].

١٥ ـ وتتضح جهود علماء القرون الستة من المسلمين في إثبات نبوة محمد ﷺ من كتبهم المقدسة، من خلال كلام علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «وفي صحف أشعياء: «لتفرح أرض البادية العطشىٰ وتبتهج البراري والفلوات؛ لأنها ستعطي أحمد محاسن البستان وستكون مثل الرياض حسنًا وبهاءً»[٣].

---

(١) بابل: بكسر الباء، اسم ناحية الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر، يقال إن أول سكانها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، وقد نزل عقب الطوفان. معجم البلدان (١/٣٦٧) برقم (١٢٦٨) تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دا رالكتب العلمية، بيروت.

(٢) علي بن ربن الطبري ـ الدين والدولة (١٤٩، ١٥٠).

(٣) أشعياء ٣٥: ١ ـ ٨، ولم أجده بهذا النص، بل: «ستفرح البرية والبادية ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس، ويزهر أزهارًا ويبتهج ويرنم طربًا مجد لبنان أعطي له...» ص (٨٩١) الكتاب المقدس، مطبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

ويذكر المستشار محمد عزت طهطاوي: إن اسم «أحمد» جاء صريحًا في سفر أشعياء في الكتاب المقدس الذي ترجم القسيس: وسكان الأرمني عام ١٧٣٣م بمطبعة أنتوني برتلي. ويضيف قوله عن النص السابق في أشعياء: أن المعنىٰ: تفرح البرية والأرض اليابسة، ويبتهج القفر، إشارة لبلاد العرب؛ لأنها قفر، والقفر بلاد العرب... الخ» محمد نبي الإسلام في التوارة الإنجيل والقرآن (٢٩ـ ٣٨).

اعتبر هذا الإفصاح باسمه وصفة بلدة بما لا ينكره إلا وقاحٌ مكابر بالباطل»[(١)].

١٦ـ وتتضافر جهود علماء القرون الستة ـ رحمهم الله ـ في إبراز هذه النصوص، فيقول أبوعبيدة ـ رحمهم الله ـ: «وفي صحف «حزقيال»[(٢)] النبي التي بأيديكم أيضًا يقول عن الله عزوجل بعد ما ذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم بكرمة غرسها وارتفع ساقها بين الأغصان، وقال: «لم تنبت تلك الكرمة فاقتلعت وطرحت على الأرض، وأحرقت السماء ثمارها، فعند ذلك غرست في البدو، وفي الأرض المهملة العطشىٰ، وخرجت من أغصانها الفاصلة نارًا أكلت تلك حتىٰ لم يوجد بها غصنٌ قويٌّ ولا قضيب»[(٣)].

اعتبر هذا التصريح به، وبصفة بلده كلها، وفي قوله: «الأرض المهملة البدو والعطشىٰ، وتلك صفات مكة لأنها صحراء، ولأنها كانت مهملة من النبوة من إسماعيل، وهي مركز البدو»[(٤)].

١٧ـ ويضيف أبوعبيدة الخزرجي كذلك قوله: «وفي

---

(١) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٥٣).

(٢) حزقيال: اسم عبري معناه «الله يقوي» أحد الأنبياء الكبار، ولد وكبر في فلسطين، امتد نشاطه النبوي فترة يزيد عن (٢٢) سنة، ولا يعرف وقت موته ولا الطريقة التي مات بها. معجم الكتاب المقدس (٣٠١ ـ ٣٠٤).

(٣) سفر حزقيال ٩: ١٠ ـ ١٤.

(٤) أبوعبيدة، مقامع هامات الصلبان (٢٢٨، ٢٢٩).

صحف «حزقيال» النبي[١] وقد نعت الكذابين بقوله: «ولا تمتد دعوتهم، ولا يتم فرقانهم، وأقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل، ولا يقيم لداعٍ كاذبٍ دعوة أكثر من ثلاثين سنة»[٢].

اعتبر هذا الفضل الذي تنكرون فهذه دعوة محمد ﷺ قائمة منذ ستمائة[٣] من السنين وباقية إلى يوم القيامة، فحسبك بهذا دليلاً على الباطل وأهله»[٤].

١٨ـ ومن صحف دانيال أيضًا، يضيف علي بن ربن الطبري دليلاً آخر يحتوي على دلالةٍ، أصرح، وقرينة أوضح بالبشارة بالنبي محمد ﷺ حيث يقول: «وقال دانيال النبي، وقد سأله الملك بختنصر عن رؤيا رآها، وطلب منه أن يخبره بتفسيرها، فقال دانيال: «أيها الملك رأيت صنمًا بالغ الجمال أعلاه من ذهب ووسطه من فضة وأسفله من نحاس وساقاه من حديد، ورجلاه من فخّار، فبينما أنت تنظر إليه، وقد أعجبك إذ دقَّه الله بحجرٍ من السماء، فضرب رأس الصنم فطحنه حتى

(١) دانيال النبي: اسم عبري معناه «الله قضىٰ» وهو اسم أحد الأنبياء الأربعة الكبار ـ عن النصارىٰ ـ، وكان من عائلة شريفة، ويظن أنه ولد في أورشليم، نصبه بنو خذنصر حاكمًا على بابل ورئيسًا على جميع حكمائها نتيجة تأويله لحلم أزعجه، صاحب سفر دانيال. انظر: معجم الكتاب المقدس (٣٥٧ ـ ٣٥٩).

(٢) لم أجده في سفر دانيال، ومعناه في المزمور ١٠٩ .

(٣) حيث يتكلم أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ عن عصره وزمانه.

(٤) أبوعبيدة، مقامع هامات الصلبان (٢٢٩).

اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره، ثم إن هذا الحجر فار وعظم حتى ملأ الأرض كلها، قال له «بختنصر»[(١)]: صدقت، فأخبرني بتأويلها، قال دانيال: «أما الصنم فإحنٌ مختلفةٌ في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره، فالرأس الذي من الذهب، هي أنت أيها الملك، والفضة ابنك من بعدك، والنحاس: الروم، والحديد: الفرس، والفخار: أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام، والحجر هو دين نبي وملك أبديٍّ، يكون في آخر الزمان يغلب الأمم كلها، ثم يعظم حتى يملأ الأرض كلها، كما ملأها ذلك الحجر»[(٢)].

فأخبروني هل كان نبيٌّ غير محمد ﷺ جمع الأجناس والأمم كلها على اختلافها، واختلاف لغاتها، ودياناتها، وممالكها وبلادها، فجعلها جنسًا واحدًا ولغةً واحدة ومملكة واحدةً ودينًا واحدًا؛ ولا محالة أن العرب والفرس والقبط والأكراد والترك والحبش، ومن أسلم من أهل الهند والسودان والروم، وغيرهم على كثرتهم كلهم ينطقون بلغةٍ واحدةٍ وبها يقرأون القرآن، وقد صار كل من ذكرنا أمة واحدة، والحمدلله

(١) بختنصر: كان عاملاً في عهد الملك بهراسب على العراق والأهواز وعلى الروم وتولى سبعًا وخمسين سنة، وسبب تسمية بخت نصر أنه وجد وهو رضيع عند صنم اسمه نصر ولم يعلم له إبوان وكلبة ترضعه اسمها بخت فسمي باسمهما، انظر أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ «للقرماني» [٣/ ١٣٤].

(٢) يقارن مع دانيال ٢: ٣٧ ـ ٤٥.

على ذلك كثيرًا، فصحَّت نبوة سيد المرسلين محمد ﷺ، وعلى جميع النبيين، وقد تبّين كذب أساقفتكم المضللين»[(١)].

١٩ـ ويظهر علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ في هذا الباب الإشارة إلى مكة التي خرج منها محمد ﷺ والكعبة المشرفة القبلة التي دعا إلى التوجه لها في الصلاة فيقول: «وقال أشعياء عن الله تعالى: «قد أقسمت بنفسي كقسمي أيام نوح أن أغرق الأرض بالطوفان؛ كذلك أقسمت ألا أسخط عليك ولا أرفضك، وأن الجبال تزول والآكام تتزعزع ورحمتي عليك لا تزول»[(٢)] ثم قال: «يا مسكينة يا مضطهدة هآنذا أبني بالإثمد حجابك، ومزينك بالجواهر، ومكللٌ باللؤلؤ سقفك، وبالزبرجد أبوابك، وتبعدين من الظلم فلا تخافي، ومن الضعف فلا تضعفي، وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك، وكل لسانٍ ذلقٍ يقوم معك بالخصومة تفلجينه، ويسميك الله اسمًا جديدًا»[(٢)]، وكل ذلك كان، اسمها الكعبة فسماها الله المسجد الحرام»[(٣)].

ويضيف أبوعبيدة الخزرجي ما يعضد ذلك فيقول: «وقال أشعياء أيضًا: «سأبعث قومًا يأتون من الشرق أفواجًا،

---

(١) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ (١٨٠، ١٨١).

(٢) يقارن مع أشعياء ٥٤: ١١ ـ ١٧ لورود بعض التبديل.

(٣) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٥٩).

كالصعيد كثرة، ومثل الطَّيَّان الذي يدوس الطين برجله»[١].

يصف بذلك إسراعهم من أقاصي الأرض إلى حج البيت ويصف الهرولة»[٢].

٢٠- يأتي علي بن ربن الطبري بنصٍ من نبوة «منميا»[٣] على النبي ﷺ فيقول: «يقول «منميا»: «إنه يكون في آخر الأيام جبل بيت الرب مبنيًا على تلال وفي أرفع رؤوس العوالي، وتأتيه جميع الأمم، وتسير إليه أممٌ كثيرة وهم يقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب»[٤] فهذه صفة مكة صراحًا؛ فهي التي يحج إليها الأمم الكثيرة ويسعون إليها ويسيرون إليها وهم يلبون، فإن شغب مشاغب فقال: إنه عنىٰ بيت المقدس، فكيف يصح ذلك وقد بين الله أن يكون ذلك في آخر الأيام، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجودًا، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث لا على ما كان ومضىٰ»[٥].

٢١ ـ ويستمر أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ في سرد بشارات

---

(١) يقارن مع أشعياء ٤١ : ٢٥، حيث ورد فيه بعض التغيير.

(٢) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات (٢٧٥).

(٣) منميا: سادس الأنبياء الصغار ويسمىٰ المورشتي من مسقط رأسه «مورشة» قرية بقرب «جَتّ» من مدن فلسطين، وكان معاصرًا لأشعياء الذي يشبهه في أسلوب ونهج كتابته صاحب سفر منيما. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٩٣٦).

(٤) منميا ٤ : ١ ـ ٣.

(٥) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٦٨).

أشعياء بالنبي محمد ﷺ وإرهاصات وقرائن هذه النبوة فيقول: «ويقول أشعياء: «فقومي فاشربي فإنه قد روى زندك، ووقار الله عليك، انظري بعينيك حولك فإنهم يجتمعون، يأتوك بنوك وبناتك عدوًا، فحينئذٍ تُسّرين، وتزهرين، ويقرع عدوك، يتّسع قلبك، فكل غنم قيدار تجتمع إليك، وسادات «نبايوت»(١) تخدمك، وتفتح أبوابها دائمًا في الليل والنهار، فلا تغلق ويتخذونك قبلةً، وتدعين بعد ذلك مدينة مدينة الرب»(٢).

«فقيدار» ولد إسماعيل و «نبايوت» ولد إسماعيل أيضًا، فأخبرني متىٰ كان ولد إسماعيل خدمة بيت المقدس؟ وهل اتخذت مكة قبلة إلى على عهد النبي محمدٍ ﷺ، فاعتبر قول أشعياء يومئذٍ «ستتخذ قبلة» وكفىٰ بهذا دليلاً»(٣).

ويؤكد هذا الدليل ويبرزه من خلال قرينةٍ أخرىٰ ونص آخر علي بن ربن الطبري فيقول: «وقال أشعياء: «ارفعي بصرك من حولك فستبتهجين وتفرحين من أجل تميل إليك عساكر الأمم حتى تغمرك قطر الإبل الوابلة، وتضيق أرضك

---

(١) نبايوت: الابن الأكبر لإسماعيل، وإليه ينتسب بعض القبائل العربية التي وصفت بكثرة مواشيها. فهرس الكتاب المقدس (٩٥٣).

(٢) أشعياء ٦: ٤ ـ ١٤.

(٣) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢٧٧)، ومثله عند علي بن ربن الطبري في الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ (١٦١، ١٦٢).

وانظر تفصيل ذلك في: محمد نبي الإسلام للمستشار محمد عزت طهطاوي (٤٠).

عن القطرات التي تجتمع إليك وتساق إليك كباش مدين، ويأتي إليك أهل سبأ، وتسير إليك قيدار، ويخدمك رجالات نبايوت»[(١)].

يعني يخدموك: «أي سدنة البيت يكونون من أولاد «نبايوت»من نسل إسماعيل، اعتبروا هذا الاطّراد المتصل»[(٢)].

٢٢ ـ ويستمر علماء الإسلام ـ رحمهم الله ـ في سرد أوصاف مكة، والكعبة التي هي مكان دعوته ﷺ فيقول أبوعبيدة في هذا المقام مما يبرز جهوده ـ رحمه الله ـ في استقراء وتتبع كتاب النصارىٰ المقدس، وفهمه التام والعميق لأسفاره وإصحاحاته وفقراته فيقول: «وقال أشعياء عن الله: «أعطي البادية كرامة لبنان وبهاء جبال الكرمل[(٣)]»[(٤)].

فالبادية مكة، ولبنان: الشام وبيت المقدس.

وقال أشعياء أيضًا عن الله إثر ذلك: «وتنشق في مكة وسط البادية قناة، وأسواق في أرض الفلاة، وتكون الفيافي والأماكن العطاش ينابيع ومياهًا، وتكون هناك طريق لا تمرّ به أنجاس الأمم، والجاهل لا يضل هناك، ولا يكون به سباعٌ

(١) الإصحاح (٦٠) من سفر أشعياء.

(٢) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٦١، ١٦٢).

(٣) الكرمل: أي الجنة، انظر: الكتاب المقدس ص (٨٨٨).

(٤) أشعياء ٣٥: ٢.

ولا أسود، ويكون هناك ممرّ المخلصين»[١]، ويزيد علي بن ربن الطبري هنا: «قول أشعياء عن الله في النص السابق: «ولتسبحني وتحمدني حيوانات البرّ من بنات آوى حتى النعائم لأني أظهرت الماء في البدو، وأجريت الأنهار لتشرب منها أمتى المصطفاة....»[٢]، فمن كان شاكًا فيما تقدم من النبوات فلا عذر له إن جهل أو تجاهل أن النعائم لا تكون إلا بالبادية وإنما ذكر الثعلب والنعائم مثلاً ضربه لسكان البوادي والفلوات...»[٣].

ويضيف أبوعبيدة التصريح بالحجر الأسود الموجود في زاوية الكعبة في الكتاب المقدس بقوله: «وقال أشعياء عن الله تعالى في مكة ويذكر الحجر الأسود: هآنذا مؤسس لصهيون حجرًا، وهو بيت الله، حجرًا مقرّه في زاويةٍ مكرمة فمن كان مؤمنًا فلا يستعجل»[٤]»[٥].

---

(١) أشعياء ٣٥: ٦ ـ ٩، دون ذكر مكة، وبدلاً منه: البرية والصحراء، وباقي النص بمعناه.

(٢) النص السابق ٣٥: ٦ ـ ١١.

(٣) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٥٧).

(٤) أشعياء ٢٨: ١٦.

(٥) أبوعبيدة الخزرجي، مقامع هامات الصلبان (٢٧٨). وينظر تفصيل وصف مكة المكرمة في سفر أشعياء في: محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن للمستشار محمد عزت طهطاوي (٣٧ ـ ٤٠)، ومحمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارىٰ لديفيد بنجامين كلداني، قسيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية سابقًا، د. =

٢٣ ـ ثم يأتي نصر بن يحيىٰ المتطبب ليأتي بنصٍّ من الإنجيل على بشارته بنبوة محمدٍ ﷺ فيقول: «إن «متىٰ» قال في إنجيله: «إن يحيىٰ بن زكريا حين رأىٰ المسيح قال له: إني محتاج أن أعتمد على يديك وها أنت قد جعلتني كذلك»[١].

وقال يحيىٰ بن زكريا أيضًا: «إن الذي يجيء بعدي أقوىٰ مني»[٢] والمسيح لم يجيء بعده، بل معه، فالذي عناه بذلك غير المسيح، بل المراد به النبي محمدٌ ﷺ»[٣].

٢٤ ـ ويذكر علي بن الطبري أن علامة النبوة لمحمدٍ ﷺ وهو خاتم النبوة الموجود على كتفه الشريف ﷺ مذكورةٌ في كتابهم المقدس فيقول: «وقال أشعيا في الفصل الخامس عشر[٤]: «إنه ولد لنا مولود ووُهب لنا سلطانه على كتفه»[٥]، ومعنىٰ قوله هذا أن نبوته على كتفه، وهو خاتم النبوة، فهذا

= عبدالأحد داود (٢٠ ـ ٢٣).

(١) متىٰ ٣: ١٣ ـ ١٦.

(٢) ٣: ١١

(٣) نصر بن يحيىٰ المتطبب، النصيحة الأيمانية (٨٥).

(٤) وهذا العزو غير صحيح، ولعل كثرة التعديل والتبديل التي تتوالى على كتب النصارىٰ المقدسة هي السبب في ذلك.

(٥) أشعياء ٩: ٦، وتتمة النص: «يسمىٰ باسمٍ عجيب إلهًا قديرًا، وأبًا أبديًا ورئيس السلام سلطانه يزداد قوة ومملكته في سلام دائم، يثبت أركان مملكته على الحق والعدل، من الآن إلى الأبد غيرة الرب القدير تعمل ذلك».

تصريحٌ بصفة النبي ﷺ وإشارة إلى صورته وشاماته»[١].

٢٥ ـ ويزيد علي بن ربن الطبري وهو العالم النصراني سابقًا في ذكر البشارات بمقدم النبي محمد ﷺ في كتب النصارىٰ، ويضيف نبوة «صنفيا»[٢] وبشارته بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام فيقول: «وقال صنفيا النبي: يقول الرب أيها الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة، فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأممم كلها وجميع الملوك لأصبّ عليهم رجزي وأليم سخطي، فستحترق الأرض كلها احترامًا بسخطي ونكيري، هنالك أجدد للأم اللغة المختارة ليذوقوا اسم الرب جميعًا ويعبدوه في ربقةٍ واحدة أبدًا، ويأتوني بالذبائح في تلك الأيام من معابر أنهار كوش»[٣].

فهذا صنفيا الذي قد نطق بالوحي، وأخبر عن الله بمثل ما أدىٰ أصحابه، ووصف الأمة التي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويجتمع على عبادته وتأتيه بالذبائح من سواحل السودان ومعابر الأنهار.

واللغة المختارة هي اللسان العربي المبين الذي ليس

---

(١) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٤٦، ١٤٧).

(٢) صنفيا: نبي يعود نسبة إلى «حزقيا»؛ إذا أنه الجيل الرابع منه، وسفره تاسع أسفار الأنبياء الصغار كان «صنفيا» معاصرًا لحبقوق وتنبأ بضع سنين قبله. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٥٥٤، ٥٤٥).

(٣) صنفيا ٣: ٧ ـ ١٠ بمعناه.

بفارسي ولا رومي، وهي التي قد شاعت بين الأمم فنطقوا بها، وتجددوا بما جدد لهم منها، فأما العبرانية فكانت لغة الأنبياء، وأما السريانية فما تجاوزت قط سوريا، وكذلك الرومية لم تتجاوز الروم، ولا تجاوزت الفارسية مدينة إيران، وظهرت العربية إلى منقطع التراب وبوادي الترك وبلاد الهند»[(١)].

٢٦ـ ويؤيد نبوءة صنفيا السابقة ما ورد من نبوءة إرميا النبي، وهي أيضًا شبيهة بنبوءة أشعياء، وقد عضد إرميا نبوءات أصحابه بالتأكيد والتأييد حيث يقول: «إني مهيجٌ عليكم بني إسرائيل من البعد أمة عزيزة، أمة قديمة أمة لايفهم لسانها وكلهم محارب صبار»[(٢)].

يقول نصر بن يحيىٰ: «فهذه هي الأمة العزيزة التي لم تعرف بنوا إسرائيل لسانها ولغتها، وكلهم محاربٌ صبار، وهم أصحاب اللغة الجديدة التي ذكرها الله على لسان صنفيا»[(٣)].

ونبوة «إرميا» أيضًا طويلة حافلةٌ بالقرائن التي تدل على البشارة بمبعث محمدٍ ﷺ[(٤)].

---

(١) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٧١، ١٧٢).

(٢) لم أجده وقريبًا من معناه، سفر إرميا ٤٦: ٩ ـ ١١.

(٣) نصر بن يحيىٰ، النصيحة الإيمانية (٧١).

(٤) وقد فصل البشارات الموجودة في نبوءة إرميا البروفيسور ديفيد بنجامين كلداني =

٢٧ ـ جاء في الكتاب المقدس في سفر دانيال[١] نبوءة طويلة، لا يسوغ نقلها كاملة لطولها: وملخصها: «أن دانيال رأى وحوشًا أربعة تمثل قوىٰ الظلام أي مملكة الشيطان، وهذه الوحوش الأربعة عدوة «لشعب الله المختار» الذي يدرك المعرفة الحقيقية والكتب المقدسة ووحي الله، وذلك على النقيض من الامبراطوريات الأربعة التي اضطهدتهم ولكن ظهر قرنٌ صغير في رأس الوحش الرابع، طبيعة هذا القرن تختلف عن طبيعة الوحوش الأخرىٰ، بحيث أن الله نزل إلى السماء الدنيا ليقضي على الوحش الرابع بالدمار، ثم دعا إلى حضرته البرناشا «أي ابن الإنسان» وأعطاه السلطان والمجد والملكوت كي تخضع له كل الشعوب والأمم والألسنة إلى الأبد، وتكون أمته هي الأمة التي تقدس الله العلي القدير»[٢].

= قسيس الكنيسة الكاثوليكية سابقًا، المعروف بالبرفيسور عبدالأحد داود بعد إسلامه، ومن أهم ما ذكره بشارة إرميا بالإسلام حيث قال: «إن النبي الذي يبشر بالإسلام» ٢٨ : ٩، ثم قال: وأنا اعتبر هذه العبارة التي ذكرها إرميا واحدة من النصوص الذهبية في العهد القديم ص (١٠٥ ـ ١١٣)، وهي في الكتاب المقدس: «إن النبي الذي يبشر بالسلام» ولاشك أن مادتهما اللغوية واحدة.

(١) دانيال: كان في الأصل أميرًا منحدرًا من أسرة مالكة يهودية، ثم أخذ من القدس أثناء السبي البابلي مع ثلاثة آخرين من أمراء اليهود إلى قصر نيوخذنصر في بابل حيث درس علوم الكلدانيين وعاش هناك حتىٰ الفتح الفارسي وسقوط الإمبراطورية البابلية، وقد بُعث في فترة حكم ملك بابل نيوخذنصر. انظر: ما ورد في كتاب اليهود والنصارىٰ، د. عبدالأحد داود ص (٦٩).

(٢) سفر دانيال ٧.

يقول علي بن ربن الطبري معلقًا على هذه الرؤيا: «وهذه أيضًا مفسرة منورة لاتحتاج إلى أفصاح أكثر مما فسره دانيال عليه السلام، فالحيوان الرابع الذي قال إنه كان عظيمًا رائعًا هائلاً قويًا عزيزًا هو تمثال هذه المملكة التي جاء في الرؤيا أنها أعظم المملكات، وهذه أيضًا تشهد بأن النبي ﷺ آخر الأنبياء وخاتمهم وأن النبوات كلها تمت به وتناهت فلم تتجاوزه، وعلى هذا دلت النبوات المتقدمة وإليه ساقت، وأنبأ به العباد على ألسنة أنبيائه، قبل كونه بدهرٍ طويل، وأوجب به الحجة، وقوىٰ به البصائر النافذه ورفع الأستار المسدودة له»[(١)][(٢)].

(١) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة (١٨١، ١٨٢).

(٢) يقول البروفيسور عبدالأحد داود، القسيس السابق، عن رؤيا «دانيال» السابقة: «ولعلها أروع وأوضح نبوءة عن البعثة النبوية لأعظم البشر وخاتم الرسل، ثم يأتي برأيٍ آخر يخالف رأي علي بن ربن الطبري في الرؤيا فيقول: إن القرن الصغير هو الإمبراطور الروماني الحادي عشر، قسطنطين الأكبر، والوحش الرابع هو العالم الروماني الكبير، لأن قسطنطين هزم منافسيه الثلاثة وتساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة أمام القرن الصغير، وغيره من الأدلة الكثيرة على قوله، ثم يقول: والشاهد من النص أن الـ«برناشا» أو ابن الإنسان الذي أرسل لتدمير القرن وسحق الإمبراطورية الرومانية لم يكن غير محمد ﷺ، ومهما يحاولون ابتداع شخصيات غيره للقيام بدور ابن الإنسان فإن ذلك لا يعدو أن يكون تهافتًا؛ لأن محمدًا ﷺ جاء بعد قسطنين وليس قبله كالمسيح والأنبياء والآخرين؛ ولأن رحلة ابن الإنسان فوق السحاب تتفق مع حادثة الإسراء والمعراج» غير ذلك». انظر ذلك مطولاً في كتاب اليهود والنصارىٰ لعبدالأحد داود، ترجمة محمد الزين ص (٦٩ ـ ٨٦).

٢٨ـ جاء في إنجيل التلميذ قوله للتلاميذ: «يا أحبائي لا تؤمنوا بكل روح، بل ميزوا الأرواح التي من عند الله، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانيًا فهو من عند الله، وكل روح لايؤمن بأن المسيح كان جسدانيًا فليس من عند الله»(١)، وقد ذكر أكثر هذه البشارات ذكرًا مجردًا وسردًا لها دون تعليق عليها أو شرحًا له الإمام الماوردي رحمه الله(٢).

«ولقد آمن النبي ﷺ بأن المسيح قد جاء وأنه جسداني وأنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، فروحه ﷺ إذًا بشهادة يوحنا وغيره، روح صادقة برّة من عند الله عزوجل، وروح من زعم أنه غير جسداني ولا إنسي من عند غير الله»(٣).

وبعد فهذه بعض البشارات والنبوءات التي أخبرت بمقدم النبي محمدٍ ﷺ في الكتاب المقدس، وهي كثيرة

(١) جاء في يوحنا: «ومتى ما جاء المعزي الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي» ولم أجده كما نقله علي بن ربن الطبري.

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ (١٨٥).

ولقد بشر إنجيل يوحنا بأكثر من بشارة بمحمد ﷺ في ٤: ١٩ ـ ٢١ إشارة عيسىٰ إلى تغيير القبلة عن أورشليم وفي ١: ١٩ ـ ٢٠ الإشارة إلى مقدم نبي غير عيسى عليه السلام ومعرفة اليهود به. وفي ١٤: ١٥ وفيه بيان أن عيسى عليه السلام رسولٌ فقط، وأن الإله هو الله وحده.

(٣) أعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ص(١٧١ـ ١٨١)، قدم له وشرحه وعلق عليه: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت.

جدًا[١].

ودلائل نبوته أوضح من فلق الصبح، ولكن الجهل والهوىٰ يحملان على دفعها وجحودها ومنعها، ومنكروها كما قال عز من قائل: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾[٢] ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[٣].

ولقد أكثرت من النقل عن العهد القديم «التوراة» في مثل أسفار أشعياء، ومنميا، وصنفيا، وإرميا، ودانيال، وغيرها مما هو مقدس عند اليهود؛ لأن الكتاب المقدس عند النصارىٰ إنما يحوي العهد القديم والجديد، فالنصارىٰ يقدسون كلاً من العهد القديم والعهد الجديد ويضمونها معًا في كتابٍ واحدًا يطلقون عليه اسم الكتاب المقدس.

والعهد القديم هو التوراة مع الكتب الملحقة، ويرىٰ النصارىٰ أن العهد القديم منسوخ في أحكامه فلا يعملون بشيءٍ من تشريعاته، إلا أنهم يعتقدون قداسة الكتاب[٤].

---

(١) ويراجع في ذلك للاستقصاء والاستزادة: البشارة نبي الإسلام في التوراة والإنجيل د. أحمد حجازي السقا، ومحمد في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد، ومحمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارىٰ للدكتور عبدالأحد داود.

(٢) سورة البقرة، الآية (٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨).

(٤) د. سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص (١٦٠).

وبين اليهودية والنصرانية تشابهٌ كبيرٌ جدًا[(١)].

يقول نصر بن يحيىٰ بعد ذكره لبعض النبوءات والبشارات الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ: «ولقد بان لكم الحق فأنكرتموه، ووضح لكم الصدق فدفعتموه، وجحدتم ماتعلمون، وعدلتم عما تعرفونه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٣٣﴾[(٢)] ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾[(٣)] يقول البوصيري في منظومته في الرد على النصارىٰ عن محمدٍ ﷺ:

بينته توراتكم والأناجيل وهم في جحوده شركاءُ

إنْ يقولوا ما بينته فما زالت بها عن قلوبهم عشواءُ

من هو الفارقليط قولوا بحقٍّ وبالحق تشهد الخصماءُ

أخبرَتكُمُ جبالُ فاران عن مثل ما أخبرتكموا سيناءُ

وأتاكم من المهمين قديس فاسمعوا ما يقوله أشعياءُ

عرفوه وأنكروه وظلمًا كتمته شهادة الشهداء

---

(١) جيمس بنتلي، اكتشاف الكتاب المقدس قيامة المسيح في سيناء ص (١٥٠، ١٥١)، ترجمة: آسيا محمد الطريحي، سيناء للنشر، مصر، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٣٣).

(٣) سورة الذاريات، الآية (٦٠).

المبحث الثاني

في جهود علماء الإسلام في بيان موقف النصارىٰ من معجزاته عليه الصلاة والسلام والرد عليهم في ذلك

لقد أيّد الله تعالىٰ رسله وأنبياءه بآياتٍ واضحات تؤازرهم وتقوّي من عزائمهم في دعوتهم إلى توحيد الله جل وعلا وإفراده بالعباده، وتدل على صدقهم فيما يدّعونه من نبوةٍ أو رسالة، وهذا أمرٌ ثابتٌ لكل من أرسله الله تعالىٰ من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام[١].

يؤكد هذا المعنىٰ ما جاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: «**ما نبيٌّ من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله لبشر، وإنما الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[٢].

فما من نبيٍ من الأنبياء عليهم السلام إلا وقد أيده الله بآياتٍ بيناتٍ تدل على صدقه في نبوته وتعينه في صراعه ضد المكذبين له، كل على حسب درجة عناد قومه له وإنكارهم

---

(١) وينظر لهذا المعنىٰ: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للعلامة أبي بكر أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي (١/ ١٠).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (٩/ ٣) رقم (٤٩٧١). وصحيح مسلم كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان بنبينا محمد ﷺ (١/ ١٣٤) (١٥٢).

لرسالته.

ولأن رسالة محمدٍ ﷺ إلى الناس كافة، فهو أعظم الأنبياء، فقد أيده الله تعالىٰ بآياتٍ بيناتٍ كثيرة ومتنوعة، حسيَّة ومعنوية، كما تواتر النقل عنه ﷺ بذلك في مناسبات عديدة، وفي وقائع كثيرة، في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، وكتب السّير، والتواريخ والمغازي وغيرها من الكتب التي تعتني بدراسة سيرته ﷺ، فأصحاب هذه الكتب كلهم متفقون على أنه قد ظهرت على يد رسول الله آيات كثيرة ظاهرة نقلها أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، الذين حضروا ظهور تلك الآيات نقلاً متواترًا بحيث لا يمكن دفعه، هذا ما يتفق عليه جميع المسلمين في كل وقت وزمان.

ومع البشارات الكثيرة والدلالات الواضحة على صدق نبوة محمد ﷺ في كتب النصارىٰ المقدسة، والتي سبق تفصيلها في المبحث السابق، إلا أن النصارىٰ يصرُّون على إنكار نبوة محمد ﷺ، مع إنها ثابتةٌ عندهم بحيث لا يمكن دفعها ولا إنكارها إلا من جاهلٍ أو متجاهل معاند ومتكبر يمنعه عناده وتكبره من قبول الحق والإذعان له.

والنصارىٰ ومن سار على نهجهم من أهل الزيغ والضلال كما أنكروا ما ثبت عندهم من بشارات، أنكروا ـ ظلمًا وزورًا ـ أن تكون ظهرت على يد رسول الله ﷺ آية من الآيات مثلما على أيدي الأنبياء الآخرين.

حيث يقول المهتدي نصر بن يحيىٰ المتطبب: «وقلتم: إن محمدًا ﷺ جاء بالسيف[١] دون المعجزات، وأنه لم يأت بآيةٍ مثل من تقدمه من الأنبياء»[٢].

هذا هو موقف النصارىٰ من معجزات النبي محمدٍ ﷺ، وهو موقف مبني على الكبر والإنكار والجحود بغير مستندٍ صحيح يستندون إليه أو يعولون عليه، كما أثبت ذلك علماء المسلمين في القرون الستة الهجرية الأولىٰ في معرض إبطالهم مزاعم النصارىٰ في رسول الله ﷺ.

ولعله يبرز في هذا الباب اثنان من علماء القرون الستة أفردا هذا المبحث بمؤلفين خاصين بذلك، علي بن ربن الطبري في كتابه: الدين والدولة في إثبات نبوة محمدٍ ﷺ، والقاضي عبدالجبار في كتابه: تثبيت دلائل النبوة. إضافةً إلى ما ذكره غيرهم في معرِض ردهم على النصارىٰ في إنكارهم لنبوة محمدٍ ﷺ، وإنكارهم لمعجزاته.

يقول أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ: «ومن أعجب

---

(١) وسيأتي تفصيل هذه الشبهة والرد عليها في المبحث القادم إن شاء الله تعالىٰ.

(٢) النصيحة الإيمانية (١٣٨ ـ ١٣٩).

ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ رحمة الله الهندي في معرض ردّه على مطاعن النصارىٰ في النبي ﷺ. انظر: إظهار الحق (١٣٠٦/٤)، ويؤيده تلميحًا في بعض المعجزات وتصريحًا ببعضها الآخر ما ذكره واشنطن إيرفنغ في كتابه «محمدﷺ» ص (١٧٧) من تكذيب الإسراء وتسميتها بالأسطورة. انظر: الكتاب: ترجمة د.هاني يحيىٰ نصري، المركز الثقافي العربي.

توقح أساقفتكم على الله نفيهم معجزات رسوله ﷺ، وهذا نوعٌ من الوقاحة، وبابٌ من السفسطة والشعوذة ذهب إليها مضلوكم حين أوجع محمدٌ ﷺ رؤوسهم بمقامع الحق، وقد علما أنه لم يعط الله نبيًا آية إلا أعطىٰ محمدًا ﷺ أعجب منها أو مثلها، ولا محالة أن آيةً واحدةً خارقةً للعادة تدلّ على أن الله لا يؤيد بها كاذبًا عليه»(١)، والنبي ﷺ قد أوتي من الآيات والمعجزات الدالة على نبوته الشيء الكثير.

يقول علي بن ربن الطبري أيضًا في هذا المقام: «وأنا ذاكرٌ من آياته عليه الصلاة والسلام ما فيه برهانٌ لقومٍ ينصفون»(٢). ولقد قسمت معجزاته ﷺ إلى ما يأتي:

أولاً: ما جاء في القرآن من الإخبار بالغيب ووقوعه كما أخبر:

يورد علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ شبهةً للنصارىٰ في ـ هذا الباب ـ ويرد عليها فيقول: «وقالوا: إنه ليس في القرآن ذكرُ آية للنبي ﷺ وإن من لم يكن في كتابه ذكر آيةٍ ونبوة لم يجب التصديق به، . . . .

فيرد عليهم متنزلاً معهم بقوله: فليخبرونا بالآية الموجودة لداود النبي في زبوره، فإن لم يوجدونا ذلك، فلم وبأي حجة سموه نبيًا، ولم يتنبأ عليه نبيٌّ ولا وجد في كتابه

---

(١) مقامع هامات الصلبان (١٩٧ ـ ١٩٨).

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ (٦٥).

ذكر آية؟»[١].

ثم يردّ ردًّا مفصلاً عليهم بقوله: «وأبدأ في هذا الباب بما في القرآن منه لئلا يقول المخالف أنه لو كان للنبي ﷺ آية لذكرت فيه، كما ذكر في التوراة والإنجيل آيات موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، فمن آياته التي ظهرت في أيامه عليه الصلاة والسلام وشهد بها القرآن أنه أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ، وهو قول الله عزوجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[٢].

وقد كانت العرب أنكرت ذلك، أنىٰ وكيف قطع مسافة شهرين ذاهبًا وجائيًا في ليلةٍ واحدة، فأتاه أبوبكرٍ ـ رضي الله عنه ـ وسأله عن ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «**نعم ولقد مررت بعير بني فلان وهم نيام فشربت من إناءٍ لهم وإن عيرهم الآن يقدمها جملٌ أورق عليها غرارتان إحداهما سوداء والأخرىٰ برقاء**» فابتدر القوم الثنية فإذا بالعير قد أقبلت والجمل الأورق يقدمها[٣]، فلم يجدوا لآيته مدفعًا، وهي

(١) المرجع السابق (٤٩).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٣) حديث الإسراء والمعراج، أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، وهو حديث طويل جاء فيه ذكر قصة الإسراء والمعراج بكاملها. انظر: صحيح البخاري مع الفتح كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) برقم (٣٨٨٧)، صحيح مسلم كتاب: الإيمان، باب: الإسراء =

لعمري صريحة كافية موجودة في القرآنِ تجمّع عليها أهل الإسلام طُرًّا»[(١)].

ويقول القاضي عبدالجبار ـ معلقًا على حادثة الإسراء والمعراج ـ: «ومن دلائل نبوته ﷺ ما حصل من قصة الإسراء والمعراج والمعجزات والآيات البينات التي لو لم تكن إلا هذه لكفت وأغنت في الدلالة على نبوته، منها: مصيره ورجوعه في ليلةٍ واحدة، ومنها إخباره بالوقت التي ترد فيه عير قريش، وعلى أي سبيلٍ ترد، فكم في هذا من العيوب؟ ثم يَرُدُّ على من قال: كيف علمتم؟ وما طريق العلم به؟ بقوله: قد علمنا أنه ﷺ قد احتج بالإسراء وجعله قرآنًا يتلىٰ، وقد سمع هذا جميع أعدائه من قريشٍ واليهود والنصارىٰ، وهم معه وجيرانه وأشد الناس عليه وأحرصهم على عثرةٍ تكون له أو عيبٍ يكون فيه، وهنالك أصحابه ومن قد اعتقد صدقه ونبوته ولم يتبعه إلا لأنه نبيٌ صادقٌ وعاقل لا يحتج على عدوه ووليّه بما لا يقوم برهانه، ولا يفعله إلا عاقل، وعقل رسول الله ﷺ عند عدوه فضلاً عن وليه فوق العقول، ومن فعل هذا دون حجة وبرهان لا يتبعه أحدٌ ولا يصدقه أحدٌ بل يرجع عنه من قد اتبعه، فكل أحدٍ يمكنه أن يدّعي مثل

= والمعراج (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦) برقم (١٦٢).

(١) الدين والدولة، في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ص (٦٥ ـ ٦٧).

هذا، فتعلم أن الحجة بذلك قد قامت واتضحت»[١].

ويقول علي بن ربن الطبري رحمه الله مبينًا معجزةً أخرىٰ من معجزاته ﷺ التي أخبرنا بها القرآن الكريم فيقول: «ومن آياته التي ذكرها الله في كتابه أنه لما آذاه المشركون واستهزؤا به قال له: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾[٢].

فهذا في القرآن لا يختلف فيه اثنان ولا في تفسيره، وهو أن خمسة نفر من رؤساء المشركين كانوا يستهزؤون به ويؤذونه فنزل عليه جبريل عليه السلام وقال له: إذا كانوا بالبيت فسل الله فيهم ما أحببت فإني فاعله بهم ومنزله عليهم، فمرّ به أحدهم وهو لهب بن أبي لهب[٣] في الطواف، فقال

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٤٦ ـ ٥٠) بتصرف.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) «وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي لهب وقال بعضهم: عتيبة» دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي (١/ ٣٣٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المشهور عند أصحاب السير وغيرهم دعوته ﷺ على عتيبة بن أبي لهب، وكان أبولهبٍ لما عادىٰ النبي ﷺأمر ابنيه أن يطلقا ابنتي النبي رقيه وأم كلثوم قبل الدخول، وقال عتيبة لرسول الله ﷺ كفرت بدينك، وفارقت ابنتك؛ لا تحبني ولا أحبك ثم تسلط عليه بالأذىٰ وشق قميصه فقال رسول الله: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**» فخرج في نفرٍ من قريش حتىٰ نزلوا في مكانٍ يقال له «الزرقاء» ليلاً، فطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: «ياويل أمي والله إنه آكلي كما دعا محمدٌ عليّ، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام، فعدا عليه الأسد من بين القوم، وأخذ برأسه فذبحه» الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح =

النبي ﷺ: «أكلك كلبٌ من كلاب الله» فأكله الأسد، ثم مرّ به الوليد بن المغيرة[(١)] فأوما النبي ﷺ إلى جرحٍ كان في باطن رجله، فانتفض عليه وقتله، ومر به الأسود بن عبديغوث[(٢)] فأومأ ﷺ إلى بطنه فسقي ومات، ثم مرّ به الأسود بن عبدالمطلب فرمىٰ في وجهه ورقة وقال: اللهم أعم بصره وأثكله ولده فابتلىٰ بذلك كله، ومرّ به العاص بن وائل[(٣)] فأشار إلى أخمص رجله فدخلت في أخمصه شوكة فقتلته، ومرّ به الحارث بن العطيلة[(٤)] فأومأ إليه فتفقّأ قيحًا وهلك،

= (٦/ ٢٩١ ـ ٢٩٣).

(١) الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش وزنادقتها، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وهو والد خالد بن الوليد. انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٢).

(٢) هوالأسود بن عبديغوث بن وهب بن عبدمناف بن زهرة، وهو ابن خال النبي ﷺ، وكان إذا رأىٰ فقراء المسلمين قال لأصحابه: «هؤلاء ملوك كسرىٰ»، وكان يقول للنبي ﷺ: «أما كُلمت من السماء اليوم يا محمد؟» فخرج من أهله فأصابه السموم فأسودّ وجهه، فلما عاد إليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه، فرجع متحيرًا حتىٰ مات. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٣) هو: عمرو بن هشام السهمي، أحد حكماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام وظل على كفره، ومات عليه، وهو والد عمرو بن العاص. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٢٤٧).

(٤) هو الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي، كان أحد المستهزئين الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ، وهو ابن العطيلة أمه، وكان يأخذ حجرًا ويعبده فإذا رأىٰ أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني، أومأ جبريل إلى خدش كان في رجله فانتفض ومات منه. الكامل في التاريخ (٢٠/ ٤٨).

وكفي النبي ﷺ أمر المستهزئين وكانوا أجلة القوم وأعلامهم»[١].

ويزيد القاضي عبدالجبار ـ بعد أن ذكر مثل هذا أو غيره ـ قوله: «وبابٌ آخر من معجزاته ودلائل نبوته، وهو ما نزل بمكة في رجالٍ بأعيانهم أنهم يصرّون على شركهم إلى أن يموتوا، وأن الله سيذيقهم من عاجل الخزي في الدنيا، وقد صنع مثل صنيعهم قومٌ علم الله أنهم يدخلون في الإسلام فلم يأت من عندالله فيهم ما أتىٰ في أولئك»[٢].

ويضيف القاضي عبدالجبار ـ في معرِض ذكره لأشياء أخبر بها القرآن قبل وقوعها ـ قوله: «وبابٌ آخر: وهو أن قريشًا والعرب لما أعيتهم الحيل في أمر رسول الله ﷺ، كانوا يستروحون إلى أدنىٰ غمٍ يناله ﷺ، فمات ابنه إبراهيم وهو أكبر ولده وبه يكنىٰ، ومات ابنه عبدالله، فسرّت قريشٌ بذلك، وقال بعضهم لبعضٍ أبشروا فقد انبتر محمد، فأنزل الله عزوجل: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[٣] فانبترت ديانات قريش والعرب كلها، وبطلت عن آخرها[٤]، ولم يبق على ذلك الدين عينٌ

---

(١) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ص (٦٦ ـ ٦٩).

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٥٣).

(٣) سورة الكوثر، الآية: ١ ـ ٣.

(٤) سب نزول سورة الكوثر: انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٥).

تطرف، وتم أمره ﷺ وسطع نوره وعلا وقهر، وفي هذا عيوبٌ كثيرة أخبر بها قبل أن تكون، ثم وردت على وجهٍ يغيض ويغضب ويبعث على الوثوب عليه وعلى قتله وعلى إطفاء نوره، وقد حرصوا على ذلك فما تم»[١].

ثم يستمر القاضي عبدالجبار أيضًا بذكر بعض ما أخبر به القرآن قبل وقوعه، ومن ثم حصوله كما أخبر فيقول عن غلبة الروم على الفرس: «ومن دلائل نبوته وهو ﷺ بمكة: وهو أن الفرس غلبت الروم فسرّ ذلك مشركي قريش لشدة فارس على الإسلام والمسلمين، وكانت الروم ألين كتفًا على المسلمين لأنهم أهل كتاب، ولأنهم يصغون إلى ما يرد عليهم من أخبار رسول الله ويستحسنونه، فساء المسلمين ظهور فارس عليهم، فأخبر الله نبيه ﷺ أن الروم ستظهر على فارس بعد سبع سنين، وأن غم المسلمين سيعود فرحًا[٢]، وأنزل بذلك قرآنًا يتلىٰ، فقال عزوجل: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ . . .﴾[٣] الآيات، فلما نزلت هذه الآيات تلاها رسول الله ﷺ على أبي بكرٍ الصديق وبشره وبشّر المسلمين، فخرج أبوبكرٍ إلى المشركين، وأخبرهم بذلك وتوعدهم وجادلهم وأغضبهم،

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٣٨، ٣٩).

(٢) سبب نزول سورة الروم: انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٨).

(٣) سورة الروم، الآية: ١، ٢، ٣.

وأغاظهم فكان كما أخبر وعلى ما فصّل وبيّن»(١).

ثم ينقل رحمه الله كثيرًا من الآيات التي وردت في كتاب الله تعالىٰ وأخبرت بأمور مستقبلية وحدثت كما أخبر.

يضيف أبوعبيدة الخزرجي ـ رحمه الله ـ إلى ذلك، ما جاء في كتاب الله تعالى من إخباره سبحانه عما جرىٰ لأبرهة الأشرم ملك الحبشة، وفيله المسمىٰ محمودًا، فيقول: «الحمد لله الذي طهر الإسلام من الأوهام وأغنىٰ المسلمين عن النقائص بما هو أوضح دليلاً من النهار، ولا يقع ذلك إلا بفعل الله تعالىٰ، ومن أمثلة ذلك ما فعله لأبرهة الأشرم وفيله المسمىٰ محمودًا، وذلك في العام الذي ولد فيه سيد المرسلين محمدٌ ﷺ، ثم ذكر رحمه الله قصة قدوم أبرهة نحو البيت الحرام وما كان من أمرهم، وما أرسل الله عليهم من الطير الأبابيل، وما معها من الحجارة السجيل إلى أن هزم جيشه، وأنزل الله في ذلك قرآنًا باقيًا إلى اليوم، وهو قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾(٢).

ثم قال ـ رحمه الله ـ للنصراني: «أخبرني أيها المخدوع لم فعل الله ذلك وقد كان النجاشي وجيشه يومئذٍ نصارىٰ،

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٥٩ ـ ٦٢) بتصرف.

(٢) سورة الفيل.

أقرب إلى أمره من أهل مكة، لأنهم كانوا عبدة أوثان وكانت الكعبة يومئذٍ مقرّ الأصنام؟.

أما إنك إن عدت إلى الحق لتريّن أن ذلك إنما فعله الله آيةً لمحمدٍ ﷺ ولكعبة بيت الله الحرام، ومقام إبراهيم، حجةً لمن عبد الله تعالى بتعظيم ذلك البيت، وإقامة فرض الحج إليه»[١].

ثانيًا: وبعد أن ذكر علماء القرون الستة ـ رحمهم الله جميعًا ـ من المعجزات الواردة في القرآن الكريم.

أردفوا ذلك بذكر معجزاته ﷺ التي وردت بالسنّة المطهرة الصحيحة، مثل: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطعام والماء، والتصرف في الحيوانات والجمادات بالكلام والأمر وإجابة الدعاء، وغيرها من الآيات الكثيرة التي ظهرت على يدي رسول الله ﷺ حيث ذكر علماء القرون الستة شيئًا من هذه المعجزات دون استقصاءٍ لها لكثرة وقوعها وفي ذلك يقول علي بن ربن الطبري: «ولو أردنا الاستقصاء لطال الكتاب، وفي هذا شفاءٌ لمن أراد الله هدايته وإنقاذه»[٢].

ومن آياته التي بهرت وبانت لجميع من شاهده يوم بدر أنه حثا في وجوه المشركين التراب، وقال: «**شاهت الوجوه**»[٣]

(١) مقامع هامات الصلبان (٢٧٢ ـ ٢٧٤) بتصرفٍ يسير.

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمدٍ ﷺ (٢٧٤).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٨٠ ـ ٨١).

أي قبحت، فانهزموا وقتلوا.

وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع نداء رجل وهو يقول: يارسول الله تهدمت البيوت من شدة المطر، فقال عليه الصلاة والسلام: «**حوالينا ولا علينا**»، قال أنس: «**فبصرت بعيني السحابة انجالت عن المؤمنين**»[(١)] وأنه ﷺ أتي بقبضتين من تمر يوم الخندق فأمر أن يصب بين يديه ونادىٰ مناديه في الحبيش فأكلوا وشبعوا»[(٢)].

وأنه انكسر سيف عكاشة بن محصن ـ رضي الله عنه ـ يوم بدر فقال: يارسول الله انكسر سيفي فأخذ عليه الصلاة جذلاً من حطب وأعطاه إياه وقال له: «هزه» فهزّه عكاشة، فصار سيفًا وتقدم وجالد به ولم يزل بعد ذلك معه[(٣)].

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً أخذ فِراخ طيرٍ في غزاة فجاء الطائر إلى رسول الله ﷺ، ورفرف عند رأسه ثم وقع بين يديه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من أخذ فراخ هذا الطائر اطلبوها وردوها عليه**» فوجدوها عند

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: الاستسقاء، باب: من تمطر في المطر حتىٰ يتحادر على لحيته (٢/ ٥١٩ ـ ٥٢٠) برقم (١٠٣٣)، وصحيح مسلم، كتاب: الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء (٢/ ٦١٤) رقم (٨٩٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ (٦/ ١١٠).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٠/ ٩٨ ـ ٩٩).

بعض المسلمين فردوها عليه(١).

وروي أنه ﷺ استناخ بعيرٍ بين يديه ثم رغا، فدعا النبي ﷺ بصاحبه وقال: «إن هذا البعير شكا وذكر أنه لم يزل عندكم صغيرًا تعملون عليه حتىٰ إذا كبر أردتم قتله» فقال الرجل: «صدق يارسول وأنا ممسكٌ عنه(٢)»(٣).

ثم تابع علي بن ربن سرده لما حشده من آيات ومعجزاتٍ من السنة تثبت صدق نبوته ﷺ بقوله: «ودعا عليه الصلاة والسلام على العرب فاحتبس عنهم القطر وأجدبت البلاد»(٤).

ومن آياته عليه الصلاة السلام التي ظهرت: ما روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «اتخذت أمي حيسًا(٥) وبعثت به إلى النبي ﷺ تسأله أن يطعم منه، فقام النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٧٩). قال الهيثمي: «ورواه أحمد وإسناده حسن»، مجمع الزوائد (٩/ ٨ ـ ٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٦/ ٢١)، قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/ ٦.

(٣) الدين والدولة (٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: الجهاد، باب: الدعاء على المشركين (٦/ ١٠٥) وصحيح مسلم (٤/ ٢١٥٥ ـ ٢١٥٧).

(٥) الحيس: الخلط، وهو تمر يخلط بسمن وأقط، فيعجن شديدًا ثم يندر من نواه، القاموس المحيط ص (٦٩٦) باب «السين» فصل «الحاء».

وقال لأصحابه: قوموا بنا، فلما رأت أمي الجماعة قالت: «يارسول الله أعددت لك شيئًا بمقدار ما تأكله وحدك قال: فدعا النبي ﷺ عليه بالبركة، وقال لي: «أدخل عليَّ عشرة عشرة، فكانوا يشبعون ويخرجون، وأكلنا معهم وشبعنا[(١)].

وروي عنه ﷺ أنه أراد الوضوء وهو في سفر له، فقال لأحد أصحابه: «**اذهب إلى تينك الشجرتين وقل لهما إن رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا**» فأقبلتا تخدان الأرض خدًا حتىٰ اجتمعتا وتوضأ رسول الله بينهما ثم أمرهما بالرجوع إلى مكانهما فرجعتا[(٢)].

وروي أن يهودية دعت النبي ﷺ إلى طعام وقرّبت إليه شاةً مسمومة فقال عليه الصلاة والسلام: «**هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة**»، فأقرَّت اليهودية بذلك، وقالت: أردت امتحانك، وقلت إن كان نبيًا لم يخف ذلك منه، وإن كان ملاّذًا أكل منها وأرحت الناس منه»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: النكاح، باب: الهدية للعروس (٩/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) رقم (٥١٦٣)، وصحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش (٢/ ١٠٥) رقم (١٤٢٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ من حديث يعلىٰ بن مرة وغيره من الصحابة (١/ ١٧٠)، والبيهقي في الدلائل بطرقٍ كثيرة (٦/ ١٣ ـ ١٢)، وأخرج مسلم نحوه من حديث جابر في كتاب: الزهد والرقاق، باب: حديث جابر الطويل (٤/ ٢٣٠٦) رقم (٣٠١٢).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، صحيح البخاري مع =

وروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأصابنا عطش شديد فجهشنا إليه وبين يديه تور(١) فيه ماء فوضع يده فيه وجعل الماء يتخلل من بين أصابعه كأنها عيون فشربنا وروينا منه ونحن أربعمائه رجل وتوضأنا(٢)»(٣).

وذكر مثل هذه المعجزات وغيرها القاضي عبدالجبار(٤) ونصر بن يحيىٰ المتطبب(٥) ـ رحمهما الله ـ.

ثم عرّج «علي بن ربن الطبري» على ما ورد في سنة النبي محمدٍ ﷺ من الأخبار عن أمور غائبةٍ أو مستقبلة فوقعت كما أخبر بها في حياته ﷺ أو بعد وفاته حيث قال: «فأما ما جاءت به الإخبار الصادقة، فمن ذلك: عن سعد بن عبادة السَّاعدي، أنه قال: كنا مع النبي في غزاةٍ معنا رجل لا يبارز رجلاً من المشركين إلا قتله، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال:

= الفتح، كتاب: الجزية والموادعة، باب: إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يغطىٰ عنهم» (٦/ ٢٧٢) رقم (٣١٦٩)، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٩ـ ٢٦٢).

(١) التور: إناء فيه الماء. القاموس المحيط ص (٤٥٦) باب: «الراء» فصل «الثاء».

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية (٧/ ٤٤١) رقم (٤١٥٢).

(٣) الدين والدولة في إثبات نبوة محمدٍ ﷺ ص (٧٣ ـ ٧٥).

(٤) بين طيات كتابه الكبير تثبيت دلائل النبوة. انظر مثلاً: (١/ ٨٠ ـ ٩٠).

(٥) النصيحة الإيمانية (١٤٠ ـ ١٤٥).

«**أما إنه من أهل النار**» قال سهل: فما زلت أتبعه لأعرف عاقبة أمره، فأصابته جراحة واستبطأ الموت فوضع سيفه على سرته وتحامل عليه حتى قتل نفسه[(١)].

وروي عنه ﷺ أنه قال لخالد بن الوليد وأصحابه حين وجههم إلى أكيدر دومة الجندل[(٢)]: «**إنكم ستأتون فتجدونه يصيد البقر**»[(٣)] فوجدوه كذلك وروي عنه ﷺ «إنه جمع الناس يومًا ونعىٰ النجاشي ملك الحبشة وصلى عليه وكبر تكبيرات»[(٤)] فورد الخبر بوفاته في ذلك اليوم. وكان بينه وبين أرض الحبشة البحر ولم تكن مكة مدرجة مثل مدارج الشرق والغرب»[(٥)].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أيضًا أمثلةً من الأمور التي أخبر بها ﷺ ووقعت بعد وفاته لئلا يبقىٰ لأهل الفتنة والعناد حجة

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر (٧/ ٤٧٥) (٤٢٠٧)، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٦) (١١٢)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

(٢) دومة الجندل: هي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ، وهو حصن أكيدر بن عبدالملك الذي وُجِّه إليه خالد بن الوليد. معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٥٥٤ ـ ٥٥٦).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٢٥٠ ـ٢٥٣).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: مناقب الأنصار، باب: موت النجاشي (٧/ ١٩١) (٣٨٧٧)، وصحيح مسلم، كتاب: الجنائز، باب: في التكبير على الجنازة (٢/ ٦٥٧) (٩٥٢).

(٥) الدين والدولة (٧٦ ـ ٧٩).

يستندون إليها ولا علقة يتمسكون بها.

حيث قال: «فأما ما جاءت به الروايات التي لا شك فيها: فقول النبي ﷺ: «**إن لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد والماحي يمحو الله بي الكفر، والحاشر أحشر الناس، والعاقب أي أني آخر الأنبياء**»(١) فقد صدق حديثه عليه الصلاة والسلام وختم الله به النبوات، ومحىٰ به الكفر أي ذلّه وقلله ومحاه عن سرّة الأرض وقلبها وبقي وسمه في أطرافها وحواشيها.

وروي عنه أنه ﷺ كان على جبل فترك الجبل فقال عليه الصلاة والسلام: «**اسكن فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد**»(٢) وكان أبوبكر فسّمي صدّيقًا وعمر وعثمان فاستشهدا بعده.

وأنه ﷺ كان يقول لأصحابه: «**أنا فرطكم على الحوض**»(٣) أي: أتقدمكم، والفارط: المتقدم، فقبضه الله قبلهم.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: المناقب، باب: في أسماء رسول الله ﷺ» (٦/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥)، وصحيح مسلم. كتاب الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ.: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٧/ ٢٢) (٣٦٧٥)، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: الفتن، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ (٧/ ٣) (٧٠٤٩)، وصحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء» (١/ ٢١٨) (٢٤٩).

وقال عليه الصلاة والسلام لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ في مرضه التي مات فيه: «**إنك أسرع أهلي لحوقًا بي**»[(١)] فكانت أول من مات من أهله بعده.

وقال ﷺ لعمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ: «**تقتلك الفئة الباغية**»[(٢)]، فقتل بحرب بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ فكان معاوية لا ينكر الحديث لكنه يقول ليس أجنادي الذي قتلوه وإنما قتله من غرة وأخرجه إلى القتال.

وروي عن النبي ﷺ أنه كتب إلى كسرىٰ وقيصر كتابين دعاهما إلى الإسلام وبدأ بنفسه، فوضع قيصر كتابه على الوسادة وأجابه بجواب حسن، وأما كسرىٰ فإنه مزّق كتابه وكتب إلى فيروز الديلمي[(٣)] وهو باليمن يأمره بالمسير إلى النبي ﷺ وأَخْذِه وَقتْلِه، فقال النبي ﷺ: «**اللهم مزّق ملكه**» فتمزق ملكه كما ترون وسار إليه فيروز وأعلم النبي ﷺ بما قد أمر به فيه، فقال له النبي ﷺ: «**إن ربي أعلمني أنه قد قتل**

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (٦/ ٧٢٧ـ ٦٢٨) (٣٦٢٣ـ ٣٦٢٤)، وصحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ (٤/ ١٩٠٤ـ ١٩٠٥) (٢٤٥٠).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب: الصلاة، باب: لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل. . .» (٤/ ٢٣٦) (٢٩١٦).

(٣) هو: فيروز الديلمي، له صحبة، استعمله معاوية على صنعاء، هو الذي قتل الأسود العنسي المدعي النبوة، توفي سنة ثلاث وخمسين من الهجرة. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٤٦).

ربك فأمسك عني حتىٰ يصح عندك الخبر»، فأتاهم الخبر بذلك وأسلم فيروز لما رأى وسمع، ودعا من كان باليمن من أبناء الفرس إلى الإسلام فأسلموا، فلما خرج باليمن الكذاب العنسي[(١)] يدعي النبوة كتب إليه النبي ﷺ يأمره بقتله فدخل فيروز وهو نائم ولوىٰ عنقه فدقها فقتله[(٢)]»[(٣)].

هذا بعض ما أورده علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من آيات النبي ﷺ ومعجزاته الدالة على صدق نبوته ﷺ، ولا شك أن في ذلك ردٌّ قويٌّ على مزاعم النصارىٰ في عدم ظهور آيات على يد رسول الله ﷺ، خصوصًا وأن هذا الردّ من رجلٍ نصراني هداه الله للصراط المستقيم والدين القويم.

وكذلك أورد بعضًا من تلك الآيات للنبي ﷺ القاضي عبدالجبار[(٤)]، وأبوالوليد الباجي[(٥)]، ونصر بن يحيىٰ المتطبب[(٦)]،

---

(١) هو: الأسود عبهلة بن كعب بن عوف العنسي، أسلم لما أسلمت أهل اليمن، ثم ارتد عن الإسلام وادعىٰ النبوة، قتل في أواخر حياة النبي ﷺ. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ١١١).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٣١).

(٣) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي ﷺ من (٨٢ـ ٩٧) باختصار وتصرف.

(٤) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٤٢ـ ٨٧).

(٥) رسالة أبي الوليد الباجي في الرد على راهب فرنسا (٨٠ـ ٨٧).

(٦) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية (١٣٥ـ ١٤٢).

وأبوعبيدة الخزرجي[١]، وحيث جاء الكثير منها فيما تقدم نقله عن علي بن ربن الطبري أغنىٰ عن إعادة ذكرها.

ثالثًا: المعجزة العظمىٰ والحجة البالغة الباقية على وجه الدهر لرسول البشرية محمد ﷺ، الذي تحدىٰ بها الناس كافة الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعضه فباءوا بالعجز والبهر، وهو القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على خاتم أنبيائه محمد ﷺ بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين الموجود بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، أحكمه الله تعالىٰ فأتقن إحكامه وفصله فأحسن تفصيله ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[٢] لايتطرق إليه نقص ولا إبطال: «﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[٣] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٤] نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٥]»[٦].

---

(١) مقامع هامات الصلبان (٢٦٨ـ ٢٨١).

(٢) سورة هود، الآية: ١.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤١ـ ٤٢.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٦) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص (٦).

كل ذلك يؤكد بكل وضوحٍ وجلاء أن القرآن الكريم منزلٌ من عند الله تعالىٰ على رسوله محمدٍ ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، فالقرآن هو كلام الله تعالىٰ بلفظه ومعناه وليس بكلام أحد من الخلق، لا جبريل عليه السلام ولا محمدٌ رسول الله ﷺ ولاغيرهما من الخلق.

من هنا جاء تركيز علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ على بيان إعجاز هذا القرآن العظيم.

يقول أبوالوليد الباجي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «لقد أكرم الله تعالىٰ نبيه محمدًا ﷺ بالمعجز الذي فضله الله به على جميع النبيين والمرسلين، وهو القرآن الذي تحدىٰ به الإنس والجن أجمعين، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1] فتحدىٰ به العرب والعجم وجميع الأمم، والعرب في ذلك الوقت أهل فصاحةٍ وبيان وتناهٍ في ذلك الشأن، فلم يستطع أحد منهم أن يأتي بسورةٍ من مثله، مع ما أخرجهم إليه خلافهم له من سفك دمائهم وهتك أستارهم، وأخذ أموالهم، والاستيلاء على بلادهم وأحوالهم، وخروجهم عن أوطانهم، ومفارقتهم آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وأزواجهم، وكان إتيانهم بسورةٍ من مثله ولو استطاعوا ذلك أسهل عليهم من تكلف الحرب والصبر على ألم الجراح،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

فكيف بالصبر على جميع ما ذكرناه، مع أنه ﷺ نشأ معهم وبينهم ولم يتعلم ما لم يتعلموه، ولا لقي من لم يلقوه، ولا انفرد بالدرس دونهم والقراءة بينهم، فقد قرأ غيره من دروس وعلم وتعلم وكتب، وإلى زماننا هذا لم يستطع أحدٌ أن يأتي بسورةٍ من مثل سوره، ولا بآية من آياته، وهذه أعظم معجزةٍ على يدي نبي؛ لأن كل معجزةٍ كانت قبله قد امتنعت مشاهدتها وانقضىٰ وقتها، وإنما ينقل إلينا ذكرها ويخبر بها، والخبر يدخله الصدق والكذب، ولولا أن محمدًا ﷺ أعلمنا بصحتها وهو الصادق لما وقع لنا العلم بوجودها، ومعجز القرآن باقٍ بين أظهرنا ودائمٌ عندنا لا ينقطع وقته ولا ينقضي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

يدل في كل وقت وأوان على صحة ما جاء به محمدٌ ﷺ من شريعته التي هي أفضل الشرائع وأبينها حكمة وأوضحها أحكامًا وأتمها قوامًا»(١).

ثم يبين أبوالوليد الباجي أن زعم النصارىٰ أن محمدًا كاذبٌ فيما جاء به زعمٌ واهٍ باطل؛ لأن هذا الزعم يستطيعه كل أحد على محمدٍ ﷺ وعلى موسىٰ وعلى عيسىٰ وعلى سائر الأنبياء، فيقول: «ولو جاز عليه ﷺ الكذب ـ حاشاه عليه الصلاة والسلام ـ لجاز على موسىٰ وعيسىٰ وسائر الأنبياء، فإنا لا نعلم صدقهم ولا ميّزنا ما جاءونا به من الحق عما جاء

---

(١) رسالة أبي الوليد الباجي إلى راهب فرنسا (٨٢ـ ٨٣).

به الكذابون والمتحيلون من الباطل والكذب، إلا بما ظهر على أيديهم من الآيات البينات، ولو أن ما أتىٰ به محمدٌ ﷺ من جملة التحيُّل، لجاز للدهرية[١] والفلاسفة والبراهمة والثنوية[٢] الذين يكذبون الرسل أن يقولوا: إن جميع ما جاء به موسىٰ وعيسىٰ وسائر الأنبياء عليهم السلام ـ من ذلك الباب ـ وهو قولهم، ولَمّا كذَّبتهُم آياتهم ومعجزاتهم ووجب عليهم تصديقهم لزمكم وجميع الأمم تصديق محمد ﷺ فما جاء به أبين وأظهر وأعظم»[٣].

ويرد علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ على ما عابه النصارىٰ على رسول الله ﷺ من كونه أميًا لا يقرأ ولا يكتب فيقول: «والنبي ﷺ كان أميًا لم يذهب إلى مجالس الأدباء لطلب أدبٍ وقراءة كتاب، وجاء بكلامٍ بهرَ أهل اللغة وغمر أهل الفصاحة والبلاغة، وخضعت له رقاب الأمة، فإنه قال عن الله عزوجل: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٣ ﴾[٤]، وقال: ﴿ فَأْتُوا۟

(١) الدهرية: هم الطبيعيون الذين يؤمنون بالمحسوسات فقط دون المعقولات. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣).

(٢) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام. الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٤٤).

(٣) رسالة أبي الوليد الباجي إلى راهب فرنسا (٨٥ـ ٨٦).

(٤) سورة هود، الآية: ١٣.

بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[(١)] فدان القوم وأذعنوا لما جاء به، فالأميّة التي عابه بها أهل الذمة غير مزريةٍ به، بل حجة وبرهان منير، فلوجاء بمثل هذا الكتاب الذي قد وصفته رجلٌ أديبٌ، خطيب لكان كذلك آية من الآيات، فكيف إذا جاء به رجلٌ بدويٌّ أميٌّ فإن ذلك يشهد له أن الله أنطقه، وروح القدس سدّده وأعانه»[(٢)].

ويضيف نصر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ في هذا المقام كلامًا شبيهًا بكلام علي بن ربن الطبري السابق فيقول: «وقلتم: أنه ﷺ أتىٰ بكلامٍ لا يصح أن يكون معجزة فهل قدر أحدٌ من العرب مع كثرتهم وفصاحتهم على الإتيان بمثله، أو بمثل سورة منه؟ فإنه إذا تأمله العاقل المنصف لم يجد لعجمي ولا لعربي كتابًا جمع من التوحيد والثناء على الله تعالىٰ تقدست أسماؤه، والتصديق بالرسل والحث على الصالحات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار، مثله ولا يقاربه، وإذا تأملت التوارة، فإنك تجد أكثرها أنساب بني إسرائيل وسيرتهم من مصر، وحطهم وترحالهم، وأسماء المنازل التي نزلوها، وفيها ـ مع ذلك ـ سنن وأحكام.

والإنجيل الذي في أيديكم فإن جُلَّه أخبار المسيح عليه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ١٠٤، ١٠٧.

السلام ومولده، وتصرفه وآداب مواعظه، وليس فيه من السنن والشرائع والأخبار إلا الشيء اليسير.

وكتاب أشعياء وأرمياء وغيرهما من الأنبياء، فجلُّها لعن بني إسرائيل وذكر ما أعدلهم من الخزي وإزالة النعم، وأشياء قد قيل أنها محرمة، فهل يوجد في الفرقان شيء يشبه هذا أو يقاربه؟ بل هو منسوخ بالتوحيد والتمجيد والسنن والشرائع والوعد والوعيد، والبشارات التي تليق بالله سبحانه وتعالىٰ وبسط الأمل والغفران وقبول التوبة وكله تستريح إليه الآمال، وهو كما وصفه المتكلم به جل وعلا بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[1]»[2].

ويقول أبوعمرو الجاحظ عن إنكار النصارىٰ للقرآن الكريم وسبب هذا الإنكار: «ولأن هذا القرآن الكريم أعظم معجزاته ﷺ، فقد، أنكر النصارىٰ الكثير منه إن لم يكن إنكارهم له جميعًا»[3].

ويوضح هذا أبوعبيدة الخزرجي -رحمه الله- حيث

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤١، ٤٢.

(٢) النصيحة الإيمانية في فضيحة النصرانية ١٤٢-١٤٤، وذكره بنفس النص تقريبًا علي بن ربن الطبري في الدين والدولة ص (١٠٢-١٠٣)، مما يوضح أن نصرًا قد استفاد من كتاب علي بن ربن الطبري.

(٣) المختار في الرد على النصارىٰ (٣٣، ٣٤).

يؤكد على أن من افترىٰ على الله تعالىٰ فليس ببعيدٍ افتراؤه على ملة الإسلام والقرآن، فيقول: «وأما طعنكم في ملة الإسلام وتجرؤكم على خلق الأكاذيب عليها، والنيل منها فغير بعيدٍ على من كانت عقيدته وديانته على ما تقدم[١] من إذلال الخالق والتحقير لعظمته ووصفه تعالىٰ بغير صفاته الحسنىٰ، وخليقٌ بمن دان بمثل هذا كله أن يجري على سنن مثله من الطعن أيضًا في دين الله وكتابه الحكيم ورسوله الكريم»[٢] ثم قال: «وكان ﷺ يقرأ عليهم ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[٣]، ثم قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[٤]، ثم قال: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ . . .﴾[٥].

فما أجابوه بحرفٍ إذعانًا إلى إعجازه، اعتبر أيها المغرور في نفارهم عن ذلك، ولم يفعلوا شيئًا منه، وقد كانت العرب بالغت في إيذائه بأقوالها وأفعالها فما وضع أحدهم قط في إعجاز كتابه، بل منهم من نسبه إلى السحر،

---

(١) أي من كلامه في ذات الله تعالىٰ، ويراجع لذلك الباب الأول وعقيدة النصارىٰ في الألوهية.

(٢) مقامع هامات الصلبان (١٨٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٤) سورة هود، الآية: ١٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

وأين السحر من القرآن؟ وإنما السحر بخيالاتٍ وحيلٍ ثم يضمحل ويزول باطله، والقرآن هو اليوم كما كان يومئذ، وقد كتبت أمته جميع ما أوذي به من سبٍ وهجرٍ ونفيٍ وضربٍ وجرحٍ، وحصرٍ في الشعاب، وغير ذلك من أنواع الإيذاء فما روي أن أحدهم عارضه بسورةٍ قط، فقد استبان أن العرب لم تدفع قط في إعجاز كتابه، فكيف يلتفت إلى فعال العجم الجهلاء، الجاعلين مع الله إلهًا آخر»(١).

وذكر مثل ذلك القاضي عبدالجبار بكلامٍ طويل، ثم قال بعد كلامه حوله معجزة القرآن الكريم «وقد بذل أعداء رسول الله ﷺ ما هو أعز في دفعه وإبطال أمره من الأموال والأنفس الأولاد.

وإذا كان هذا شأن القرآن على ما يقولون من السخف والركاكة ـ معاذ الله ـ وفيه الكذب والتناقض على ما يدّعي هؤلاء أعداء الإسلام، فكيف يحتج عاملٌ بما هذا سبيله؟ وكيف لم يقل أعداؤه له: تتحدانا بشيءٍ باردٍ غثٍّ متناقض؟ وكيف لم يقل أعداؤه له ذلك؟ وكيف يتّبع ويطاع من هذا سبيله؟ ولم غضب أولئك العقلاء من قريش والعقلاء من العرب والدهاة من اليهود والنصارىٰ وطبقات الأمم والملوك منه ومن أفعاله؟ وبذلوا دماءهم وأموالهم وأولادهم في عداوته والصّدّ عنه والمنع من اتباعه، ورحلوا إلى الملوك يشككون

---

(١) مقامع هامات الصلبان (١٩٣ـ١٩٧) بتصرف.

ويقبّحون منه، ويبعثونهم على قتله، ويخوفونهم سطواته وغلبته؟»[١].

ويورد علي بن ربن الطبري ما كان يسمعه من عم له نصراني في ردّ إعجاز القرآن وما فيه من الأحكام والبيان والإتقان ويرد عليه فيقول: «ومن آيات النبي ﷺ هذا القرآن، وإنما صار آيةً لمعانٍ لم أرَ أحدًا من مؤلفي الكتب في هذا الفن فسرّها بل أطلق القول والدعوىٰ فيه، ومازلت وأنا نصراني أقول ويقول عمٌ لي كان من علماء القوم وبلغائهم حتى إذا اعتزلت التقليد والإلف، وفارقت اتباع العادة والتربية، وتدبرت معاني القرآن علمت أن الأمر فيه كما قال أهله، وذلك أني لم أجد لأحدٍ عربي ولا عجمي ولا هندي ولا رومي كتابًا جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله عزوجل والتصديق بالأنبياء والرسل، والحث على الصالحات الباقيات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في الجنة والترهيب من النار، مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا.

فمن جاءنا بكتابٍ هذه نسبتهُ ولغته، وله من القلوب هذا المحل والجلالة والحلاوة، ومعه هذا النصر واليمن والغلبة، وكان صاحبه الذي نزل عليه أميًا لم يعرف كتابة ولا بلاغةً قط، فهو من آيات النبوة لا شك فيه ولا مرية»[٢].

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٤٢، ٤٣).

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمدٍ ﷺ (٩٨، ٩٩).

كل ذلك يوضح اهتمام علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ بإيراد معجزة القرآن الكريم ـ كلام الله تعالىٰ ـ التي جاء بها محمدٌ ﷺ وتحدىٰ بها أهل الفصاحة والبلاغة والبيان فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

رابعًا: المعجزات الحسية والمعنوية التي ظهرت لمحمدٍ ﷺ ودينه وأصحابه:

يذكر علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولى نوعًا آخر من آيات النبي محمدٍ ﷺ، وهو غلبته وقهره الأعداء على ما كان عليه ﷺ من قلة وضعف، مع كثرة أعدائه وقوتهم، فغلبته إياهم على هذا الحال دليل من أقوىٰ الأدلة على نبوته ﷺ.

وقد أبدع في إبراز ذلك علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ حيث فاق غيره من العلماء في ذلك، فيقول: «ومن آيات النبي ﷺ هذه الغلبة التي احتج بها المسلمون كافة، وقد كنت أقول فيها مثل الذي قال غيري من النصارىٰ، إن الغلبة أمرٌ مشترك في الأمم وما كان مشتركًا فليس بآية من آيات النبوة، حتىٰ إذا أفقت من سكرة التيه، وانتبهت من سنة الحيرة، وانجالت عني فتنة التقليد، علمت أن ذلك ليس كما قالوا،

= وينظر في هذا الموضوع «إعجاز القرآن الكريم ومقارنته بالكتب الأخرىٰ»، كتاب القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» لـ«موريس بوكاي» ص (١١٧ ـ ٢٠٥)، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

وذلك أنه ﷺ خرج وحيدًا فريدًا يتيمًا عائلاً كما قال الله عزوجل: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝﴾[١]، فدعا العرب قاطبةً والأمم عامة إلى الإيمان بالله عزوجل، والناس يرمونه عن قوس واحدة ويزدرون به ويتشاوشون له فما نهنهه[٢] ذلك ولا فلّه[٣]؛ بل باح بالدين ولم ينكفت[٤] ومضىٰ قدمًا لما أمره الله، ولم يلتفت، فلما رآهم ينبذون أمره وينهونه ولا يدخلون في دين الله ونعمته طوعًا أدخلهم فيه كرهًا، حتىٰ ظهرت الدعوة ودانت العرب قاطبة، وتتابعت فيهم الآيات والنبوات، واحلولىٰ لهم الدين، وسطع اليقين، فبلغ من حبهم له بعد البغيضة وانقيادهم بعد العداوة ما قد يرون ويسمعون.

فمن ادعىٰ غلبة كانت باسم الله منذ خلق الله الدنيا لها من الشرائط والمحاسن والدعاء إلى خالق السّماء والأرض والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة والنهيَ عن الشركاء والأنداد، والفواحش والنجاسات ثم ظهرت هذا الظهور والاستعلاء في أقطار الدنيا وآفاقها وبرّها وبحرها من لدن

---

(١) سورة الضحىٰ، الآية: ٦ ـ ٧.

(٢) نهنهه عن الأمر فتنهنه، كفه وزجره فكف. القاموس المحيط ص (١٦١٩) باب «الهاء» فصل «النون».

(٣) فلّه: أي هزمه. القاموس المحيط ص (١٣٤٩). باب «اللام» فصل «الهاء».

(٤) كفته بكفته: صرفه عن وجهه فانكفت. القاموس المحيط. ص (٢٠٣) باب «التاء» فصل «الكاف».

السوس[١] الأقصىٰ إلى فيافي الترك والتبت[٢] بأسباب ذلك، أعلم علم اليقين أن تلك الغلبة تقوم مقام آيات النبوات لا محالة»[٣].

ويرد بعد ذلك على من يقول: بأن هذه الغلبة وهذا التمكين للرسول محمدٍ ﷺ ليس من آيات نبوته، لأنها مشتركة بينه وبين غيره، ولأن هذه الغلبة أيضًا موافقة لغيره، فيقول: «فأما ما عارضونا به من غلبات الأمم فإنهم إذا فارقوا الأهواء التي تعمي وتصم وميزوا العلل، علموا أن غلبة الاسكندر[٤] وغيره لم تكن في الله ولا الدعاء إلى الله أو إلى دعوة أنبياء الله، بل لطلب العز والغلبة والسمعة، وهؤلاء هم من بين دهري أو ثنوي[٥]، فهذه لا تقاس بغلبة الإسلام وجلالته وإشراقه. ولهذه الغلبة بيّنه أخرىٰ كافية شافيه وهي:

---

(١) هي: كورة مدينتها طرقله بينها وبين الأدنىٰ مسيرة شهرين. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٢) تُبَت: بالضم بلد بأرض الترك، وقيل هي في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند. انظر: معجم البلدان (٢/ ١١ ـ ١٣).

(٣) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (١٠٨ـ ١١٠).

(٤) الاسكندر الكبير (٣٥٦ـ ٣٢٣ ق.م) ولد في مقدونيا، تعلم على أرسطو، خلف أباه في الحكم، وعزم على فتح امبراطورية الفرس فانتصر عليهم في عدة مواقع، وهو الذي أسس مدينة الاسكندرية (٣٢٣ ق.م)، مات في بابل. انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص (٤٢، ٤٣).

(٥) سبق التعريف بهما.

أنها لن تخلوا أن تكون من الله أو من الشيطان، فإن أقروا أنها من الله فالإسلام إذًا حق يجب عليهم قبوله والدخول فيه، وإن زعموا أنها من الشيطان، فالشيطان إذًا موافق لله وأنبيائه غير مخالف ومطيع غير عاص، إذا كان يدعو إلى الله الفرد الدائم، ويظهر دين من أمر بالصوم والصلاة وينهىٰ عن الفجور والكفر والفحشاء والمنكر، ومن جعل تكبير الله وتمجيده شعاره في اللقاء ومقدّمته عند الزحاف، وجنته عند المداعسة والجلاد.

وإن من ظن بالشيطان أنه يعين على إظهار مثل هذا الدين وتأييده فقد أحسن الظن وقال فيه الجميل، وكذب ما قال الله وأنبياؤه فيه، كيف يعين الشيطان من دعا إلى مثل هذا الدين وفيه انجثاث أصله وانبتات أسبابه، وإبادة جميع عبدته ودعاته، فإن كان الشيطان ينصر من يلعنه وينذر الناس شرّه لم نأمن أن يكون جميع ما ظهر من الأديان باسم الله الفرد الواحد هو موافق للشيطان ومن عنده، وقد أجمعت الأمم كلها على أن الشيطان إنما يأمر بالشرك بالله والأوثان والنيران، ويزيّن الزنا والفجور والغدر، وفيه محبته ووسوسته، وأنه عدو لله وعدو لأنبيائه الذين يأمرون بخلاف ذلك كله، فالله إذًا بريء من حزب الشيطان، والشيطان بريء من حزب الله وأوليائه، وهذه الغلبة من الله لا غيره»[1].

---

(١) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ص (١١٠ـ ١١٣).

يضيف أبوعبيدة الخزرجي استدلالاً آخر على إثبات نبوة النبي محمدﷺ بما ثبت عنه من الأمور المشاهدة والمحسوسة ممن عاصره عليه الصلاة والسلام إذ أن هذه الأمور المحسوسة والمشاهده لا تكون إلا من نبي مرسلٍ ومؤيد بالوحي من الله تعالى، فيقول: «فقد جبله الله تعالى ـ أي محمدًا ﷺ ـ على الخُلق العظيم، والزهد في الدنيا، والعلم، والحكمة، والبيان، والصفح، والوقار، ولين الجانب، والرأفة والرحمة، والتواضع لله، والصبر والجود.

ومات ودرعه مرهونة عند يهودي فيما أكل أهله[1].

وكان بعد ما ملكه الله رقاب عباده، وطوع له في الأرض من في الأرض، وأخضع له الملوك مما هو مشهور، كان يجلس على الأرض ويأكل عليها، ولم يشيد قصرًا، ولا غرس نخلاً»[2].

ويقول علي بن ربن الطبري: «فما عسىٰ يقول المخالفون في ذلك، وما عسىٰ يسوغ لهم من الرد والحجة، وقد تمت وانتشرت دعوته شرقًا وغربًا؟

وإن غمط ذلك غامط ولم يكتفِ به وصمّمه في ردّه وتكذيبه لم يوبق إلا نفسه ولم يُسخط إلا ربه، ولم يُغيِّر إلا

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦/ ٧٠)، وصحيح مسلم (٦/ ٣٧٠).
(٢) مقامع هامات الصلبان (١٩٠، ١٩١).

حظه»[١].

ويأتي القاضي عبدالجبار ليورد أمرًا حسيًا آخر على صدق نبوته ﷺ، مقارنةً بنبي الله موسىٰ ونبي الله عيسىٰ عليهما السلام فيقول: «ولقد جاء محمدٌ ﷺ إلى قومه مجيئًا ما جاء نبي قبله في مثل حاله، فإن موسىٰ عليه السلام أتىٰ قومه من بني إسرائيل وهم أولاد الأنبياء قد اعتقدوا الربوبية وعرفوا الطريق إليها، واعتقدوا النبوة وعرفوا الأنبياء قبل موسىٰ، آدم ونوح ثم إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط، وألِفوا في أيدي الجبابرة من القبط والفراعنة...، فجاءهم موسىٰ بما يعتقدون من الربوبية والنبوة، ثم أخرجهم من الذل إلى العز، ومن الشقاء إلى الرفاهية الدّعة، ومن الفقر إلى الغنىٰ، ثم جاءهم مَنْ بعد موسىٰ الأنبياء بما جاءهم به موسىٰ إلى أن انتهت النبوة إلى المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام، فأتىٰ بني إسرائيل بسنن موسىٰ وشرائع التوراة، فقدم «عيسىٰ» هو والأنبياء على أمرٍ ممهدٍ مألوف معروف، وعلى قومٍ قد ألِفوا وعرفوا.

وجاء محمدٌ ﷺ قومًا لا يعرفون الربوبية، ويعبدون الأصنام، وينكرون البعث والمعاد أشد الإنكار، لا يعرفون نبوة ولا طهارة ولا صلاة ولا صيامًا ولا زكاة، أشد الناس قوة وجبروت وأَنَفَه، قساةً جفاةً، معاشهم من شن الغارات،

(١) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (٨٢).

يسفكون دماءهم، ويئدون ذريتهم من العار.

ودعاهم ﷺ إلى الربوبية وإلى الإقرار بالبعث والنبوة والقيامة، وإلى أنواع المعروف وترك جميع أنواع المنكر، وأَخَذَهم بالبراءة من آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ومن آبائهم ومن أديانهم، فأخذَهَم بكل شِدَّة، وأخرجهم من الراحة إلى الكدّ، ومن المسالمة إلى العداوة، وألزمهم مالم يكونوا ألِفوا ولا عهدوا، فأجابوه بهذه الشرائط.

فكان مجيئه على الوجوه التي قدمنا ذكرها من آياته ودلائل نبوته ﷺ»[1].

ويضيف القاضي عبدالجبار أمرًا آخر يُعدّ من المعجزات الحسية الملموسة وهي: جمع الناس من كل جنسٍ وقطر حوله ﷺ يعلق على ذلك فيقول: «ولو قال قائل: إنه ﷺ ما جمع هؤلاء إلا بعقلٍ وافرٍ وحلمٍ واسعٍ، وبلطفٍ في التدبير وحسن تأنٍّ وعلمٍ بالعواقب وسَعةٍ في الفطن، فنقول: هذا لا يبلغه عاقلٌ بعقله، ولو كان أتم الناس عقلاً وأوسعهم علمًا وحلمًا، وأكثرهم مالاً، ولا يكون هذا مع شرائطه عليهم، إلا بتدبير الله عزوجل الذي يملك العقول ويقلّب القلوب، وبوحيٍ منه عزوجل.

فإن زعم الأعداء أن الذي تم له كان مع قلّة العقل وبالعجز فيه والخبط، فقد خرجوا من كل معقول، وتبرؤوا

---

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ٨ـ ١٠).

من كل تمييز ومحصول»[1].

بكل هذه الأدلة العقلية المحسوسة والمشاهدة يثبت علماء القرون الستة الهجرية ـ رحمهم أجمعين ـ صدق نبوة النبي محمد ﷺ.

وأرىٰ في نهاية هذا المبحث أن أنقل كلامًا جميلاً لأبي الوليد الباجي ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «وإن الله بلطفه وحكمته ونعمته بعث محمدًا ﷺ فختم به الرسالة وأكمل به النبوة، وجعله آخر المرسلين وبعثه إلى جميع العاملين، ففضله بهذه الدرجات الرفيعة، وأبقىٰ شريعته إلى يوم الدين وأكرمه بهذه المنة العظيمة، بعثه على حين فترةٍ من الرسل، ودروسٍ من السبل، وجهلٍ بالشرائع، وبُعدٍ عن معرفة الأديان والمذاهب، وقد دخل جميعها التبديل والتغيير.

وقد خالفت اليهود وسائر الملل عيسىٰ بن مريم عليه السلام، وردّت ما جاء به وأنكرت ما دعا إليه، واختلفت النصارىٰ بعده على فرقٍ كلها قد ضلت عن السبيل المستقيم، والمنهج القويم، وأظهرت من الجهالات ما تحيله العقول، وعبدت المجوس نيرانها، والثنوية نورها وظلامها، والعرب أصنامها وأوثانها، وادّعوا لله الصاحبة والأولاد، وجعلوا له الأشراك والأنداد، فابتعثه الله من خير الأمم وهم بنو إسماعيل عليه السلام.

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٣).

ثم من خير بني إسماعيل وهم قريش قطب العرب وأفصحها ألسنًا، وأخلصها عضدًا، وأرجحها في معالي الدنيا عقولاً، وأثقبها أفهامًا، وأتمّها دهاءً، وأكرمها إطلاقًا، وأجودها أكفًا، وأطيبها أعراقًا، فقام منفردًا فيهم يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان.

فخالفه في ذلك القريب والبعيد، والعدو والصديق، فأتاهم بالآيات المعجزات التي لا يصح فيها تمويهٌ ولا تلبيس ولا تخييل ولا تحريف، ليت لو شئنا أن نتتبعها لعظم بذلك الكتاب وخرجنا عما قصدناه من الاختصار، وقد تتابع ذلك في مقامات جمّه بمعاينة جميع الأمة، وقد علم أن مثل هذا لا يخفىٰ لمن تناوله، وإن رام ستره وكتمانه»[1].

هذا ما ذكره علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ من الفروق بين غلبة النبي محمد ﷺ وغلبة غيره الذين تكون غلبتهم لأغراض دنيوية، إضافة إلى بعض المميزات الأخرىٰ التي هيأها الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام، ولم تجتمع إلا له عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) رسالة أبي الوليد إلى راهب فرنسا (٨٠، ٨١).

المبحث الثالث

في رد دعوى النصارى: «انتشار الإسلام بالسيف»

يزعم النصارى أن الدين الإسلامي انتشر بحد السيف، فكلُّه غزوات؛ غزوة بدر، وأحد، والأحزاب. .، وغيرها، بينما انتشر الدين النصراني، بالسلام والمحبة، بعيدًا عن العنف والقتال، كما يزعمون أنه ليس في الإنجيل ما يدل على استخدام السيف أو الأمر باستخدامه، ولذلك فإن المسلمين متهمين بأنهم أصحاب سيف وعنف وقتل(١).

ولقد حرص علماء المسلمين في القرون الستة الهجرية الأولى، وكعادتهم على رد هذه الشبهة حيث بينوا أن النصارى إنما اتهموا الإسلام بما هو حالُهم ووضعهم في نشر دينهم، فرموا الإسلام بهذه التهمة الباطلة، المنطبقة تمامًا عليهم في نشر نصرانيتهم، يقول ابن حزمٍ ـ رحمه الله ـ مبينًا ذلك: «إن أول من تنصَّر من الملوك «قسطنطين» بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام، فوالله ما قدر على إظهار

---

(١) انظر: كتاب «موسوعة الأديان السماوية والوضعية، الديانة المسيحية ص١٢٢، ١٢٤، تأليف: المسيحية نهى نجار، ففيه إلماحة إلى ذلك، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

النصرانية حتى رحل عن «رومه»[١] مسيرة شهر، وبنى البيزنطة ـ وهي القسطنطينية، ثم أجبر الناس على النصرانية بالسيف والعطاء، وكان من عهوده المحفوظة ألاَّ يولى ولاية إلاَّ من تنصَّر، والناس سُرَّاعٌ إلى الدنيا، نافرون عن الأذى»[٢].

وأضاف أبوعبيدة الخزرجي رحمه الله في معرض رده على القسيس النصراني، حول قوله: إن دين الإسلام فشا بالسيف والقهر، ودين الصليب لم ينتشر بسيف ولا قهر: «فكأنك «القسيس» قد غفلت عما كتبه فورخوكم وغيرهم من ابتداء دينكم، إنما كان بأسباب القتال مع اليهود، وكنتم تحرقونهم بالنيران، وتغرقونهم في البحار، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان[٣]، ولولا ذلك لم يبق لكم اليهود أثرًا، فإن الدولة كانت لهم، قد قتلوا إلهكم على زعمكم،

---

(١) رومه: قال ياقوت الحموي: «هي مدينة «رومانس» بالرومية، فعرب هذا الاسم خمي من كان بها روميًا، وهي شمالي وغربي القسطنطينية، بينهما مسيرة خمسين يومًا أو أكثر، وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجة، وهو لهم بمنزلة الإمام متىٰ خالفه أحدٌ منهم كان عندهم عاصيًا مخطئًا يستحق النفي والطرد والقتل...». انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ١٠٠).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٢٨).

(٣) ينظر لذلك: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تأليف: البطريرك أفتيشيوس، المكنىٰ بسعيد بن البطريق كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية ص(١١٠-١٢١)، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٥م بيروت.

ولم يترك بعده أكثر من اثني عشر حواريًّا، وسبعين مبشرًا هاربين خائفين، ولو ظهر منهم واحد لقتل شرّ قتلة، فلو التزمتم ما أوجبته عليكم شريعتكم بالمسالمة، لما قامت لكم قائمة، وما بقي منكم باقية، ولكنكم أقمتم دينكم برفض معامله ونصرتموه بمحو آثاره والتزمتم القتل والقتال، وعصيتم في الأول، وما زلتم إلى الآن على خلاف ما أمركم به إنجيلكم تعملون»[1].

يضيف أبوعبيدة إلى ذلك بيان مخالفة النصارى للإنجيل بكلامٍ أكثر جنوحًا وصراحةً فيقول: «أما إن كنت «القسيس» تريد بذلك انتقادك أنت والإسلام بالسيف إظهار محاسن حالة الصلح التي أمركم بها الإنجيل، على حالة الجهاد التي أمر بها سيد النبيين، فإنك قد ظلمت ولم تدر، وكفرت ولم تعلم، ها هو ذا إنجيلكم بين أيديكم ناطقٌ مصرّحٌ كما قلت بالمسالمة، والتزام التواضع والمذلة: «لا تقاوموا الشرّ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضًا»[2].

وأن تبعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة: «ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا، ومن سخرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين، ومن سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده باركوا أعينكم،

---

(١) مقامع هامات الصلبان (٢٨٥).

(٢) إنجيل متى (٥/ ٣٩).

أحسنوا إلى مبغضيكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»[١]، ومع ذلك كله فإنا نراكم أشد الناس تكالبًا وحرصًا على القتل والقتال، وبسط الأيدي بالاعتصاف في أقطار الأرض، تقتلون النفوس، وتسلبون الأموال، وتعتقدون أن ذلك من أوثق أسباب السعادات، وأعظم المقرّبات إلى الله تعالى، ومع تحريم ذلك إنجيلكم عليكم، وإيجابه الاستسلام لأعدائكم، ومن استحل حرمات الله تعالى فهو أشد الناس كفرًا بالله وكتبه وأحكامه»[٢].

وبيّن القاضي عبدالجبار ـ رحمه الله ـ تناقض النصارى في مسألة ذمهم وعيبهم انتشار الإسلام بالسيف فيقول: «ونراكم تدّعون للمسيح الرأفة والرحمة، وتنزيهه عن فعل الألم والشدائد والمضارّ والهموم، مع ادعائكم أن الفاعل لذلك كله وما يجري في الكون هو المسيح، فما سمع بقوم هم أجهل وأوقح وأبهت من النصارى، إذ هذا قولهم، وهم يعيبون حمل محمد ﷺ السيف على من كفر بالله وعبد الأوثان والكواكب والنيران من دون الله»[٣].

ويوضح عبدالجبار أيضًا أن النصارى إنما عابوا محمدًا ﷺ بهذه الصفة مع اتخاذه الزوجات لأنهم لم يجدوا ما يعيبوه

(١) إنجيل متى (٥/ ٤٠ـ٤٤).

(٢) مقامع هامات الصلبان (٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) تثبيت دلائل نبوة محمد ﷺ (١/ ١٨٩).

به، فقال: «ويدّعون الزهد والنهي عن حمل السيف، فهم يخدعون الناس بذلك، ولكنهم لم يجدوا في رسول الله ﷺ مغمزًا فعابوه بحمل السيف واتخاذ الزوجات، وهم يعيبون هذا منه ﷺ ويدّعون أن الله قد اتخذ مريم أمًّا لولده، واتخذ الولد لنفسه وإن لم يسموا مريم زوجة»(١).

ثم يوضح أبوعبيدة أن مجيئه ﷺ بالسيف إنما هو من بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ وأن ذلك من أوصافه، وهذا مما ذكره وبشر به التوراة والإنجيل فيقول: «وبشارات الأنبياء في كتبهم تنطق أن سيد الأنبياء محمدًا ﷺ يأتي بالسيف في جملة أوصافهم له، وقد ذكروا من ذلك ما يأتي ذكره، حتى أن أشيعاء أخبر عن هزيمة العرب، وقتل أشرافهم في بدرٍ وغيرها فقال: «يدوسون الأمم كدوس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون من أيدٍ بها سيوفٌ مسلولة، وقسّى موتورة من شدة الملحمة»(٢).

وكذلك قال المسيح لتلاميذه: «حين أرسلتكم بلا كيسٍ ولا مزود، ولا أحذية، هل أعوزكم شيء؟ فقالوا: لا، فقال لهم: لكن الآن من له كيسٌ فليأخذه ومزودٌ كذلك، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفًا»(٣).

---

(١) تثبيت دلائل النبوة(١/ ١٩٠).

(٢) بشارة أشعياء (٢١/ ١ـ٤، ٤١/ ١ـ٤).

(٣) إنجيل لوقا: ٢٢/ ٣٥ـ٣٦).

فأمرهم بشراء السيوف بعد أن كان قد نهاهم عن القتال لعلمه أن محمدًا ﷺ سيبعث بعده بالسيف، ومثل ذلك من ذكر السيف في مواضع كثيرة[١]»[٢].

فتبين من خلال ذلك أن محمدًا ﷺ لم يختص بالسيف مع مخالفيه وأعدائه بل هذا حال كثير من الأنبياء قبله ﷺ، يقول أبوعبيدة أيضًا: «فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام، فإنك عبت موسى بن عمران، ويوشع بن نون ومن قبلهما ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم، وقاتلوا الأعداء كما هو مكتوب في سائر الكتب لديكم، وكما هو الحال في قتال داود عليه السلام مع جالوت، وسليمان عليه السلام مع طوائف الكفر، ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم.

وإذا كان القتال سنة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنة سالكون، وبها عاملون، فيكون من مناقبنا لا من مثالبنا، ومن حسناتنا لا من سيئاتنا،

---

(١) منها ما جاء في إنجيل متى: «ما جئت لألقي سلامًا على الأرض بل سيفًا، جئت لأفرق بين المرء وأبيه، والأم وابنتها، وأعداء المرء أهل بيته» متى (١٠/ ١ـ٥).
ومنها ما جاء في إنجيل لوقا أيضًا من تحريض المسيح على قتل أعدائه كما وصفه الإنجيل بهذا بقوله: «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي» (١٩: ٢٧). وانظر لذلك: حوار مع أهل الكتاب، الجزء الأول لمحمد أبوالوفاء ص(١٢ـ١٧) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مطابع الأرز.

(٢) مقامع هامات الصلبان ص(٢٩٠).

ومن هنا تعلم أن تعييبك لنا، قد انعكس عليك، فيا ليتك لم تقله»[١]، يضيف الماوردي رحمه الله ردًا على هذه التهمة وهذه الشبهة بثلاثة أجوبة، فيقول: «أحدها أن الله تعالى بعث إلى كل نبي بحسب زمانه، فمنهم من بعثه بالسيف لأن السيف أنجع، ومنهم من بعثه باللطف لأن اللطف أنفع، كما خالف بين معجزاتهم بحسب أزمانهم، فبعث موسىٰ بالعصا في زمان السحر، وبعث عيسىٰ بإحياء الموتىٰ في زمان الطب، وبعث محمدًا بالقرآن في زمان القصاصة، لأن الناس في بدء أمرهم يتعاطفون مع القلة ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة»[٢].

ثم يضيف رحمه الله جوابًا ثانيًا بقوله: «أن السيف إذا كان لطلب الحق كان خيرًا، واللطف إذا كان مع إقرار الباطل كان شرًا، لأن الشرع موضوع لإقرار الفضائل الإلهية، والحقوق الدينية، ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير وينتفي به الشر، لأن النفوس الأشرة لا يكفّها إلا الرهبة فكان القهر أبلغ من انقيادها من الرغبة، وكانت العرب أكثر الناس شرًا وعتوًا لكثرة عددهم، وقوة شجاعتهم، فلذلك كان السيف فيهم أنفع من اللطف»[٣].

---

(١) مقامع هامات الصلبان ص(٢٨٦).

(٢) أعلام النبوة للماوردي (١٨٢).

(٣) المرجع السابق (١٨٢).

ثم يتبع ذلك رحمه الله بجواب ثالثٍ يؤكد فيه ما قاله غير واحدٍ من علماء القرون الستة حيث يقول: «أنه لم يكن ﷺ في جهاده بالسيف بدعًا من الرسل ولا أول من أثخن في أعداء الله تعالى... ومحمد ﷺ بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الإباء»(١).

وبعد أن بيَّن علماء الإسلام أن دعوى انتشار الإسلام بالسيف إنما هو دعوى منطبقة في الواقع عليهم، وهي تهمة أنشأها النصارى وأساقفتهم كرهًا وبغضًا لدين الإسلام(٢).

ـ بعد ذلك ـ أوضح علماء المسلمين في القرون الستة الهجرية الأولى أن هذا الادعاء وأن هذا المسلك ـ انتشار الإسلام بالقوة ـ لم يكن هو سبب انتشار الإسلام، فمحمد ﷺ لم يكن ملكًا ولا صاحب مال ليكره الناس على الإيمان بما

---

(١) المرجع السابق (١٨٢).

(٢) انظر: كلام المستشرقة الألمانية (وهي من المستشرقين النصارى المنصفين) زيجريد هونكة حيث تقول: «إن الإسلام انتشر بالإقناع والمحبة والعقل، وأن النصارى هم الذين نشروا هذه الدعوى حسدًا وحنقًا على الإسلام وأهله، وتحسرًا على شبابهم الذين أعجبوا بروعة الإسلام وسموّه وأدبه وترغيبه في العلم، كما وضح ذلك أسقف قرطبة «ألفارو» الذي راح يجأر بشكواه بكلمات تصور بلواه...» وكذلك شهادة الفارس الفرنسي الشهير «فولشير الشارقي»... ثم ننقل في مقابل ذلك ما فعل النصارى بالمسلمين في غرناطة والحمراء من قتل وحرق علني لكل من اعتنق الإسلام في احتفالات رسمية وطقوس وشعائر دينية» كتاب «الله ليس كذلك» ديجريد هونكه ص(٤١، ٤٢)، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، دار الشروق.

جاء به ﷺ يقول القاضي عبدالجبار في بيان ذلك: «فإن قيل: أوليس مع ادعائه النبوة قد حمل السيف وحارب بمن أطاعه من عصاه؟ فما تنكرون أن يكون الذي تم له من أوله إلى آخره إنما تم بالسيف والمكابرة لا بالآيات والمعجزات؟

قيل له: ما أنكرنا أنه حمل السيف، وإنما كلامنا في الذين صاروا سيوفًا له وعساكر، وبهم استطال على عدوّه، فإن هؤلاء قد أجابوه بلا دنيا ولا سيف، وبمصيرهم إلى طاعته صحت نبوته فظهرت دلائل رسالته لأنه ما خلق قومًا حملوا السلاح معه وإنما أجابه المهاجرون والأنصار الذين هم من قريش وغيرهم من العرب، وقد أتاهم بإكفارهم وإكفار آبائهم، وبه من الوحدة والفقر ما هو معروف مشهود حتى آمن به الكثيرون، فنصره الله تعالى وأيّده دون حاجة لحمل السيف»[(١)].

ويضيف قائلاً قوله: «وكم قد أسلم وأجاب من قبائل العرب على هذه السبيل (أي دون قتال وإكراه)، وكم أسلم من أهل اليمن من العرب، ومن العجم والأنباط بصنعاء.

فالذين أجابوه ﷺ بهذه الشرائط وبلا حرب خلقٌ كثير، وأممٌ عظيمة، هي مذكورة يعرفها أهل العلم، ومن أراد أن يعرف ذلك حتى يصير في مثل حالهم قدر على ذلك ووجد السبيل إليه، فهؤلاء الذين أسلموا لله وتقربًا إلى الله،

---

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٩ـ٢١) بتصرف.

فأصحاب محمد ﷺ أسلموا من خوف الله، وأسلم الناس من خوف أسيافهم، فهؤلاء الذين أجابوا بلا حرب وقبل الحرب هو موضع دلالتنا على عدم انتشار الإسلام بالسيف[1].

ويؤكد ذلك ابن حزم رحمه الله بقوله: «وأما محمد ﷺ فلا يختلف أحدٌ في شرق الأرض وغربها في أنه عليه الصلاة والسلام أتى إلى قوم لقاح لا يقرّون بملك، ولا يطيعون لأحد، ولا يناقدون لرئيس، نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم منذ ألوف من الأعوام، قد سرىٰ الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والأنفة في طباعهم طباع السباع، وهم ألوف الألوف قبائلك وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبدًا، فدعاهم بلا مال ولا أتباع (قوة)، وأجرى عليهم الأحكام من القتل والقطع والضرب بالسوط، والرجم، فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعًا بلا طمعٍ ولا غلبةٍ، ولا خوفٍ.

فصح ضرورةً أنهم إنما آمنوا به طوعًا لا كرهًا، وتبدلت طبائعهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل، ومن الجهل إلى العلم، ومن العسف والقسوة إلى العدل العظيم الذي لم يبلغه أكابر الفلاسفة، فغدوا إخوانًا متحابين دون خوفٍ يجمعهم ودون طمعٍ في مالٍ أو رياسة.

وقد علم الناس كذلك كيف كانت سيرة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وكيف كانت طاعة العرب لهما، بلا رزقٍ

(١) المصدر السابق (١/ ٢٣ـ٢٥).

ولا عطاء ولا غلبة، فهل هذا إلاَّ بغلبة من الله تعالى على نفوسهم، وقسره تعالى بطباعهم، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[(١)]»[(٢)].

ويضيف نصر بن يحيى المتطبب مثل كلام سابقيه، حيث يؤكد أن محمدًا ﷺ إنما جاء وهو في حال ضعفٍ وقلة، فكيف جاء بالسيف كما يزعم النصارى فيقول: «وأما قولكم أن محمدًا ﷺ جاء بالسيف دون الحجة والمعجزة، فهذا قول من لم يعرف الأخبار والسير، ولم يقف على ما تقدم من الآثار فالنبي ﷺ كان يتيمًا فقيرًا إلى أن أكرمه الله عز وجل بالرسالة، فدعا الناس إلى الله تعالى ثلاثة عشر عامًا، وهو في أول أمره كان وحده، ثم في قلة من أصحابه، يسعى بين أحياء العرب ويقول: قولوا لا إله إلاَّ الله محمدًا رسول الله تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم[(٣)]، فمنهم من يسخر به ومنهم من لا يلتفت إليه، ومنهم من يمسك عنه.

حتى أظهر الله الإسلام وقوي أمره، وهاجر إلى

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٥/ ٢٣٠-٢٣١).

(٣) أورده الطبري في تفسيره (٧/ ٣١٠)، دار الفكر، بيروت (١٤٠٥).

قال ابن كثير: رواه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن السّدّي عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ﴾ (٢/ ١٦٥)، تفسير ابن كثير، دار الفكر العربي، بيروت (١٤٠١)، وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٠٢- ٢١٦)، دار صادر، بيروت.

المدينة، ثم بدأ ﷺ القتال بعد ظهور المعجزة وقيام الحجة ووضوح الدلالة، وما شهر سيفًا إلاَّ بعد الإنذار والإعذار، فمن خالفه بعد ذلك وعانده قوتل حتى ظهر أمر الله وهم كارهون»[(١)].

ويؤكد علي بن ربن الطبري كما فعل غيره من علماء المسلمين أن هذا السبيل (القتال والجهاد) هو سبيل الأنبياء قبل محمد ﷺ وليس فيه ما يُعاب عليه ﷺ، فيقول: «فالنبي ﷺ أمر بالدعاء إلى الله الواحد القهار بالترغيب والترهيب ليكون الدين واحدًا والمعبود واحدًا، فمن أجاب كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومن لم يُجب إلى ذلك وأعطى الجزية عن يد ظاهرًا حقن بها دمه، ووجبت له الذمة بالطاعة[(٢)]، وكان في ذلك رياضةٌ للكفرة لطيفة، وتذليل لنخوتهم وخيلائهم وداعية لأهل الأنفة والحمية منهم إلى الانتقال من لؤم الذل والذمة إلى شرف العز والحرية، فإن أبوا ذلك أيضًا كانت الحرب من ورائهم.

---

(١) النصيحة الإيمانية (١٤١، ١٤٢).

(٢) «لا كما فعله النصارى، حيث اعتبرت الكنيسة الإسلام منافسًا خطيرًا لها، وأضفت قداسة دينية على الفرسان الصليبيين بأنهم نبلاء عظماء وينبغي أن يحظوا بوافر جزاء السماء في تألق وبهاء، وصورت المسلمين في المقابل أنهم لا يستحقون سوى القتل وأن يخروا غارقين في دمائهم تطأ أشلاءهم الأقدام وطئًا. كما تعقبت النصرانية في الأندلس كل من يتخذ سوى الكاثوليكية دينًا...» انظر: الله ليس كذلك د. زيجريد هونكه ص(٤٤، ٤٥).

وكما أن من فعل ذلك من الأنبياء ليس بمأزور بل على سبيل مغفرة ورضوان، فكذلك ما أمر الله به محمدًا ﷺ من مجاهدة المشركين وشنَّ الغارات على الكافرين فلولا الجهاد لما قام دين، ولا أُمن حريم، ولا سُدّ ثغر، ولصار المسلمون نفلاً وخولاً لغيرهم، وقلّ ما تلبث الناس على ملة هذا حال أهلها ـ حتى ينتقلوا إلى ما هو أعز وأوسع منها»[١].

ومثله تقريبًا عند القاضي عبدالجبار[٢].

ويقول أبوعبيدة: «وأما نحن فكتابنا قد أوجب علينا القتال، فامتثلنا أمر خالقنا جل شأنه فكنا أولياءه ناصرين لدينه قائمين بحقه في أرضه على خلقه لا ندعوا إلى عبادة الرجال ولا ربَّات الجمال، ولا نعبد من أشبعته اليهود على زعمكم انطوع العذاب، فأين السماء من الوهدان[٣]؟ وأين الدخان من العسجد[٤]؟ لقد أشرق الحق في ديننا كما غاب عنكم إلى الموعد»[٥].

---

(١) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي ﷺ (١٩٧، ١٩٨).

(٢) في تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٨٢؛ ١٨٨).

(٣) جمع أوهدة: وهي المطئمن من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة، والوهد يكون اسمًا للحفرة، والجمع أوهد ووهد ووهاد، ووهدان. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٧٠ـ ٤٧١) (مادة وهد).

(٤) العسجد: الذهب؛ وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/ ٢٩٠).

(٥) مقامع هامات الصلبان (٢٨٧).

ويبين أبوعبيدة الخزرجي رحمه الله أن إيمان الصحابة بالنبي ﷺ لم يكن بالقوة والقهر، ولو كان كذلك لما فدىٰ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ رسول الله ﷺ بأرواحهم وأنفسهم حيث يقول: «وكان سيد النبيين محمدٌ ﷺ حين خلص المشركون إليه في يوم أحد، أراد أحد المشركين ضربه بالرمح فجاء أحد أصحابه فأدخل جسمه بين سنان الرمح وبينه ﷺ فمات رضي الله عنه، واستمر الأعداء يرسلون إليه سهامهم، وسماك بن خرشة[1] أغنىٰ عليه يقي جسمه الكريم من السهام بجسمه، واندفع بعض الصحابة يشرب دمه الذي سالِ منه ﷺ[2] كل ذلك تعظيمًا له وإيمانًا به وشفقة عليه. لا كما كتبتم في الإنجيل: «أن أصحاب المسيح حين أحيط به ـ كظنكم ـ جزعوا فتفرقوا عنه، وأن بطرس الذي كان قد حلف ألا ينكره، أنكره قبل صراخ الديك ثلاثًا، وحلف أنه ما يعرفه»[3] وهو الذي كان المسيح قال له بزعمكم: «ما حللت

---

(١) سماك بن خرشه: بن لوذان بن عبدود بن زيد الساعدي، أبودجانة الأنصاري، كان يوم أحد عليه عصابة خمراء، ثبت يوم أحد مع النبي ﷺ وبايعة حتىٰ الموت، وهو ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب ثم استشهد يومئذ. انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (١/ ٢٤٣ـ ٢٤٥).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وقال: «وفيه من لم أعرفه» مجمع الزوائد وشيع الفوائد (٦/ ١١٣).

(٣) انظر: متى ٢٦: ٦٩ـ٧٤، ووقس ٢٤: ٦٦ـ٧٣، ولوقا ٢٢: ٥٥ـ٦١، ويوحنا ١٨: ٢٥ـ٢٧.

في الأرض فهو محلول في السماء وما عقدت فيها فهو معقود في السماء»[١] زعمتم أنه أفرده بهذه المقالة، ثم قالها لسائر التلاميذ في جملتهم، ثم لم يكن إلاَّ قليل حتى هربوا عنه، وأسلموه لأعدائه كما زعمتم، وليس بصحيح ما زعمتم أن بطرس «استل في ذلك اليوم سيفًا وقطع به أذنًا»[٢] فما أبين ضلالكم وأهون على الله تعالى نكالكم»[٣].

ويرد القاضي عبدالجبار على تهمة أن الناس إنما اتبعوا محمدًا ﷺ من أجل الغنائم التي توزع بعد الحروب والغزوات، ويفنّد هذا الادعاء بكلام لا يكابر بعده إلا معاند. فيقول: «فإن قيل: أوليس قد أباحهم الغنائم، فما تنكرون أن تكون إجابتهم له لهذه العلة؟ قيل له: هذا لا يسأل عنه من يعقل ولا من يفكر؛ لأن القوم قد اعتقدوا صدقه ونبوته، فكانت إجابتهم له لهذا وعلى هذا تقربوا إلى الله عن رضًى بذلك، فمن ادعىٰ غير ذلك فقد أنكر المعلوم أو يكون لم يسمع الأخبار، فالصحابة إنما أجابوه على أن ينفقوا أموالهم ويسفكوا دماءهم ويقتلوا آباءهم وأبناءهم في طاعته ولأجله، فكيف يسوغ لعاقل فكر وتدبر أن يقول إنما أجابوه طلبًا للدنيا

---

(١) متى ١٦: ١٩.

(٢) متى ١٦: ٥١، ووقس ٢٤: ٤٧، ولوقا ٢٢: ٥٠، دون نسبة ذلك الفعل لبطرس. ويوحنا ١٨: ١٠ حيث نسبه إلى بطرس.

(٣) انظر: مقامع هامات الصلبان (٢٩٠، ٢٩١).

ورغبةً في الراحة والدعة والأمر بالضدّ من ذلك، ثم إن لم يكونوا تبعوه إلاَّ للغارة والغنائم لكانوا يقولون له: حاجتنا إليك في الغارة والغنائم ونحن أعلم بها فيك وهي صناعتنا نحن وعادتنا وما الذي يدعونا إلى اتباعك وما معك وما تبعك إلاَّ أن تبعثنا على الغارة والغنائم؟ أمِن أجل أموالك وكثرة كنوزك ومروج دولك، واصطبلات خيولك؟ أم لخزائن سلاحك؟

ومن أمرنا بأن نكفّر آباءنا؟ ويشهد بضلالهم ونسخّف أجلاَّءهم، ونعادي الأمم وجبابرة الملوك، ونسفك دماءنا في طاعتك، ونقتل كل من عاداك وخالفك، وإن كانوا آباءنا وأبناءنا وإخواننا، ونفارق أوطاننا وأزواجنا، ونهجر اللذات من شرب الخمور ولبس الحرير، وشفاء الغيظ بقتل من سبّنا أو عاب آباءنا كعادتنا في ذلك، ثم لا تحصل إلاَّ على شيءٍ إذا غنمناه بقوتناوغلبنا عليه بأسيافنا بعد المخاطرة بدمائنا أن نسلمه إليك فلا تعطينا إلاَّ بعض، هذا لا يختاره إلاَّ بُلْه النساء، فكيف بالمهاجرين والأنصار الذين أجابوه فكان بهم في عزةٍ ومنعة، وصبروا على تلك الشرائط التي شرطها»[1].

فلم يدع علماء الإسلام ـ بعد كل ما تقدم ـ مجالاً لأي شبهة، في أن الإسلام قد انتشر بالسيف والسنان، وأجاد علماء القرون الستة الهجرية الأولى في دحض هذه الفرية،

(١) تثبيت دلائل النبوة ١/(١١، ١٢).

وبيان أنها إنما تنطبق تمامًا على مدعيها من النصارىٰ.

فأبطلوا هذه التهمة بالنقل والعقل بما لا يدع مجالاً للشك والريب إلاَّ عند مكابرٍ معاند. فرحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

المبحث الرابع
في دحض مفتريات النصارىٰ حول الجنة ونعيمها

لاشك أن النصارىٰ يؤمنون بالجنة الأخروية التي أخبر عنها المسيح عليه السلام في أكثر من موضع من الإنجيل، هذا ما بينه ووضحه علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ من المسلمين، حيث قال أبوعبيدة رحمه الله: «وفي الإنجيل الذي بأيديكم: «أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح[1]، وقد سقاهم كأسًا من خمرٍ قال: إني لا أشربها معكم أبدًا حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله»[2].

وقال المسيح أيضًا في قصة الفقير الذي اسمه «العازر» الذي كان مطروحًا على باب الغني والكلاب تلحس قروحه، وإن ذلك الغني نظر إليه في الجنة متكئًا على حجر إبراهيم الخليل، فناداه الغني وهو في النار: «يا أبي إبراهيم ابعث «العازر» إليّ بشيءٍ من ماءٍ أبل به لساني»[3].

وفي الإنجيل أيضًا: «ولما وجدوه «عيسىٰ» في عرض

---

(١) الفصح: من الكلمة الأرامية (فصحى) والتي تعني: عبور الملاك المهلك على البيوت التي عليها دم خروف الفصح، واستعملت الكلمة في العهد الجديد إشارة إلى عيد الفصح اليهودي وعيد القيامة في الكنيسة المسيحية. انظر: معجم مصطلحات الكنيسة (٣/ ١٠٤).

(٢) متىٰ ٢٦: ٢٩، ومرقس ١٤: ٢٥.

(٣) لوقا ١٦: ١٩ـ ٣١.

البحر، قالوا له: يامعلم متىٰ صرت هنا؟ أجابهم يسوع قال: الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية»(١)»(٢).

ومما يؤكد إيمان النصارىٰ باليوم الآخر وبما فيه من حياة دائمة ما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل عن قانون الإيمان النيقوي أو ما يسمىٰ بشريعة الإيمان: «وفيه هذا القانون إشارة إلى حشر الأبدان حيث جاء في آخره: ونؤمن بقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين»(٣).

كل هذه النصوص التي ذكرها علماء المسلمين في القرون الستة الهجرية الأولىٰ تؤكد إيمان النصارىٰ بالآخرة بما فيها الجنة.

لكن الفرية الشهيرة التي يفتريها النصارىٰ حول الجنة هي أن الجنة لا يليق أن يكون بها أكلاً وشربًا ونكاحًا ينقل أبوعبيدة الخزرجي في هذا المقام ما قاله القس «حنامقار» حول الجنة ونعيمها فيقول: «ويقول القس: وأنتم «أيها المسلمون» تقولون: أن في الجنة أكلاً وشربًا ونكاحًا وجميع ذلك في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتكم، ونحن

---

(١) يوحنا ٦: ٢٥ـ ٢٧.

(٢) مقامع هامات الصلبان (٢٨٢ـ ٢٨٤).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (٢٣٣).

النصارىٰ ننكر جميع ذلك، ولا يمكن بوجهٍ من الوجوه وقوعه عندنا، لذلك إننا إذا حشرنا يوم القيامة، حشرنا بأجسادنا ونفوسنا، ولكن لا نأكل ولا نشرب»[١].

وينقل ابن حزم ـ رحمه الله ـ ما يؤيد قول القس «حنامقار» في إنكار الأكل والشرب والنكاح في الجنة فيقول: «وفي إنجيل متىٰ أن يسوع قال لهم: إذا قام الناس لا يتزوجون ولا يتناكحون، لكنهم يكونون كأمثال ملائكة الله تعالىٰ في السّماء»[٢]»[٣].

وبعد إيراد هذه الشبهة حول نعيم الجنة يوم القيامة، نجد أن بعض علماء الإسلام في القرون الستة الهجرية الأولىٰ، قد انبرىٰ لرد هذه التهمة ولدحض هذه الفرية.

يقول علي بن ربن الطبري ـ رحمه الله ـ: «فإن أنكر منكر أن في الآخرة أكلاً وشربًا، فقد ذكر المسيح عليه السلام لتلامذته مثل ذلك حين شرب معهم وقال لهم: «إني لست شاربًا من ثمر هذه الكرمة حتى أشربها معكم تارةً أخرىٰ في ملكوت السموات»[٤]، فأخبر أن في الملكوت شرابًا وشربًا،

---

(١) رسالة القس «حنامقار» إلى أبي عبيدة الخزرجي. انظر: مقامع هامات الصلبان (١٠٦، ١٠٥).

(٢) إنجيل متىٰ: ١٣.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/١٠٩).

(٤) إنجيل متى: ٢٦: ٢٩، ومرقس: ١٤: ٢٥.

وحين يكون فيه الشرب سيكون فيه المأكل واللذات.

وقال لوقا في إنجيله عن المسيح عليه السلام أنه قال: «ستأكلون وتشربون على مائدة أبي».

فهذه كلها تصحح الأكل والشرب في الآخرة والغرف والنعيم، كما قال الله عزوجل في كتابه: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[1]»[2].

ويضيف علي بن ربن الطبر كذلك أن داود عليه السلام ذكر النعمة في القبور أي الآخرة، فقال: «وهذا داود النبي يقول في الزبور: «إن الجبابرة يبعثون وينشرون ويمجدون يارب، ويخبرون أن في القبور نعمتك».

وقال دانيال كذلك: «إنه سيبعث من الأجداث قومٌ كثير بعضهم إلى الحياة الدائمة وبعضهم إلى البوار لتوبيخ نظرائهم إلى الأبد»»[3].

فذهاب البعض إلى البوار والتوبيخ دالٌ على ذهاب مقابليهم إلى النعيم والتكريم.

ويرد أبوعبيدة الخزرجي كذلك على نفي أن يكون في الجنة أكلاً وشربًا ونكاحًا أي على دعوى القس النصراني

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٢٠ـ ٢١.

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (٢٠١).

(٣) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (٢٠٣).

بقوله: «وأما اعتراضهم على ما نعتقد «المسلمون» من أن في الجنة أكلاً وشربًا وغيرها من لذات الأجسام، فإن كان نفيك قولاً واحدًا، فإنما ذلك منكم عتوًا على الله تبارك وتعالىٰ وعلى أنبيائه وكتبه بغير علمٍ لكم ولا برهان، ولكن يجب علينا الآن أن نبين خلل ما ذهبت إليه بمقتضىٰ سنن الأنبياء عليهم السلام، فالتوراة التي بأيديكم وأيدي اليهود إلى اليوم فلا فيها لآخرةٍ ولا لبعثٍ ولا لحشر الأجساد ولا لشيءٍ من أحوال القيامة ذكر، إلا أن موسىٰ بن عمران عليه السلام(١) ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كلهم أخبروا العالم أن الله خلق الأشياء لا من شيء ولا على أصلٍ متقدم، وهذا مما اتفقنا عليه جميعًا فإذًا مما لاشك فيه أن البعث وحشر الأجساد لا يتعذر لكونه من قدرة القادر الخالق، فيبقىٰ أبدًا في حكم الممكن لا في حدّ الممتنع، وهؤلاء الذين قامت البراهين على صدقهم والأنبياء، أخبروا العالم من بعد موسىٰ

(١) يذكر د/ محمد شامه، محقق كتاب مقامع هامات الصلبان: أن اليهود والنصارىٰ يعتقدون أن موسىٰ عليه السلام لم يُخبر الناس بالقيامة والجنة مخافة أن يكذب بنوإسرائيل بها جملة واحدة، ولكن هذا القول يقتضي أن موسىٰ عليه السلام أوحي إليه بذلك وأمر بإخفائه لقوله سبحانه ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ (الأعلى: ١٨، ١٩)، فيحتمل أن أخبار موسىٰ بالبعث سقط أو أسقط من كاتب التوراة، خصوصًا بعد علمنا أنه كتب بعده بزمنٍ طويل. انظر: مقامع هامات الصلبان هامش ص (٢٧٩).

بالبعث وحشر الأجساد وأحوال القيامة فتحققنا من ذلك.

فإذًا لاشك في وقوع البعث وفي التذاذ الأجساد التي ستُحشر مع نفوسها، وهذا مما لايدفع فيه أحد، ولاشك في أن النفوس ستتلذذ بالمطاعم والمشارب وسائر اللذات من الروائح الطيبة، والمناظر الحسنة، والأصوات المطلوبة، وكذلك هي ستتألم بضد ذلك من المكاره، وأن الحواس الجسدية هي المنافذ لوصول هذه اللذات إلى النفوس، فإذا اجتمعنا باتفاق على أن الله سيجمع يوم القيامة في عالم الجزاء أنفسنا والأجساد المركبة لها، ويعيدها كما كان الحال أول مرة، يلزمنا أن نصدق أنها ستذوق هنالك من اللذات والآلام بما تستدعيه طبائعها التي لم توجد إلا كذلك، إلا أنه كما أن الأجساد أعيدت بعد الفناء بغير فساد ولا استحالة بقدرة القدير، فكذلك الطعام الذي هناك لم يعدّ بنار، ولا يحلق فساد ولا يتحلل إلى قذر ولا إلى دم ولا يطرأ هناك تغيّر ولا موت ولا شبه ذلك بقدرة القدير كما أخبر الخالق تبارك وتعالىٰ بقوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾[1]»[2].

ويرد ابن حزم ـ رحمه الله ـ على هذه الفرية عند النصارىٰ وبيّن مدىٰ تناقضهم في ذلك من خلال كتبهم،

(١) سورة الواقعة، الآية: ١٩.

(٢) مقامع هامات الصلبان (٢٨٠، ٢٨١).

فيقول: «في إنجيل متىٰ أن يسوع قال لهم: إذا قام الناس لا يتزوجون ولا يتناحكون، لكنهم يكونون كأمثال ملائكة الله تعالى في السماء»(١).

وفي إنجيل «متىٰ» وإنجيل «مرقس» أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أخذه: «لا شربت بعدها حتى أشربها معكم جديدة في ملكوت الله تعالىٰ»(٢).

وفي إنجيل لوقا أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر: «أنتم الذين صبرتم معي في جميع مصائبي، فأنا ألخص لكم الوصية على حال ما لخص أبي لتطعموا وتشربوا على مائدتي في الملك، وتجلسوا على عروش حاكمين على اثنى عشر سبطًا من ولد إسرائيل»(٣).

ففي الفصل الأول أخبر أن الناس في الآخرة يتناكحون، وفي الفصول الثلاثة بعده ثبت أن في الجنة أكلاً وشربًا للخبز والخمر على الموائد، والنصارىٰ ينكرون كل هذا ولا مؤنة عليهم في تكذيبهم للمسيح مع إقرارهم بعبادتهم له، وأنه ربهم لاسيما في الفصل الأول، وأن الناس في الجنة كالملائكة، وفي التوراة التي يصدقون بها: «أن الملائكة أكلت عند لوط وعند إبراهيم عليهما السلام الفطاير واللحم

(١) متىٰ: ٩: ١٣.

(٢) متى ٢٦: ٢٩، ومرقس ١٤: ٢٥.

(٣) إنجيل لوقا: ١٤: ١٦.

واللبن والسمن». وإذا كان الملائكة يأكلون والناس في الجنة مثلهم، فالناس في الجنة مثلهم، فالناس في الجنة يأكلون ويشربون بلا شك بموجب التوراة والإنجيل، لاسيما وقد أخبروا أن المسيح بعد أن مات ورجع إلى الدنيا ولقي تلاميذه طلب منهم ما يأكل فأتوه بحوتٍ مشوي، فأكل معهم وشرب شراب عسلٍ بعد موته.

فإذا كان الإله يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل، فأي نكرة أكل الناس وشربهم في الجنة؟ وإذا كان الله تعالىٰ عنده اتخذ ولدًا من امرأة اصطفاها فأي عجب في اتخاذ الناس النساء في الجنة؟ هذا هو طبعهم الذي بناهم الله عزوجل عليه، إلا أنه في دعوة هؤلاء النوكى لعبرة لمن اعتبر، والحمدلله رب العالمين»[١].

ويبين الشهرستاني بعضًا من أقوال النصارىٰ الغريبة في مسألة الأكل والشرب والنكاح في الجنة، فيقول: «وفي النصارىٰ من قال بحشر الأرواح دون الأبدان وقال أن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل، وعاقبة الأخبار سرور وفرح العلم، وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب، وفيهم «النصارىٰ» من حُكِي عنه أنه كان يقول: إذا صار الناس إلى الملكوت الأعلىٰ أكلوا ألف سنة وشربوا وناكحوا؛ ثم صاروا إلى النعيم التي وعدهم «آريوس» وكلها لذة وراحة

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٠).

وسرور وحبور، لا أكل فيها ولا شرب ولا نكاح»[(١)(٢)].

ومن طريف ما يلفت إليه ابن حزم الانتباه منع النصارىٰ الجنة على الأغنياء، وردّه على ذلك حيث يقول: «وفي إنجيل «مرقس»: أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه إن دخول الجمل في سم الخياط أهون من دخول المثري في ملكوت الله»[(٣)].

وهذا قطع من كلامه بأن كل غني لا يدخل الجنة أبدًا، وفي اتباعه أغنياء كثير، وما رأينا أمه أحرص على جمع المال من الدّراهم وغير ذلك وادخاره ومنعه دون أن ينتفعوا منه بشيء، ولا أن يتصدقوا منه بشيء من الأساقفة والقسيسين والرهبان في دير وكل كنيسة وفي كل بلد وكل وقت، فعلىٰ موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط، وهذا والله حق وأنا على ذلكم من الشاهدين»[(٤)].

بقي أن يقال: «إن النصارىٰ لا يعيرون الآخرة أي اهتمام، ولا يلقون الخوف من سوء العاقبة والمآل أي بال،

---

(١) الملل والنحل: (٢٢٣، ٢٢٧) بتصرف يسير.

(٢) إنجيل مرقس ٨: ١٩.

(٣) يشير د/ محمد شامة إلى وجود خلاف بين علماء النصارىٰ حول نعيم الجنة، ويؤكد أن أكثر رجال الكنيسة يثبتون ذلك بنصوصٍ من الكتاب المقدس. انظر: مقامع هامات الصلبان حاشية ص (١١٣).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١١٣).

لأنهم يعتقدون أن المسيح قد تحمل كل ذلك عنهم، يقول القاضي عبدالجبار: «وقل ما تجد منهم «النصارىٰ» من يخاف عذاب الآخرة، لأنهم يعتقدون أن المسيح، إنما قتل نفسه ليقيهم من الذنوب والعذاب، وأنه جالس على يمين أبيه، يسأل أباه الرب غفرانها، فهو عندهم يغفرها ويسأل أباه غفرانها»[1].

الباب الثالث

في جهود علماء المسلمين في نقد مصادر التشريع النصراني

ويشمل:

تمهيد: **في ذكر العلماء المسلمين الذين لهم جهود في هذا الباب.**

الفصل الأول: **جهود علماء المسلمين في نقد كتب النصارى المقدسة لديهم.**

الفصل الثاني: **في جهود علماء المسلمين في نقدهم للمجامع النصرانية.**

تمهيد
في ذكر العلماء المسلمين الذين لهم جهود في هذا الباب

إن نقد مصادر التشريع لأي ملةٍ أو فكرٍ هو هدمٌ لبنيانها ونقضٌ لكيانها، إذ أن مصادر تشريعها هي أصلها الذي تنطلق منه وتعوّل عليه، فإذا تبين خلل هذه المصادر وضعفها ووهاؤها، واتضح تناقضها وتحريفها، وتأكد انقطاع سندها، لم يكن لها حينئذٍ ما تعتمد عليه أو تفخر به، وقد التفت إلى ذلك كله، وأدرك أهمية هذا الأصل، علماء القرون الستة الهجرية الأولى، فبذلوا في ذلك جهودًا كبيرة، أثمرت نتاجًا علميًا قويًا ومتينًا، يتضح ذلك من خلال مؤلفاتهم المتميزة في هذا الباب.

ولقد تميز بعضٌ منهم في إسهابهم وإطنابهم في نقد هذه المصادر وبيان عوارها وهتك أستارها، في مقدمة هؤلاء الإمام ابن حزمٍ رحمه الله تعالى في كتابة «الفصل» حيث أطال كثيرًا في عرض نصوص كتابهم المقدس، وبيان ما فيها من خللٍ وتناقض.

كما قام بذلك القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني في كتابه تثبيت دلائل النبوة حيث أظهر كثيرًا من الأدلة العقلية التي تقتضي وتحتم القول بتحريف أناجيل العهد الجديد، أو

العهد القديم.

برز أيضًا: إمام الحرمين الجويني في كتابه الموجز شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، حيث سرد كثيرًا من النصوص التي يستحيل أن تكون وحيًا من الله تعالى.

يضاف إلى هؤلاء أبوعبيدة الخزرجي رحمه الله.

هؤلاء هم أبرز علماء القرون الستة في هدم بنيان وأسس النصرانية.

نسأل الله تعالى أن يعفو عنهم وأن يجزيهم خيرًا على ما قدموه للإسلام والمسلمين.

الفصل الأول
جهود علماء المسلمين في نقد كتب النصارىٰ المقدسة لديهم

وفيه مباحث:

المبحث الأول: **في جهود علماء المسلمين في بيان تحريف التوراة والإنجيل.**

المبحث الثاني: **بيان جهل النصارىٰ بكتّاب الأناجيل ومترجميها وانقطاع السند إليهم.**

المبحث الثالث: **إيراد الاختلافات والتناقضات الواردة في الأناجيل مما يمنع دعوىٰ الوحي والإلهام من الله عزوجل.**

المبحث الأول

في جهود علماء المسلمين في بيان تحريف التوراة والإنجيل

من المعلوم المؤكد أن هناك علاقة وطيدة بين اليهود والنصارىٰ كما أثبت ذلك علماؤهم(١)، ومن المعلوم أيضًا أن النصارىٰ جعلوا من ضمن كتابهم المقدس التوارة؛ لأن عيسىٰ عليه السلام جاء متممًا لدين موسىٰ عليه السلام(٢)؛ ولكن هذه التوراة لم تسلم من التحريف على أيدي النصارى أيضًا(٣)، مع أنهم يعترفون بأن اليهود قد زادوا وأنقصوا في التوراة.

قال أبوعبيدة رحمه الله: «وأنتم ـ النصارىٰ ـ تدعون أنهم ـ اليهود ـ حرفوا في التوراة التاريخ، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم ـ ﷺ ـ ألف سنة، ونحو من المئتين من

---

(١) يقول الأب سلوم سركيس: «فخرجت المسيحية عن اليهودية، فكان بين الطائفتين تراث مشترك... فالمسيحية لم تنفصل عن اليهودية إلا اضطرارًا. انظر: العلاقة بين اليهودية والمسيحية ص(٥،٦)، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(٢) حيث جاء في إنجيل متىٰ أن عيسىٰ قال: «لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء ما جئت لأبطل بل لأكمل...» ٥: ١٧ـ ٢٠.

(٣) يشير «شارل جنيبر» أستاذ المسيحية ورئيس قسم الأديان في جامعة باريس إلى مثل ذلك تلميحًا دون تصريح. انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: د/ عبدالحليم محمود ص(٢٠٤، ٢٠٥)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

السنين»[١].

كما بين أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ ضلال النصارىٰ ومخالفتهم لعيسىٰ ولأنبياء الله وعدم العمل بما في كتبهم فخاطبهم بقوله: (ومن أعجب العجب دعواكم بالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهم موحدون، وأنتم مشركون بالخالق إنسانًا، وكانوا مختتنين وأنتم لا تختتنون، وأنتم القائلون: «إن إلهكم المعبود عيسىٰ كان مختونًا، وكذلك الحواريون الاثنا عشر، وسائر التلاميذ الذين صحبوه»[٢]، فتركتم الإقتداء بهم، وبمن تقدم ذكره من الأنبياء، ثم الأولياء، وركنتم إلى ما افتراه غواتكم وغيرهم وما اختلقه قسطنطين واختلق له بعد ذهاب المسيح بما يقرب من ثلاث مائة سنة، من أن «يحيىٰ» سنَّ التغطيس[٣]، وغَطَّسَ المسيح[٤]، وكُتب ذلك في أناجيلكم وزيد عليه من التحايل، غث الأقاويل بما يطول وصفه، فكيف يرغب يحيىٰ والمسيح عن شريعة شرعها إبراهيم وسنَّ سنتها في نفسه وولده، ثم أقرَّتها التوراة، واقتفتها الأنبياء عليهم السلام»[٥].

(١) انظر: مقامع هامات الصلبان (٢٥٨).

(٢) متىٰ ١٠: ٢ـ ٤.

(٣) مرقس ١: ٤.

(٤) مرقس ١: ٩، ١٠.

(٥) انظر: مقامع هامات الصلبان (٢٨٥).

* والمراد بالشريعة التي شرعها إبراهيم هي سنة الختان، إذ يعتبر النصارىٰ أن=

ومع هذا الادعاء من النصارىٰ على اليهود إلا أنهم اعتمدوا على التوارة في تشريعاتهم وصياغة أناجيلهم(١) ففضلاً عن التحريف الظاهر في التوراة والتبديل وكتمان وإخفاء كثير مما نزل على موسىٰ عليه السلام، يقول أبوالمعالي الجويني في هذا السياق: «إن التوراة التي بيد اليهود هي التوراة التي كتبها لهم «عزرا» وليست هي الأصلية التي أنزلها الله على موسىٰ باللفظ والمعنىٰ»(٢).

فضلاً عن ذلك كله فإن الاختلاف بين التوراة والإنجيل في كثير من النصوص الموجودة بل وتضاد وتعارض بعضها في كثير من الأحكام والتشريعات، كون الإنجيل الذي بين أيدي النصارىٰ هو من إنجيل عيسىٰ الذي أنزله الله عليه، وهذا الاختلاف والتضاد أمرٌ واضحٌ وجلي، يقول ابن حزم

= يحيىٰ عليه السلام ومن ثم عيسىٰ عليه السلام إنما أوجدا التعميد «التغطيس» عوضًا وبدلاً عن الختان. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص(٦٣٧).

(١) وسبب تعظيم النصارىٰ لكتاب موسىٰ «التوراة» هو أن عيسىٰ عليه السلام كان يحتج به ويعلّم منه، ففي الإصحاح الثاني عشر من إنجيل «مرقس» يقول عيسىٰ عليه السلام: «وأما عن جهة قيامة الأموات أنهم يقومون: أفما قرأت في كتاب موسىٰ...الخ»، فقوله هذا يدل على أنه كان يحتج به ويعلم منه». انظر: نقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ص(١٨).

(٢) انظر: شفاء الغليل في بيان ماورد في التوراة والإنجيل من التبديل لأبي المعالي الجويني، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا ص(٦٤)، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، المكتبة الأزهرية للتراث.

رحمه الله: «ففي توراة اليهود التي لا اختلاف فيما بينهم هذا النص «لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة سنة، ولد له ولد كشبهه وسماه شيث»[١].

وعند النصارىٰ بلا خلاف من أحد منهم ولا من جميع فرقهم «لما أتى لآدم مئتان وثلاثون سنة ولد له شيث»[٢].

وفي التوراة: «فلما عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد إينوش»[٣]

وعند النصارىٰ كلهم: «لما عاش شيث مئتي سنة وخمس سنين ولد إينوش»[٤]

وفي التوراة: «أن إينوش لما عاش تسعين ولد قينان»[٥]

وعند النصارىٰ كلهم: «إن إينوش لما عاش تسعين سنة ومائة ولد قينان»[٦]؟

وعند اليهود: «إن قينان لما عاش سبعين سنة ولد مهللال»[٧].

وعند النصارىٰ كلهم: «أن قينان لما عاش مائة سنة

---

(١) سفر التكوين ٥: ٣.
(٢) لوقا ٣: ٣٨.
(٣) سفر التكوين ٥: ٧.
(٤) لوقا ٣: ٣٨.
(٥) التكوين ٥: ٩.
(٦) لوقا ٣: ٣٧.
(٧) التكوين ٥: ١٢.

وسبعين سنة ولد مهللال»[١].

وهذا الاختلاف فضلاً عن بطلانه وعدم مصداقية أهل الديانتين، وعدم تطابق المصادر التاريخية فإن هذه الفروق التاريخية والزمنية فروق شاسعة تجعل القارىء يشك في زمن كتابة هذه الأخبار والأحداث التي وقعت فيها وفي هذه الفترات التي بين تاريخ اليهود وتاريخ النصارىٰ، وزمن الرسالات ومكانها والرسل ودعواتهم ومن نقلوا عنهم خبر السماء وتعاليمهم مما لا يستبعد معه عبث الرهبان والأحبار مع طول الأمد وفساد الديانة وعودتها إلى الوثنية بعد اندثار الحق وعلمائه.

فتولد بين الطائفتين من الاختلاف المذكور زيادة ألف عام، وثلاث مائة عام، وخمسين عامًا عند النصارىٰ.

وذلك التخبط في أمر مصيري في تاريخ الدنيا على ماهو عند اليهود في تاريخها وذلك في تسعة عشر موضعًا؛ ومع ذلك فإن النصارىٰ يرون الاعتماد عيها ـ التوارة ـ في كتابة أناجيلهم ومثل هذا التكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عزوجل أصلاً ولا من قول نبي البته، ولا من قول صادق عالم من عرض الناس

فبطل بهذا بلا شك أن تكون التوراة وتلك الكتب منقولة

---

(١) لوقا ٣: ٣٧، وذكر كل ذلك أيضًا إنجيل متىٰ ١: ١ـ ١٧، ولم يرد هذا التفصيل الذي ذكره ابن حزم فيما رأيته في الأناجيل.

نقلاً يوجب صحة العلم، لكن نقلاً فاسدًا مدخولاً مضطربًا[١].

ولا بد للنصارىٰ ضرورة من أحد ثلاثة وجوه، لا مخرج لهم عن أحدها:

أولاً: إما أن يصدقوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم وأنها صحيحة عن موسىٰ ـ عليه السلام ـ عن الله ـ تعالىٰ ـ فإن فعلوا فقد أقرُّوا على أنفسهم وعلى أسلافهم وعلى الذين نقلوا عنهم دينهم بالكذب.

إذا خالفوا قول الله ـ عزوجل ـ وقول موسىٰ ـ عليهم السلام ـ أو يكذبوا موسىٰ فيما نقل عن الله ـ تعالىٰ ـ وهم لا يفعلون ذلك.

ثانيًا: يكذبوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم، فيبطل

---

(١) يصرح بهذا «كمال الصليبي» أستاذ التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت، وأستاذ تاريخ الشرق الأوسط في جامعة لندن حيث يقول: «ويسود الرأي بين العلماء بأن الأجزاء القصصية من التوراة، ومعظمها محصور بأسفار التكوين والخروج والعدد، هي في الواقع مزيج من التاريخ الشعبي والأساطير والخرافات، تم جمعها ثم تنسيقها فضبطها في زمن متأخر نسبيًا من تاريخ بني إسرائيل». انظر: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص(٥،٦)، دار الساقي، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

وقريبًا منه ما ذكره ناجح المعموري في كتابه: التوارة السياسي ـ السلطة اليهودية أنساقها ووظائفها ص(١٧٣)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

تعلقهم بما في تلك الكتب مما يقولون إنه إنذار بالمسيح ـ عليه السلام ـ؛ إذ لا يجوز لأحد أن يحتج بما لا يصح نقله.

ثالثًا: يقولون كما قال بعضهم أنهم إنما عولوا فيما عندهم على ترجمة السبعين شيخًا الذين ترجموا التوراة وكتب الأنبياء لـ«بطليموس»[1]؛ فإن قالوا هذا فإنه لا يخلو ضرورة من أحد وجهين:

١ ـ إما أن يكونوا صادقين في ذلك، أو يكونوا كاذبين في ذلك، فإن كانوا كاذبين سقط أمرهم والحمدلله رب العالمين إذ لم يرجعوا إلا إلى المجاهرة بالكذب.

٢ـ وإن كانوا صادقين في ذلك فقد حصلت توراتان مختلفتان متكاذبتان معارضتان «توراة السبعين شيخًا»[2]

---

(١) بطليموس: الثاني الملقب «فيلادلفوس ٢٨٥ـ ٢٤٧ ق.م»، ـ والده الملقب بالمخلص وأول سليل البطالسة والذي يرجح أنه ابن غير شرعي لفيلبس ـ وهو الذي أسس المكتبة الشهيرة في الاسكندرية، وقيل إنه أول من أمر بالترجمة السبعينية، وجمع بين الشرق والغرب وبين حكمة اليهود وفلسفة اليونان، وكان لمساعيه تأثير عظيم في تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية». انظر: معجم الكتاب المقدس ص(١٧٩).

(٢) هي الترجمة المسماه بالسبعينية: وهي ترجمة الأسفار المقدسة إلى اليونانية، والذي ترجمها اليهود الذين أقاموا خارج فلسطين ولاسيما في الاسكندرية. انظر: مقدمة الكتاب المقدس.

و«توراة عزرا»[١] ومن الباطل المحال الممتنع كونهما جميعًا حقًّا من عند الله ـ عزوجل ـ.

وقد أدرك اليهود كذب النصارىٰ، وأدرك النصارىٰ كذب اليهود وتناقض وتكاذب وفضائح الطائفتين ـ اليهود والنصارىٰ ـ والتحريف والتبديل الذي أحدثه الأحبار والرهبان في الكتابين مما أدى إلى سقوط الطائفتين معًا وتلاعنهما وتكذيب بعضهم بعضًا. قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[٢] مما أدى بهم إلى حكم كلا الفرقتين على الأخرىٰ بالخلوف في النار بسبب كذب ما بأيديهم وتحريفه. قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ...﴾[٣] أي: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا، وقالت النصارىٰ لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا وكلٌّ في قوله يشير إلى خلود الفريق الآخر في جهنم.

كما حكم كل من الفريقين على الآخر بالضلالة وعدم الهدىٰ والزيغ عن الحق، ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ

---

(١) «توراة عزرا»: كتبها عزرا وهو كان ابن سرايا لقب بالكاتب، كان دارسًا مجتهدًا ومفسرًا عميقًا لوصايا الله وعهده وهو أول كاتب بهذا المعنى، جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها، وهي: سفر عزرا، وجزء من سفر نحميا. انظر: معجم الكتاب المقدس ص(٦٢١ـ ٦٢٢).

(٢) سورة البقرة، آية: ١١٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١١١.

تَهْتَدُواْ . . . ﴾[(١)»](٢) .

ويستطرد ابن حزم في ذلك قائلاً: «واليهود والنصارىٰ كلهم مصدق مؤمن بهاتين التوراتين معًا ـ توراة السبعين شيخًا وتوراة عزرا، فلا بد ضرورة أن تكون إحداهما حقًّا والأخرىٰ مكذوبة، فأيهما كانت المكذوبة فقد حصلت الطائفتان على الإيمان بالباطل ضرورة، ولا خير في أمة تؤمن بيقين الباطل، ولئن كانت توراة السبعين شيخًا هي المكذوبة فلقد كانوا شيوخ سوءٍ كذابين معلونين؛! وحرفوا كلام الله وبدلوه ومن هذه صفته فلا يحل أخذ الدين عنه، ولا قبول نقله ولئن كانت «توراة عزرا» المكذوبة فقد كان كذابًا؛ إذ حرف كلام الله، ولا يحل أخذ شيء من الدين عنه، ولابد من أحد الأمرين.

أو تكون كلتاهما كذبًا وهذا هو الحق اليقين الذي لا شك فيه؛ لما قدمنا مما فيها من الكذب الفاضح الموجب للقطع بأنها مبدلة محرفة وسقطت الطائفتان معًا، وبطل دينهم الذي إنما مرجعه إلى هذه الكتب المكذوبة، ونعوذ بالله من الخذلان»(٣) .

ثم يقول رحمه الله: «فتأملوا هذا الفصل وحده ففيه كفاية في تيقن بطلان دين الطائفتين»(٤) .

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٥ .

(٢) الفصل (٢١ـ ٢٥).

(٣) الفصل لابن حزم ص(١٤٣).

(٤) المرجع السابق ص(١٤٣). =

يظهر ابن حزم رحمه الله بعد هذا ـ الإسهاب والإطناب ـ أن التوراة التي اعتمد عليها النصارىٰ مليئة هي بالتحريف والتناقض، مما لا يساعد أصلاً في الاعتماد عليها، ناهيك عن التحريف الذي دخلها لاحقًا، وقد يكون ذلك أيضًا سبب في التحريف والتناقض الذي حُشي به الإنجيل.

يقول أبوالمعالي الجويني في ذلك أيضًا: «إن التوراة التي ترجمها سبعون شيخًا لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وفشوها، مخالفة للتي كتبها عزرا الوراق»(١) وفي ذلك إشارة إلى دور المجامع والآمرين بها في تحريف التوراة والإنجيل.

ويزيد ابن حزم في رده قائلاً: «وليس شيءٌ أدل على تحريف الإنجيل مما جاء من إنجيل لوقا: «لأن كثيرًا من الناس أخذوا يدونون رواية الأحاديث التي جرت بيننا، كما نقلها إلينا الذين كانوا من البدء شهود عيانٍ وخدامًا للكلمة رأيت أنا أيضًا، بعدما تتبعت كل شيءٍ من أصوله بتدقيق، أن أكتبها إليك، يا صاحب العزة حسب ترتيبها الصحيح، حتى تعرف صحة التعليم الذي تلقيته»(٢)، وهذا يبين أن الأناجيل

= * وقد أطلت في النقل عن ابن حزم في هذا الباب عمومًا لوضوح مراده، وقوة رده، إضافةً لترابط الكلام بعضه ببعض. ويعني رحمه الله بكلامه هذا: اليهودية والنصرانية المحرفتين.

(١) انظر: شفاء الغليل ص(٦٥).

(٢) بشارة لوقا: تقديم: ١.

تواريخ مؤلفة كما ترىٰ بنص كلام «لوقا».

ومما يظهر تناقض هذه الأناجيل واختلافها، ويبين مدى تضادها أحيانًا وأنها من عند هؤلاء الكتبة المتأثرين بالرومان بعد أن ترومت النصارىٰ، وقبل ذلك تأثرهم بالفلسفات والثقافات اليونانية واللاتينية وغيرها من الثقافات والضغوط الاستعمارية أحيانًا أخرى[(١)] حتى أن نسب المسيح وتاريخه لم يسلم من هذا التناقض والاختلاف الواضح الذي لا يخفى على ذي عينين إلا عينين سقيمتين تنظران بقلب سقيم معرض

(١) وانظر لمزيد من التفصيل كتاب: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية حيث يقول مؤلفه ضمن كلامٍ طويل: «وتقول مجلة «درشبيجل» الألمانية عدد (١٦) سنة ١٩٦١م، بالنسبة إلى عدد من الأساتذة في علم اللاهوت... فإن فهمهم النقدي قد جعل الأسفار المقدسة مجموعة من الخرافات والأساطير والرموز والشعر والصور»، وتخبر مجلة «تايم» عدد (٤) سنة ١٩٦٦م ص (٥٧)؛ عن لاهوتي نظامي يعلم التلاميذ في جامعة «ميتشجان»: «أن الكتاب المقدس هو أكبر مجموعة من الخرافات في تاريخ الحضارة الغربية»... ثم يشير إلى أن المسيحية قد أخذت كثيرًا من الأفلاطونية الحديثة واليونانية والرومانية وغيرها؛ كالهندية والفارسية والصينية والمصرية القديمة». انظر: ص(٢٠ـ ٢٤).

وانظر: الديانة الفرعونية للسير وَلِس بدج، ترجمة وتقديم: يوسف سامي اليوسف ص(١١٩، ١٢٠)، الطبعة الأولى، منارات ١٩٨٥م، عمان الأردن.

وأقول: بينما يقول هؤلاء الكتاب ذلك الكلام فإن موقف الإسلام من كتب أهل الكتاب (التوراة والإنجيل) الذي يتبين من القرآن ومن كلام رسول الله ﷺ: أن ما صرفه القرآن والسنة الصحيحة أو أحدها نصدقه وما كذبه القرآن والسنة الصحيحة أو أحدهما نكذبه وما سكتا عنه نسكت عنه فلا نصدقه لإمكان أن يكون كذبا ولا نكذبه لإمكان أن يكون صادقا. وهذا هو العدل بعينه دون إفراط أو تفريط.

أو جاهل ساذج وكلاهما اشتركا في تحريف كلمة الله وإنجيل عيسىٰ الذي هو من عند الله حقًّا فطمسوا معالمه. وبدلوا في التاريخ والأحداث والعقائد والشرائع التي هي من عند الله.

«إن أول مبدأ إنجيل متىٰ ـ الذي هو أول الأناجيل بالتأليف والرتبة ـ ذكر نسب عيسىٰ وأنه: «يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم، وإبراهيم ولد إسحاق ـ وإسحاق ولد يعقوب ـ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته، وليهوذا ولد من ثامار ـ فارص ـ وزارح ثم إن فارص ولد حصرون، وحصرون ولد آرام، وآرام ولد عمّيناداب، وعمّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد من راحاب بوعز، وبوعز ولد له من راعوث عوبيد، وعوبيد ولد له يسّىٰ، ويسّىٰ ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من امرأة أوريا، وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد أبيا، وأبيا ولد آسا، وآسا ولد يوشافاط، ويوشافاط ولد يورام، ويورام ولد عزِّيا، وعزِّيا ولد يوثام، ويوثام ولد أحاز، وأحاز ولد حزقيا، وحزقيا ولد منسّىٰ، ومنسّىٰ ولد آمون، وآمون ولد يوشيا، ويوشيا ولد يكنّيا وإخوته زمن السبي إلى بابل.

وبعد السبي إلى بابل يكنيا ولد شالتئيل، وشالتئيل ولد زرُبابل، وزرُبابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد ألياقيم، وألياقيم ولد عازور، وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أخيم، وأخيم ولد أليود، وأليود ولد أليعازر، وأليعازر ولد متَّان،

ومتَّان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولدت يسوع الذي يدعىٰ المسيح.

فمجموع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً»(١).

ثم يقول ابن حزم: «وهم لا يختلفون في أن «متىٰ» رسول معصوم أجل عند الله من موسىٰ ومن سائر الأنبياء كلهم ـ عليهم السلام ـ وقد قال في أول كلمة من إنجيله «مصحف نسبة المسيح بن داود بن إبراهيم» ثم لم يأت إلا بنسب يوسف النجار زوج مريم الذي هو عندهم ربيب إلههم زوج أمه. . .

فكيف يقول إنه يذكر نسبه المسيح ثم يأتي بنسبه يوسف النجار؟!

والمسيح عند هذا التيس البوال ليس هو ولد يوسف أصلاً، فقد كذب هذا القذر كذبًا لاخفاء به. ولا مدخل للمسيح في هذا النسب أصلاً بوجه من الوجوه، إلا أن يجعلوه ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا ولا نحن ولا جمهور اليهود»(٢).

حيث يبين ابن حزم تناقض النصارىٰ في أناجيلهم واختلافها حتى في الكذب والتحريف وذلك في تناقضها في شخص المسيح مما يدل على أن هذه الأناجيل ليست هي

---

(١) إنجيل متىٰ ١ : ١ـ ١٧.

(٢) أول إنجيل متىٰ.

كلمة الله، ولا من عند الله لوجود الاختلاف الكبير فيها ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[1].

ويقول أبوالمعالي الجويني رحمه الله عن تحريف الأناجيل: «وأما عن الإنجيل، فإنه قد ضاع عمدًا من النصارىٰ، لاضطهاد اليهود لهم، والموجود بدله أربعة أناجيل فيهم، فيها اختلافات وأغلاط، وقد صدّق مجمع «قرطاجنة» على هذه الأناجيل سنة ٣٩٧ميلادية، ولم يحدث تغيير لفظي أو معنوي من هذا التاريخ إلى زمني هذا إلا في بعض كلمات وبعض أسماء»[2].

ثم يلفت الجاحظ النظر ويعرج على مسألة أخرىٰ وهي: أن النصارى تناقضت في محاولة إثبات بنوة عيسى عليه السلام من التوراة وهذا التحريف واضح وبين حيث يقول الجاحظ: «إنهم يخبرون ـ أي: اليهود الذي يستدل بقولهم النصارى على بنوة عيسىٰ ـ أن الله تبارك وتعالىٰ قال في العشر الآيات التي كتبتها أصابع الله: «إني أنا الله الشديد، وإني أنا الله ، وأنا النار التي آكل النيران، آخذ الأبناء بحوب الآباء،

(١) النساء، آية: ٨٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٧ـ ٢٩).

* كما مرّ معنا في الباب الأول، وبيان اختلافهم في طبيعة المسيح في القول بالتثليث والقول ببنوة المسيح عليه السلام.

القرن الأول، والثاني، والثالث إلى السابع»[١].

وإن داود قال في الزبور: «وافتح عينيك يارب»[٢]، «وقم يارب»[٣]، و«أصغ إليَّ سمعتك يارب»[٤].

وأن داود خبر أيضًا في مكان آخر عن الله تعالى فقال: «وانتبه الله كما ينتبه السكران الذي قد شرب الخمر»[٥].

وأن موسىٰ قال في التوراة: «خلق الله الأشياء بكلمته وبروح نفسه»[٦]، وأن الله قال في التوراة لبني إسرائيل: «بذراعي الشديدة أخرجتكم من أهل مصر»[٧]، وأنه قال في كتاب أشعياء: «أحمد الله حمدًا جديدًا حمده»[٨].

وفي التوراة: «أحمد الله حمدًا جديدًا، وأحمد في أقاصي الأرض، يملأ الجزائر وسكانها، والبحور والقفار وما فيها، ويكون بنو قيدار في القصور وسكان الجبال ليصبحوا

---

(١) انظر: شفاء الغليل ص(٦٨).

(٢) ولم أجد هذا النص في التوراة في مواضع ذكر الوصايا العشر. انظر: سفر الخروج ٣٤: ١ ـ ٢٨، وسفر التثنية ٤: ١٥ ـ ٤٠.

(٣) لم أجده بهذا النص.

(٤) مزمور ١٧: ١٣.

(٥) مزمور ١٧: ١، مزمور ٦١: ١.

(٦) المزمور ٧٨: ٦٥، بنص: «وأفاق الرب كما من نوم، وكجبار رنحته الخمر».

(٧) مزمور ١٣٦: ١٢، بنص: «..أخرجهم بيدٍ قديرة وذراعٍ ممدودة إلى الأبد رحمته»، وسفر التثنية ٥: ١٥.

(٨) أشعيا ٥١: ٥، بنص: «وذراعاي تحكمان الشعوب حتى الجزر تنتظرني وعلى ذراعي تعتمد».

ويصيروا لله الفخر والكرامة، ويسبحوا بحمد الله في الجزائر»[١].

وكلهم على هذا اللفظ العربي مجمع، ومعنى هذا لا يجوِّزه أحد من أهل العلم، ومثل هذا كثير تركته لمعرفتكم به». واليهود لو أخذوا القرآن فترجموه بالعبرانية لأخرجوه من معانيه، ولحوَّلوه عن وجوهه»[٢]، حيث يدلل الجاحظ على الجزم بتحريف التوراة من خلال هذه النصوص وأن اليهود في التوراة لا يؤمنون كما يزعم النصارىٰ ببنوة عيسىٰ حيث لم ينسبوا له أي فعل من هذه الأفعال التي ذكرت في النصوص السابقة.

وقد ذكر أبوعبيدة الخزرجي وقت وقوع التحريف في التوراة والسبب في ذلك بقوله: «لا يجب علينا تصديقكم في شيء مما تناقلتموه من التوراة والإنجيل والزبور، وأخبار الأنبياء، إذ ظهر عتوكم جميعًا على الله ـ تعالىٰ ـ وكذبكم على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام واستبان لكل ذي بصيرة، ولا يؤمن إدخالكم الخلل في الكتب، ولا سيما مع إقراركم أن التوراة

---

(١) سفر أشعيا ٤٢: ١٠ ـ ١٣، بنص: «أنشدوا للرب نشيدًا جديدًا، تسبيحةً من أقاصي الأرض... الخ».

(٢) نفس العزو السابق، والمختار في الرد على النصارى ص١٠٨.

إنما كان مدة ملك بني إسرائيل عند «الكاهن الأكبر الهاروني[(١)]»[(٢)] وحده، ولا ينكر ذلك من «النصارىٰ» ولا من اليهود إلا وقح عظيم المجاهرة بالباطل، واليهود تقرُّ أن السبعين كاهنًا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة، وذلك بعد المسيح في زمن القياصرة، ومن رضي تحريف موضع في كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف كثير.

ويقرُّ اليهود ـ أيضًا ـ أن السَّامرية[(٣)]، وهي فرقة حرَّفت التوراة تحريفًا بيِّنًا، والسَّامرية يدَّعون عليهم مثل ذلك من التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذٍ في التوراة شيء يوثق به، مع تقابل هذه الدعاوي من فرق اليهود، فكفَوْنا بأنفسهم من غيرهم»[(٤)]، هذا بالنسبة للتوراة.

وأما الأناجيل فقد ذكر ابن حزم أن عيسى عليه السلام

---

(١) الكاهن الأعظم هارون وهو أول من تقلد هذه الوظيفة «ولم يحدد زمن وفاته» حيث تدوم هذه الوظيفة مدة حياة صاحبها، وهو المشرف الأول المسؤول عن الهيكل، ولا يسمح لغيره بدخول قدس الأقداس. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٧٩٤). .

(٢) مقامع هامات الصلبان ٢٣٨ـ٢٤٢.

(٣) السامرية: طائفة يهودية سموا أنفسهم ببني «يسرول» أي: شعب إسرائيل، ويطلق اليهود على السامريين اسم «هـ ـ شمرونيم» أي: أهل شمرون، وهي السامرة التي كانت ذات يوم عاصمة ملوك إسرائيل. انظر: التوراة جاءت من جزيرة العرب، تأليف: كمال الصليبي، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

(٤) مقامع هامات الصلبان (١٤٢، ٢٣٨ـ ٢٤٢).

قال: «أنه لم يأتِ إلا لإحياء التوراة»[١]، وأما التحريف فقد وقع بواسطة بولس يقول ابن حزم: وفي الجملة إن المسيح جاء لإحياء التوراة وإقامتها. وقال: «إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضًا بل متممًا، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عندالله من أن تنقض شيئًا من شريعة موسىٰ ومن نقض شيئًا من ذلك يدعىٰ ناقصًا في ملكوت السماء»[٢].

ومازال هو وأصحابه كذلك إلى أن خرج من الدنيا وقال لأصحابه: «اعملوا كما رأيتموني أعمل، ووصوا الناس بما وصيتكم به، وكونوا معهم كما كنت معكم، وكونوا لهم كما كنت لكم»[٣] وما زال أصحابه بعده على ذلك وكذلك، ثم الذين بعد القرن الأول من أصحابه، ثم من بعدهم بالدهر الطويل.

وقد قال بولس في الكتاب الذي يمسونه «المسيح»[٤]: أنا قلت لهم: تهودون الناس.

وقال في السليحية[٤]: كنت مع اليهودي يهوديًا، ومع الرومي روميًا، ومع الأرمني أرمنيًا، وبولس هذا عندهم أجلُّ

---

(١) متىٰ ٥: ١٧.

(٢) متىٰ ٥: ١٧ـ ٢٠.

(٣) متىٰ ٥: ١٧ـ ٢٠ بمعناه.

(٤) ولم أجد هذين الكتابين (المسيح، السليحية) مع كثرة السؤال عنهما.

من موسىٰ وهارون وجميع الأنبياء[١].

وهذا اعتقاد فاسد؛ لأن العصمة لم تعط من الله لأحد إلا للأنبياء، وما عداهم من أتباعهم ليسوا معصومين من الخطأ والنسيان والمعصية والكتمان والتحريف والتبديل والإخفاء واتباع الأهواء.

وكلام بولس هذا فيه من الباطل البين والصفات المستقبحة في حق سائر البشر فضلاً عن أن تنسب للمسيح وهذا النفاق والتلون مع اليهودي والرومي والأرمني بملاقاتهم بما هم عليه من باطل وعدم البراءة من الوثنية والشرك وأظن أن مثل ذلك القول هو الذي جرأ بعض كتاب الأناجيل وسوغ لهم مجاراة الروم بعد ذلك وتبديل كثير من نصوص الإنجيل لينالوا الحظوة والقرب من الروم والأرمن ويتعايشوا معهم ويحصلوا على حمايتهم من اضطهاد اليهود لهم واستعبادهم لهم، وليتمكنوا من إعلان شعائرهم ودعوتهم التي شوهت بسبب هذا التبديل وتلك المداهنة وهذه الردة عن رسالة المسيح وإنجيله الصحيح الذي هو كلام الله»[٢].

---

(١) يعضد ذلك ما جاء في ترجمة «بولس» في قاموس الكتاب المقدس، حيث يقول: «بولس رسول الأمم العظيم...»، ومعلوم أن سائر الأنبياء ـ وعند النصارىٰ أيضًا ـ أنهم جاؤا لأقوامهم، بينما جعلوا بولس نبيًا لجميع الأمم، ثم يقول أيضًا: «ومثاله لا يزال يسود على اعتقاد المؤمنين، ويقود عبادتهم في كل أقطار العالم...» ص(١٩٦، ١٩٩).

(٢) الفصل (١٣٩) بتصرفٍ يسير.

وحتى يدفع كتبة الأناجيل وعلماء النصارى تناقض أقوالهم وعدم مطابقتها للعقل والفطرة جعلوا ما يقولونه أصلاً وحيًا من السماء بل وادعوا فعل الخوارق لتصديق ما ادعوه، يقول أبوعبيدة الخزرجي رحمه الله لأحدهم: «أما قولك لي إن في ملتكم صلحاء يظهرون براهين وقت الحاجة، فنعم هي البراهين!!

قد علمتها سرًّا وجهرًا، ولقد كنت عزمت على أن أضرب صفحًا عن التكلم في هذا البحث المخجل، ولكن تسلسل بي القول إلى ذلك...

فأذكر لك الآن بعض ما تيسَّر منها، لأُضحك عليكم الثكلىٰ فأقول: إن حذاقكم، وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة ينبئ عليها، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات، ثم عدَّ رحمه الله عددًا من القصص المخجلة، والحيل الماكرة من قبل زعمائهم.

كزعمهم أن يد الله تخرج لهم في يوم واحد معلوم من السنة من رواء ستر، وأنها يد أحد القساوسة واقف وراء الستر، ومن ذلك أنهم وضعوا صورًا من الحجارة «تماثيل» إذا قرىء الإنجيل عندها تبكي، وحقيقة الأمر أن لها مجاري دقاق في أجوافها متصلة بزُقٍّ مملوء ماءً يعصره بعض الشماسة فيندفع الماء في تلك المجاري، وتخرجه من عيون تلك

الأصنام على هيئة التماثيل.

وكزعمكم وجود قناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض، ولا تمسّ شيئًا منها ولا يمسّها شيء، وعندما سأل أحد رؤسائكم كاتبًا يهوديًّا عنده من ذلك، أعلمه اليهودي أنها حيلة، وأن ذلك تمسكه أحجار المغناطيس من الجهات الستّ، ثم دخل الرئيس ذلك المشهد وأمر بحفر جانبٍ واحد، فاستخرج مقطعًا من المغناطيس موازيًا للصليب، فمال إلى جهةٍ واحدة، ففهم الرئيس الأمر، وانصرف فما رؤي فيه بعد ذلك وغير ذلك من الحيل والهذيانات التي لا تجوز إلا عليكم، ولا يتعبد بها من جهال العالم غيركم».

ومما يدلل على التحريف الواضح في التوراة والأناجيل هو تأثرهم بالروم ونقل ما كان عند الروم وجعله دينًا يتعبد الله من خلاله يقول القاضي عبدالجبار: «أن للروم والصابئين دخن وتجوزات فاستمرت عند النصارىٰ فأسموها دخنة مريم، وما عرفته مريم ولا المسيح ولا أصحابه!! وكذلك تعظيم الأصنام، فجعلوا هذا بخور مريم كما جعلوا صومهم للمسيح[1]، كما جعلوا الخمر والقربان لحمه ودمه[2]،

---

(١) حيث جاء في إنجيل متىٰ: «وجاء تلاميذ يوحنا المعمدان إلى يسوع وقالوا له: ولماذا نصوم نحن والفريسيون، وتلاميذك لا يصومون فأجابهم يسوع: أتنتظرون من أهل العريس بينهم، لكن يجيء وقت يُرفع فيه العريس فيصومون» ٩: ١٤ـ ١٦.

(٢) متىٰ ٢٢: ١٩ـ ٢١، ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١: ٢٣.

وكانت الروم مع عبادتها الكواكب تعظم الأصنام وتصورها في الهياكل فبقيت على ذلك، بعد إجابتها لتعظيم الصليب، وما كان منهم في ذلك قصور، والمسيح وأمه وأصحابه عوضًا عن تلك الأصنام ثم تركوها شيئًا فشيئًا على الأيام والدهور.

ومن ذلك أيضًا إباحة الزنا(١)، وبغض الختان(٢)، وخصاء الأطفال خصوصًا من المسلمين، فيموت منهم الكثير وهم يدعون الرأفة والرحمة، وكانوا في أول الإسلام يحترزون على الأسارىٰ لقوة الإسلام وضعفهم ليفادوا بهم، فلما ساءت سيرة ملوك الإسلام قلت مبالاتهم.

وليس الخصاء من شريعة التوراة ولا إباحة الزنا لتعلم أن الروم ما تنصرت ولا أجابت المسيح، بل النصارىٰ ترومت وارتدت عن دين المسيح، وعطلت أصوله وفروعه،

---

(١) ولم أجد ما يدل على إباحة الزنا في الكتاب المقدس؛ بل الموجود في الكتاب المقدس تحريمه، كما جاء إنجيل متىٰ ٥: ٢٧ـ ٣٠: «وسمعته أنه قيل لا تزنِ، أما أنا فأقول لكم: من نظر إلى امرأةٍ ليشتهيها زنىٰ بها في قلبه، فإذا جعلتك عينك اليمنىٰ تخطىء فاقلعها وألقها عنك...»؛ لكن لعلها عادة اكتسبها النصارىٰ من الرومان كما يشير إلى ذلك عبدالجبار.

(٢) حيث ذكر أصحاب قاموس الكتاب المقدس ما نصه: «وقال بولس ـ رادًا على اليهود المتنصرين بخصوص الختان ـ في رسالته إلى «غلاطية»: «ها أنا بولس أقول لكم أنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا...» ٥: ٢ـ ٣، وأيضًا: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة» ٦: ١٥، ويتضح مما جاء في «كولوسي» ٢: ١١ـ ١٢، أن الرسول يعلم بأن للمعمودية في العهد الجديد نفس المكانة التي كانت للختان في العهد القديم» ص(٣٣٧، ٣٣٨).

وصارت إلى ديانات أعدائه وهو ما عليه هذه الطوائف من النصارىٰ. فعلوا ذلك طلبًا للرئاسة وعاجل الدنيا كما قد وجدته في كتبهم وفي إقرارهم مما تقدم ذكره لك»[١]، ثم يوضح الجاحظ أنه بعد كل ما تبين من التحريف والتناقض لم يجد النصارىٰ حلاً واحدًا.

حيث جعل هؤلاء القساوسة والرهبان التسليم لما في الكتب حلاً لهذه التناقضات وهروبًا من الأسئلة التي لا يستطيعون الجواب عليها يقول الجاحظ: «إنهم يزعمون «أي: النصارىٰ ورجال الكنيسة» أن الدين لا يخرج في القياس ولا يقوم على المسائل ولا يثبت في الامتحان، وإنما هو بالتسليم لما في الكتب والتقليد للأسلاف، ولعمري أن من كان دينه دينهم يجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم، وزعموا أن كل من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور مالم يتعمد الباطل ويعاند الحق، فإذا صاروا إلى اليهود قضوا عليهم بالمعاندة، وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة»[٢].

فالتحريف في التوراة والإنجيل ثابت من كل وجه كما أثبته العلماء السابقون[٣].

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ص(١٦٠، ١٦٨).

(٢) المختار في الرد على النصارى ٧٣.

(٣) وقد تكلم كثيرٌ من علماء الإسلام قديمًا وحديثًا عن مثل هذه المسألة، منها: بابٌ أفرده الشيخ أبوالفضل المالكي في كتابه: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف =

المبحث الثاني
في بيان جهل النصارى بكتاب الأناجيل ومترجميها وانقطاع السند إليهم

إن مما حرص عليه العلماء في القرون الستة الأولى أن بينوا أن الكتب التي بين أيدي النصارى في زمانهم غير موثوق فيها من حيث نسبتها إلى من تنسب إليهم ناهيك عن نسبتها إلى المسيح عليه السلام، فإذا كان لا يمكن إثباتها إلى من تنسب إليه فلا يمكن بحال أن تنسب إلى الله أو إلى الرسول الذي تتبعه الأمة المدعية.

يقول ابن حزم رحمه الله: «وأما فساد دينهم فلا إشكال فيه على من له مسكة عقل. ولسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارىٰ ليست من عند الله عزوجل، ولا من عند المسيح عليه السلام، كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء التي عند اليهود؛ لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بين أيديهم منزلة من عند الله عزوجل على موسىٰ عليه السلام، فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم في ذلك وأما النصارىٰ فقد كفونا

= الإنجيل» عنون له «الباب التاسع: في المعهود من فضائح النصارىٰ واليهود» من ص(٢٤٥ـ ٢٧١)، تحقيق: رمضان الصفناوي البدري، راجعه: د. مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

هذه المؤونة كلها؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله ـ تعالىٰ ـ على المسيح، ولا أن المسيح ـ عليه السلام ـ أتاهم بها؛ بل كلام أولهم عن آخرهم أريوسيهم وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبيهم، ولا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة»[١].

فهو يبين أن نسبتهم هذه الكتب إلى الأشخاص الذين ألفوها دليل على انقطاع سندها إلى المسيح عليه السلام فلا حاجة إلى البحث عن بطلان دعواهم لأن حقيقة قولهم أن هذه الكتب منسوبة إلى كتابها.

ولم يقف العلماء عند ذلك بل قاموا بتتبع ما يقال عن هؤلاء الكتبة، يقول ابن حزم: «إن جميع نقل النصارىٰ أوله عن آخره هو راجع إلى ثلاثة فقط.

وهم بولس، ومارقص، ولوقا، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط هم: باطره «بطرس»، ومتَّى، ويوحنا، ويعقوب، ويهوذا.

وكل هؤلاء من أكذب البرية وأخبثهم على ما نبين بعد هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ على إن بولس حكى في إحدىٰ رسائله إنه لم يبق مع باطره إلا خمسة عشرة يومًا، ثم لقيه مرة أخرى وبقي معه أيضًا يسيرًا ثم لقيه الثالثة فأخذا جميعًا وصلبا إلى لعنة الله. إلا أن الأناجيل الأربعة والكتب التي

---

(١) الفصل (٢/ ١٣).

ذكرنا أن عليها معتمدهم فإنها عند جميع فرق النصارىٰ في شرق البلاد وغربها على نسخة واحدة ورتبة واحدة لا يمكن أحد أن يزيد فيها كلمة ولا أن ينقص منها أخرىٰ، وإلا افتضح عند جميع النصارىٰ؛ لأنها مبلغة كما هي إلى مارقص ولوقا ويوحنا(١)؛ لأن يوحنا هذا هو الذي نقل إنجيل متى عن متى ورسائل بولس مبلغة كذلك إلى بولس»(٢).

---

(١) يقول موريس بوكاي: «تم تحرير هذه الأناجيل في بداية القرن الثاني، وبدأ ذكر الروايات التي تستند إلى هذه الأناجيل في نحو منتصف القرن الثاني لكن يصعب القول إن كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التي كانت تحت أيدي الكتاب، أو أنها اقتصرت على ذكر أجزاء من المأثور الشفهي اعتمادًا على الذاكرة.

انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص(٥٧)، وترجمة ونشر: دار المعارف، مصر.

ويقول سليم الجابي: «ويبدو أن المسيحيين حتىٰ ما يقارب من السنة (١٥٠م)، تدرجوا من حيث لم يشعروا إلا قليلاً جدًا إلى الشروع في إنشاء مجموعة من الأسفار المقدسة، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعلموها في حياتهم الكنسية، فقد كانت الوثائق البوليسية مكتوبة، في حين أن التقليد الإنجيلي، كان لا يزال في معظمه متناقلاً على ألسنة الحفاظ ولا يظهر شأن الأناجيل هذه المدة ظهورًا واضحًا قبل السنة ١٤٠، شأنًا يظهر أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة التي لها صفة ما يكرم». انظر: هل مات المسيح على الصليب ص(١٣٢)، مطبعة دمشق، ١٩٩٥م. وانظر: الفرق والمذاهب المسيحية من البدايات حتى ظهور الإسلام، لنهاد خياطة ص(١٦، ١٧) وما بعدها، مطبعة الأوائل، دمشق ٢٠٠٢م.

(٢) الفصل (٢/ ١٥ـ ١٦).

ويقول ابن حزم في نص آخر يدلل فيه على أن تعدد الأناجيل دليل على بطلانها حيث يقول: «وفي آخر إنجيل مارقس: إن المسيح قال لتلاميذه: «اذهبوا إلى جميع الدنيا وبشروا جميع الخلائق بالإنجيل فمن آمن وعمد يكون سالمًا، ومن لم يؤمن يعاقب، وهذه الآيات تصحب الذين يؤمنون وهم سيماهم على اسمي ينفون الجن، ويتكلمون باللغات الجديدة، ويقلعون الثعابين، وإن شربوا شربة قاتلة لم تضرهم، ويضعون أيديهم على المرضىٰ فينقهون[1]، وفي هذا الفصل أعجوبة من الكذب: بشروا بالإنجيل، فدل هذا على إنجيل أتاهم به المسيح وليس هو عندهم الآن وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجال معروفين ليس منها إنجيل ألف إلا بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ بأعوام كثيرة، ودهر طويل فصح أن ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح بأنه أتاهم به وأمرهم بالدعاء إليه قد ذهب عنهم لأنهم لا يعرفون له أصلاً، هذا لا يمكن سواه»[2].

فبين رحمه الله أنه قد ذكر في الإنجيل أن «الإنجيل» الذي نزل على عيسى عليه السلام واحد وهذه أناجيل متعددة مما يدلل على أنها تواريخ خاصة بمن كتبها ولا تنسب إلى المسيح عليه السلام.

---

(١) مارقس ١٦: ١٦ـ ١٨.

(٢) الفصل (٢/ ١٣٩).

ويقول الجاحظ: «بيان أن أصحاب الأناجيل ليسوا من الحواريين إلا اثنين على زعم النصارىٰ وهما: «يوحنا» و«متىٰ»، وأما مارقش، و«مرقس» و لوقش «لوقا» فهما من «المستجيبة» للدعوة النصرانية بعد رفع المسيح عليه السلام. وهنا فلا يؤمن الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على الأمور.

واختلاف رواياتهم في الإنجيل وتضاد معاني كتبهم، واختلافهم في نفس المسيح دليل على صحة قولنا فيهم وغفلتكم عنهم»[١].

فهو يبين أن أصحاب الأناجيل التي يزعمون أن ما يكتبونه هو من كلام المسيح عليه السلام ليسوا ممن عاصروا المسيح أو كانوا من تلاميذه فلا يؤمن الغلط أو النسيان أو تعمد الكذب فاختلافهم دليل على عدم صحة كتبهم بل وانقطاع السند حيث لا يصل إلى المسيح عليه السلام وهذا دليل على بطلان ما يقولونه.

ويرد الجاحظ أيضًا على تزكية النصارى لهم وأنهم قد يحتج لهم بأنهم لا يكذبون، يقول الجاحظ: «فإن قالوا: إنهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذبًا، وأحفظ من أن ينسوا شيئًا، وأعلى من أن يغلطوا في دين الله تعالىٰ أو يضيعوا عهدًا.

قلنا: إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل، وتضاد معاني

---

(١) المختار ص(٣٨ـ ٣٩).

كتبهم، واختلافهم في نفس المسيح مع اختلاف شرائعهم، دليلٌ على صحة قولنا فيهم وغفلتكم عنهم.

وما ينكر من مثل «لوقش» أن يقول باطلاً، وليس من الحواريين، وقد كان يهوديًا قبل ذلك بأيام يسيرة، ومن هو عندكم من الحواريين ليس خيرًا من «لوقش» عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة والطباع الشريفة وبراءة الساحة»[١].

بل ينقل القاضي عبدالجبار من أقوال بعض أصحاب الأناجيل بأنهم لم يروا المسيح وهذا دليل على انقطاع السند بينهم وبين المسيح عليه السلام، حيث يقول عفا الله عنه: «وعند هؤلاء الطوائف من النصارىٰ أن هؤلاء الأربعة أصحاب المسيح وتلاميذه، وهم لا يعلمون ولا يدرون من هم ولا معهم في ذلك إلا الدعوىٰ فقط. بل قد ذكر لوقا في إنجيله: أنه ما رأى المسيح؛ فقال لوقا مخاطبًا الذي عمل له إنجيله لمعرفتي ولأني كنت قريبًا إلى الذين خدموا الكلمة ورأوها»[٢] فهو قبل كل شيء قد صرح بأنه ما رأى الكلمة. ويعنون بالكلمة: المسيح. ثم ادعىٰ أنه رأى من رأى المسيح، وليس هاهنا إلا دعوىٰ بأنه رآهم ولو كان ثقة لما عُلم بخبره شيء.

ومع هذا فقد ذكر أن إنجيله أولىٰ من إنجيل غيره، ـ فلو تأمل النصارىٰ لعلموا أنهم ليسوا على شيء من هذه

(١) المختار ص(٩٩ـ ١٠٠).

(٢) إنجيل لوقا تقديم: ١.

الأناجيل التي معهم ـ ولا معهم علم مما يدعيه أربابها والواضعون لها. وأن الأمر في ذلك على ما ذكرنا. وهو معلوم مذكور في انصرافهم عن ملة المسيح إلى مذاهب الروم وتغريرهم وتعجلهم المنافع بسلطانهم وأموالهم»[١].

بل وصل من دقة معرفة علماء المسلمين بكتاب الأناجيل إلى معرفتهم الحقيقية بهم ومعرفة الوقت الذي كتبوا به أناجيلهم يقول ابن حزم: «ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارىٰ ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح كـ«باطرة»، و«متىٰ» الشرطي، و«يوحنا»، و«يعقوب»، و«يهوذا» الأخساء لم يكونوا قط مؤمنين؛ فكيف حواريين، بل كانوا كذابين كفارًا مستخفين بالله، إما مقرين بألوهية المسيح عليه السلام معتقدين بذلك غالين فيه كغلو السبئية وسائر الفرق الغالية في علي ـ رضي الله عنه ـ.

وكقول الخطابية بألوهية أبي الخطاب، وأصحاب الحلاج بألوهية الحلاج، وسائر كفار الباطنية، عليهم اللعنة من الله والغضب.

وإما مدسوسون من قبل اليهود كما تزعم اليهود، لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام، وإضلالهم؛ كانتساب عبدالله بن سبأ الحميري، والمختار بن أبي عبيد، وسائر دعاة القرامطة، والمشارقة، لإضلال شيعة علي رضي الله عنه.

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ص(١٥٥).

فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف، وسلم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة.

وأما الحواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقًّا ندين الله تعالىٰ بمحبتهم ولا ندري أسماؤهم؛ لأن الله تعالىٰ لم يسمهم لنا.

إلا أننا نبت ونوقن ونقطع أن «باطرة» الكذاب، و«متىٰ» الشرطي، و«يوحنا» المستخف، و«يهوذا»، و«يعقوب» النذلين، و«مارقس» الفاسق، و«لوقا» الفاجر، و«بولس» اللعين، ما كانوا قط من الحواريين لكن من الطائفة التي قال الله عنها: ﴿وَكَفَرَت طَّآيِفَةٌ﴾(١) وبالله تعالى التوفيق(٢).

ثم يفصل ابن حزم القول في هذه الكتب ومؤلفيها فيقول: «**فأولها**: تاريخ ألفه «متىٰ اللاواني» تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام، وكتبه بالعبرانية في بلد «يهوذا» بالشام يكون نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط.

والآخر: تاريخ ألفه «مارقس الهاروني» تلميذ شمعون بن يونا المسمى «باطرة» بعد اثنين وعشرين عامًا من رفع المسيح، وكتبه باليونانية في بلد أنطاكية من بلاد الروم، ويقولون إن شمعون المذكور هو ألفه ثم محا اسمه من أوله

---

(١) سورة الصف، الآية: ١٤.

(٢) الفصل (٢/ ٨٩ـ ٩١).

ونسبه إلى تلميذه مارقس، يكوّن أربع عشرة ورقة بخط متوسط، وشمعون تمليذ المسيح عليه السلام.

والثالث: تاريخ ألفه لوقا «الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون باطرة» كتبه باليونانية في بلد إقاية، بعد تأليف مارقس المذكور يكون من قدر إنجيل متىٰ.

الرابع: تاريخ ألفه «يوحنا بن سبزاي» تلميذ المسيح، بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية في بلد آستيه، يكون أربعًا وعشرين ورقة بخط متوسط، ويوحنا هذا نفسه هو مترجم إنجيل متىٰ صاحبه من العبرانية إلى اليونانية»[١].

ثم يبين رحمه الله حقيقة هذه الأناجيل وأنها ليست إلا تواريخ مؤلفة وليست حقيقة قول المسيح عليه السلام، حيث يقول رحمه الله: «وفي أول إنجيل لوقا: إن نفرًا قبلنا راموا وصف الأشياء التي كملت فينا كالذي دلنا عليه معشر الذين عاينوا الأمر وكانوا حملة الحديث فرأيت أن أقفوا أثرهم من أوله على التجريد، وأكتب لك أيها الكريم؛ لأن تفهم حقًّا الكلام الذي علمته، واطلعت عليه وأنت به ماهر»[٢]، هذا يبين أن الأناجيل تواريخ مؤلفة كما ترىٰ بنص كلام «لوقا»[٣].

(١) الفصل (٢/ ١٣ـ ١٤).

(٢) الفصل (٢/ ١٤٣).

(٣) لوقا ١: ١ـ ٥.

ثم يوضح رحمه الله أن أتباع المسيح بعد وفاته كانوا مستترين وخائفين وهذا مما أدى إلى التضارب بين الأناجيل وقد وضح أيضًا قلة أتباع المسيح عليه السلام في حياته يقول أيضًا: «وأما النصارىٰ فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مئة وعشرون رجلاً فقط...، وإن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين «خائفين» في حياته، وبعده يدعون إلى دينهم سرًّا لا يكشف منهم أحد وجهه إلى الدعاء إلى ملته، ولا يظهر دينه وكل من ظفر به منهم فإنه قتل إما بالحجارة، أو بالصلب، أو بالسيف، أو بأكل السم، وبقوا على هذه الحال لا يظهرون البته ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاث مئة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام»[(١)].

فالاستتار طوال هذه المدة دليل على عدم الوثوق بالخبر المنقول عنهم.

ثم أضاف رحمه الله قوله: «وكل دين كان هكذا فمحال أن يصبح فيه نقل متصل[(٢)]؛ لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا

---

(١) الفصل (٢/ ١٧) بتصرف.

(٢) يؤكد ذلك موريس بوكاي حيث يقول: «ومن الجدير بالذكر أيضًا أن نشير إلى هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد هي نتيجة عمل جماعي تضافرت عليه جهود أكثر من مئة متخصص من علماء اللاهوت الكاثوليك والبروتستانت، والأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد تعترف بها الكنيسة ولا تعترف بما سواها لم تُعْرَفْ إلا في عصر متأخر على الرغم من أنها كتبت في بداية القرن الثاني الميلادي ووفقًا لما =

يوجد إلا سرًا تحت السيف، لا يقدر أهله على حمايته، ولا على المنع من تبديله، ثم لما ظهر دينهم بتنصر

= أوردته مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل فقد بدأ ذكر الروايات المتعلقة بهذه الأناجيل في منتصف القرن الثاني، ولكننا نطالع في مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل أنه يكاد يكون عسيرًا التأكد مما إذا كانت نصوص هذه الأناجيل قد تقررت بناء على نصوص مكتوبة مأثورة عن أصحاب ومؤلفي هذه الأناجيل المنسوب إلى أيٍّ منهم تأليفها، أم أنها تعتمد على تراث شفهي اعتمادًا على الذاكرة والروايات الشفهية المتداولة ونقرأ أيضًا في مقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل قبل عام (١٤٠ بعد الميلاد) لم يكن هنالك بأي حال ما يدل على وجود كتابات للأناجيل تحريرية، وهذه الإفادة الموجودة بمقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل تتناقض تمامًا مع مايقرره «أ. تريكو» عندما كتب في مقدمة ترجمة للعهد الجديد ما نصه كما يلي: «ومنذ وقت مبكر من القرن الثاني الميلادي أصبح من المعتاد أن تقال كلمة «الإنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان يسميها القديس جوستين «مذكرات الرسل» في عام (١٥٠م) وما يؤسف له أن مثل الزعم الذي يزعمه «أ.تريكو» يتكرر كثيرًا وتتم إشاعته بين جمهور المسيحيين بحيث يصبح عامة الجمهور لا يعرفون إلا مثل هذه المعلومات الخاطئة عن تاريخ كتابة الأناجيل.

حقيقة الأمر هي: أن الأناجيل لم تتشكل بصورتها ونصوصها الراهنة في زمن مبكر بدرجة كافية إنها لم تكتمل إلا بعد أكثر من قرن من تاريخ انتهاء شأن المسيح مع قومه.

إن مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد تحدد تاريخ ظهور الأناجيل الأربعة واكتسابها مكانتها كأناجيل معتمدة بتاريخ محدد هو العام (١٧٠ بعد الميلاد).

ودعوى القديس جوستين بأن مؤلفي الأناجيل إنما هم «رُسُلٌ» يستحيل القبول بها أيضًا». انظر: التوراة والإنجيل والقرآن بمقاييس العلم الحديث، للدكتور: موريس بوكاي، ترجمة علي الجوهري ص(٩٢ـ ٩٣).

«قسطنطين»[١] كما ذكرنا فشا فيهم دخول «المنانية» تقيةً ولم يكن فيهم غير منانية مدلسون عليهم، فأمكنهم بهذا أن يدخلوا من الضلال ما أحبوا، ولا يمكن البته أن ينقل أحد عن شمعون باطرة ولا عن يوحنا، ولا عن متى ولا مارقس ولا لوقا ولا بولس آية ظاهرة، ولا معجزة شافية، لما ذكرنا أنهم كانوا مختفين مستترين متظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره[٢]، طول حياتهم إلى أن ظُفر بهم فقتلوا، وكل ما

---

(١) استطاع قسطنطين أن يجري مماثلة ومقابلة عادلة ـ كما يزعمون ـ بين الوثنية التي تلفظ أنفاسها وبين المسيحية النابضة بالحياة! والقوة!.

لقد عاش في صباه في بلاط ديوكليتان وغاليري وشاهد كل الاضطهاد على المسيحيين مع أنه كان حتى سنة ٣١٢ يعد وثنيًا حتىٰ أنه قام في سنة ٣٠٨ بخدمة للآلهة، لكن الشك الديني لم يفارقه، وتقربه من المسيحيين الموجودين في بلاطه جعله يميل نهائيًا إلى تفضيل المسيحية على الوثنية، ومع أن قسطنطين لم يكن قبل المعمودية فقد برهن سريعًا تحوله إلى المسيحية، ثم أمر قسطنطين بإرجاع كل ما أخذ من المسحيين ومن كنائسهم في زمن الإضطهاد والأخير من الأملاك الثابتة.
انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية لـ«الكسندروس» مطران حمص وتوابعها ص(٦٣ـ ٦٤) بتصرف.

(٢) يقول الأب: سلوم سركيس معلقًا على نحو هذا المعنىٰ: «هنا تبدأ المشكلة وهي أن الرسل والمسيحيين الأولين كانوا يهودًا بالأصل، على غرار معلمهم، وعلى غرار معلمهم تمسكوا بالتوراة والأنبياء، ثم إذا أبىٰ اليهود الإعتراف بأن يسوع هو المسيح توجه الرسل شطر الأمم. فخرجت المسيحية عن اليهودية واحتفظت بالتوراة والأنبياء فكان بين الطائفتين تراث مشترك، وكان بينهما نظريًا وعمليًا خلاف جوهري، مما يعني: أن المسيحيين لا يحق أن يسموا بالتدقيق أهل كتاب إلا بقدر ما يعترفون بأنه التوراة والأنبياء ما تزال قائمة لأنها في الأصل أنشئت تمهيدًا لمجيء =

يضيفه النصارىٰ إلى هؤلاء من المعجزات فأكذوبات موضوعة، لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد»[1].

ويضيف أبوعبيدة الخزرجي رحمه الله قوله: «وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم، وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل، ومن طالع كتبكم، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أيدي سبأ، وأنكم لا تلزمون مذهبًا، وليس هذا بغريب، فأناجيلكم ما هي إلا حكايات وتواريخ، وكلام كهنة وتلاميذ وغيرهم، حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن يبنى عليه شيء من أمر الدين إنما هو فكاهات في المجالس.

وتقولون مع ذلك أن الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا، وأمر المسيح باتباعه فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عندالله؟ وأين كلماته من بين هذه الكلمات؟

إن الذي تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظًا ـ وهو قليل ـ ولا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله؛ لأن المسيح كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية وغير ذلك، فهذا كله ليس من عند الله، فنحن لا نقول إن كل

= المسيح. . . .». انظر: العلاقة بين اليهودية والمسيحية ص(٥ـ ٦).

(١) الفصل (٢/ ١٧).

ما تكلم به محمد ﷺ قرآن، وقد نقل عنه القرآن - الموحىٰ من ربه لفظًا - نقلاً متواترًا، يقطع بصحته الخلف والسلف، أما أنتم فلا يتعين لكم شيء مما أنزله الله أبدًا، فضلاً عن نقله بعد تعيينه»[١].

وقد بين أبوعبيدة الخزرجي الخدعة التي أراد هؤلاء الضلال أن يخدعوا الناس فيها وهي ادعاء الإلهام حتى يغلقوا الطريق أمام ما يمكن أن يكون دليل على باطلهم من خلال إثبات انقطاع السند أو التناقضات التي وجدت في كتبهم حيث يقول أبوعبيدة موضحًا ذلك: «إن من ضل بعده - عيسىٰ عليه السلام - إلى مدة من نحو ثلاثمائة سنة كانوا مَهَرة في استدراك الأكاذيب وتقفية الإنجيل بها؛ فادَّعوا أنه «عيسى عليه السلام» يكلمهم في سحاب السماء، وفي أضغاث الأحلام وشدوا أزر ذلك بأن نصوا في الإنجيل أن الإيمان بعيسىٰ لم يتم إلا بعده، ليجعلوا ما جاؤوا به من الأكاذيب تمامًا لإيمانهم»[٢].

فمما سبق يتضح معرفة علماء المسلمين المعرفة الجيدة بدين النصارى وكتاب الأناجيل وبيان أنهم ليسوا هم من تلاميذ عيسى عليه السلام بل هم من الفساق الذين أفسدوا دين النصارى عليهم.

---

(١) المقامع (١٥٦- ١٥٧).

(٢) المقامع ص(١٤٢).

المبحث الثالث

إيراد الاختلافات والتناقضات الواردة في الأناجيل مما يمنع دعوى الوحي والإلهام من الله عزوجل

إن العلماء المسلمين لم يكتفوا بما ذكر سابقًا من أن الأناجيل ما هي إلا كتب تاريخ كتبت في ظروف معينة في أزمنة متباعدة عن زمن المسيح عليه السلام بل قاموا ببيان أن الأناجيل التي اعتمدها النصارى هي في حقيقة الأمر تمنع نصوصها دعوى أنها كتاب منزل من عند الله فهي تحمل في طياتها ما ينقض قول النصارى.

فمما دفع به علماء المسلمين في القرون الستة الهجرية الأولى دعوىٰ الإلهام طبيعة الرسالة النصرانية والدين النصراني.

يقول القاضي عبدالجبار: (على أنا لا نعرف دينًا أوسع ولا أرخص ولا أسهل من دين النصارىٰ، إذ ليس فيه زاجر يخوف كالحدود المكتوبة ولا النار ولا عذاب الآخرة. إن المعاند الذي عرف الحق وتركه. يلحقه غم مدة ثم ينجلي وينقضي.

فأما من لم يعاند وإن أخطأ وإن كان مع اعتقاده مخالفًا لدين النصارىٰ فليس عليه خوف ولا عقاب، إذا كانت نيته

سليمة. واعتقد الشيء على أنه حق وإن كان باطلاً»[١].

وقال أيضًا: «وأما النصارىٰ فليس عليهم خوف ولا يؤخذون بذنب من الذنوب، وقالوا؛ لأن الرب الذي هو الأب إنما أرسل ابنه ليصلب ويقتل؛ ليحمل خطايانا، ويغفر ذنوبنا، فليس دين يغري بالقبيح ويبعث على ارتكاب الفواحش ـ ويهيج على الفساد ـ أكثر من دين النصرانية. وهم يدعون فيه الضيق فخر منهم ومباهاة. وهو كما ترى، وإنما يدعون لأهله ولمن دعا إليه المعجزات لأنه ليس فيه حجة ولا على صحته دلائل»[٢].

ويبين القاضي رحمه الله أيضًا أن هذا الدين «النصراني» الموجود في الأناجيل مخالفٌ لما جاء به المسيح عليه السلام، ولأجل ذلك حصل الاضطراب والتناقض في الأصول والفروع «إن دين المسيح خلاف دين النصارىٰ، وإنهم قد خالفوه، فمن تأمل الأمر وجدهم أشد الناس خلافًا عليه واطِّراحًا لوصاياه في الأصول والفروع جميعًا، فأما في الأصول فقد آمنوا وعبدوا ثلاثة آلهة، وثلاثة أرباب ولا يختلفون في أن المسيح عيسىٰ بن مريم ليس بنبي ولا عبد صالح، وأنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأنه إله تام من إله تام، وأنه خالق السموات والأرض والأولين والآخرين

---

(١) دلائل النبوة (١٨٧، ١٨٨).

(٢) المرجع السابق (٢٠١).

ورازقهم ومجيبهم.

وفي النصارىٰ قوم استبصروا وأسلموا وتتبعوا المواضع والألفاظ التي تدعيها النصارىٰ على المسيح، وقالوا لهم: ما نعلم المسيح قال ذلك، ولو قاله لما ضاق مجازه وتأويله؛ كقولهم إنه قال: «ابن البشر رب السبت»[(١)]، و«أتىٰ قبل إبراهيم، وإنني بأبي وأبي بي وما أشبه ذلك»[(٢)])[(٣)].

حيث يوضح القاضي عبدالجبار عفا الله عنه في هذا النص الإفتراض الموجود بين النصارىٰ في اعتقادهم في المسيح عليه السلام، حيث يرد من آمن منهم على من لم يؤمن».

وهذا الاضطراب في الدين النصراني ناتج عن الأناجيل المحرفة، التي كتبها أصحابها على غير هدي عيسىٰ عليه السلام يقول أبوعبيدة في هذا السياق بعد ذكره لعددٍ من المتناقضات: «وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم، وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل، ومن طالع كتبكم، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أيدي سبأ، وأنكم لا تلزمون مذهبًا، وليس هذا بغريب، فأناجيلكم ما هي إلا

(١) متىٰ ١٢ : ٨، ومرقس ٢ : ٢٨، لوقا ٦ : ٥، بنص: «ابن الإنسان..».

(٢) يوحنا ١٤ : ٢٠.

(٣) تثبيت دلائل النبوة (١١٠).

حكايات وتواريخ، وكلام كهنة، وتلاميذ وغيرهم، حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين، إنما هو فكاهات في المجالس.

وتقولون مع ذلك أن الإنجيل كتاب الله، أنزله إلينا، وأمر المسيح باتباعه، فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عندالله؟ وأين كلماته من بين هذه الكلمات؟ إن الذي تنقلونه عن عيسىٰ عليه السلام لفظًا ـ وهو قليل ـ لا يلزم أن يكون منزلاً من عندالله، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضىٰ الطباع البشرية، وغير ذلك.

فهذا له ليس من عندالله فنحن لا نقول: أن كل ما تكلم به محمد ﷺ قرآن.

وقد نقل عنه القرآن ـ الموحى به من ربه لفظًا ـ نقلاً متواترًا، يقطع بصحته الخلف والسلف، أما أنتم فلا يتعين لكم شيء مما أنزل الله أبدًا، فضلاً عن نقله بعد تعيينه)[١].

ويبين الحسن بن أيوب أيضًا أن اختلاف النصارىٰ اختلاف في صلب العقيدة وفي مسألة الألوهية بخلاف غيرهم من أصحاب الديانات الأخرىٰ فهي خلافات في فروع الشريعة

---

(١) المقامع ص(١٥٧).

يخضع كثير منها لاختلاف الأحوال والزمان والمكان فيبطل مقارنة النصارىٰ لغيرهم في نقاط الخلاف بين رجال الدين قائلاً: (وقد بينا الحجج في بطلان كل قول لكم مما عقدتم به شريعة إيمانكم، ووجدنا قومًا منكم إذا نوظروا في ذلك، قالوا: قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلها فيها، ويتفرقون على مقالات شتىٰ، هم عليها وكل منهم يدَّعي أن الصواب في يده.

وهذا أيضًا من سوء الاختيار، وذهاب القلوب عن رشدها، وانصرافها عن سبيل حقها. فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم، ولا شكوا فيه، ولا تفرقوا القول فيما اختاروه، إلا أهل ملل النصرانية فقط. وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه، مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم، ومثل اختلاف المسلمين في القدر فمنهم من قال به ومنهم من دفعه.

وفي تفضيل قوم من أصحاب محمد ﷺ على نظرائهم بعد اتفاق جماعتهم على إلههم ومعبودهم وخالقهم، وأن الله إلٰه الخلق كلهم، واحدٌ لا شريك له ولا ولد. ثم اتفاقهم بعد ذلك على نبيهم محمد ﷺ، لا يشكُّون فيه، وعلى القرآن، وأنه كتاب الله المنزل على محمد المرسل لا يختلفون فيه.

فإذا صح اتفاقهم على هذه الأصول، كان ما سواها خللاً لا يقع معه كفر، ولا يبطل به دين، والبلاء العظيم

الاختلاف في المعبود)[١].

وأراد النصارىٰ الاعتذار عن بعض هذه التناقضات في أحكام دينهم، ولم يسلم لهم علماء الإسلام هذه الاعتذارات، يقول أبوعبيدة رحمه الله: (وأما قولك، إنك ترى الأحكام الشرعية حكمين: حكمًا توراويًا وهو «من لطمك فالطمه»[٢] وآخر إنجيليًا: وهو «مَنْ لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر»[٣] ولا ثالث لهما)[٤].

فقال أبوعبيدة: «إن ذينك الحكمين الذين أعدمت ثالثهما ناقصان، لم يتم فيهما رحمة الله على عباده، ليكون فضل التَّمام للشريعة الفرقانية، الأمة الإسماعيلية المعظمة كما شهدت لها العجوز القبطية[٥].

وبيان نقص ذينك الحكمين، أن الناس قد ينزل بهم الخطب الذي لا يصلح فيه الاقتصاص والانتقام، فإن يكن الداعي لهم ومرشدهم حينئذ يأخذهم بحكم التوراة لم يكن صالحًا، وربما نزل بهم الخطب الذي يصلح فيه الاقتصاص

(١) المرجع السابق (٤/ ١٧٩ـ ١٨١).

(٢) سفر اللاويين ٢٤: ١٩ـ ٢٠، بنص «وإذا أحدث إنسان في قريبه عيبًا فكما فعل كذلك يفعل به، كسر بكسر، وعين بعين، وسن بسن، كما أحدث عيبًا في الإنسان كذلك يحدث فيه».

(٣) متىٰ ٥: ٣٢ـ ٣٩.

(٤) رسالة القديس «حنامقار» إلى أبي عبيدة ضمن كتاب المقامع ص(٧٩).

(٥) لم أعرف من هي، ولم أجد لها ترجمة.

والانتقام، فإن يكن قائدهم حينئذ يأخذهم بالحكم الإنجيلي جرَّأهم ذلك على اقتراف ذنب آخر وهذا كله واضح. فإن يكن الراعي مع أحد الخطبين يأخذ بما يخالفه التماسًا للتدِّين، فقد أفسد نظام السياسة، وما فضل شريعة لا تُصلح نظام أهلها؟. وإن هو أخذ بما يوافق السياسة، وخالف الشريعة، كان في ذلك ما لا يخفى وما فائدة شريعة لا يستطاع امتثالها؟ فهذان حكمان ناقصان عما فيه صلاح العالم، إلى أن جاءت الآية الكبرى المعلمة بنور البشرى، الواردة بخير الدارين: الأولى والأخرى، وهي القرآن الكريم الذي تكملت على الناس فيه النعمة، وتمت لهم بأحكامه الرحمة، فنطق وهو أصدق القائلين، وحكم وهو أعدل الحاكمين فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1] ﴿وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2] فكل حكم ورد أخذ به الراعي مما يراه صالحًا لمقامه، كان فيه موافقًا للشريعة»[3].

وعمدة ما قام عليه دينهم عقيدة الفداء والخلاص للبشرية، وهذا مدعاة للانسلاخ من دينهم، لوجود هذا الفداء والخلاص، يقول نصر: «وقلتم: إن المسيح نزل من السماء،

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٦ـ ١٢٧).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٣٧).

(٣) مقامع هامات الصلبان (١٨١ـ ١٨٣).

فأبطل بنزوله الموت والآثام وهذا من العجب، وأعجب ممنْ قَبِلَه، ولا استقبح أن تعقد ديانة الله على مثل هذا المحال، ويدعو الناس إليه، وما هو ببعيد ممن عقد ما هو أمْحل وأبطل منها؛ لأنه إن كانت الخطيئة بطلت بمجيئة، فالذين قتلوه إذًا غير مأثومين، ولا خاطئين؛ لأنه لا خاطىء بعد مجيئه ولا خطيئة، وكذلك الذين قتلوا حوارييه، وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، وكذلك من تراه من جماعتكم، منذ ذلك الدهر إلى الآن، يقتل ويسرق ويزني ويكذب ويرتكب كل ما نُهي عنه، غير خاطئين»[١].

وكذلك أوضحوا أن الاختلاف في نسب المسيح عليه السلام دليل على عدم الوحي الذي يدّعونه يقول ابن حزم في ذلك: «ذكر لوقا الطبيب في الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام فقال: «إنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار، المنسوب إلى علي ابن ناثان، إلى لاوي، إلى ملكى إلى يمتاع، إلى يوسف ابن متاثيا، إلى حاموص، إلى ناحوم، إلى أشلا، إلى أبجا، إلى ماهان، إلى منشيا، إلى صمغي، إلى يصداق، إلى يهندع، إلى يوحنا، إلى رشا، إلى زربابيل، إلى صلثيال، إلى ملكى، إلى نادي، إلى مرا البن أربع، إلى قرصام، إلى اليمدان، إلى هار، إلى يوشع، إلى إليعازر، إلى يوريم، إلى ماثا، إلى لاوى إلى شمعون، إلى يهوذا، إلى

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص(١٠١).

يوسف، إلى يونا، إلى الياجيم، إلى ملكان، إلى اسنان، إلى عيشاع، إلى مناثا، إلى داوود النبي عليه السلام[(١)]؛ ثم ذكر نسب داوود كما نسبه متىٰ حرفًا حرفًا»[(٢)].

يضيف أبومحمد قوله: «فاعجبوا لهذه المصيبة الحالّة بهم ما أفحشها، وأوحشها، وأقذرها، وأوضرها، وأرذلها، وأنذلها، «متىٰ» الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار؟؟ ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داوود عليهما السلام أبًا فأبًا[(٣)]، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متىٰ حتى يخرجه إلى ناثان بن داوود أخي سليمان بن داوود، ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبًا، فيكذب متى أو لوقا، ولابد أن تكون كلا النسبتين كذبًا، فيكذب الملعونان لوقا ومتىٰ جميعًا، ولا يمكن البتة أن تكون كلا النسبين حقًا ـ ولوقا عندهم ـ لوق الله صورهم، وألاق وجوههم، ولقّاهم البلاء، وألقى عليهم الدمار واللعنة في الحق ـ فوق جميع الأنبياء عليهم السلام، فهذه صفة أناجيلهم، فاحمدوا الله أيها المسلمون على السلامة والعصمة»[(٤)].

---

(١) لوقا ٣: ٢٣ـ ٢٤.

(٢) انظر: الفصل (٢/ ٣٢ـ ٣٣).

(٣) متىٰ ١: ١٧.

(٤) الفصل (٢/ ٣٣).

ويضيف نصر رحمه الله: «ومن ذلك أن الإنجيل ينسب يوسف النجار الذي كان خطيب مريم، فقال متىٰ: «إن يوسف بن يعقوب بن مايان»(١).

وقال «لوقا»: «إن المسيح كان يظن أنه ابن يوسف بن هاد بن مطث»(٢))(٣).

ويعضد ذلك أبوعبيدة بقوله: (وفي الإنجيل الذي بأيديكم عن «متىٰ» الحواري حين ذكر نسب عيسىٰ عليه السلام، قال: هو ابن يوسف بن يعقوب بن قنان بن اليعازر بن أليود بن أخيم وهكذا إلى أن عَدَّ إلى إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ أربعين أبًا»(٤).

وفي إنجيل «لوقا» الحواري يقول في نسب عيسىٰ: «إنه ابن يوسف بن هالي» وهكذا عدَّ إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ خمسًا وخمسين أبًا»(٥).

فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله تعالى؟ حتى أن

(١) متىٰ ١: ١٥ـ ١٦.

(٢) لوقا ٣: ٢٣ـ ٣٢، ترى بعض المصادر المسيحية أن لوقا كان تلميذًا لبولس، ولكن الموسوعة البريطانية تشير إلى أن أفكار بولس لا تجد لها مكانًا في إنجيل لوقا وأن هناك اختلافات في وجهات النظر بين كتابات الرجلين، وتنتهي إلى القول: «باختصار أن مؤلف الإنجيل يظل مجهولاً. انظر: الموسوعة البريطانية (٢/ ٩٤٥).

(٣) النصيحة الإيمانية ص(٨٤).

(٤) متىٰ ١: ١٧.

(٥) لوقا ٣: ٢٣ـ ٣٤.

أحد ملوك العجم غير المتنصِّرة اطَّلع في أناجيلكم على هذا التناقض في نسب عيسى فعابه عليكم، وشافه أربابكم فيه، فلم يكن منهم من يعتذر عن ذلك وسقط بأيديهم ثم إن أحد الأساقفة سمع ذلك عن بُعد، فخاطب الملك بعذر تَخيَّل فيه وهو أن النسبين المتناقضين:

أحدهما: نسب طبيعي، نسب التناسل والتوليد.

والآخر: نسب شرعي، نسب الولاء والكفالة.

فاستحسن جمهوركم هذا الحذر وعمل عليه)[١].

وقد أضاف ابن حزم رحمه الله: «أما جمهور اليهود فيقولون أنه لغير رشده حاشاه من ذلك؛ بل إن طائفة قليلة من اليهود يقولون إنه ابن يوسف النجار[٢]. وما نرى متىٰ إلا

(١) انظر: المقامع (١٤٧ـ ١٤٨).

(٢) والواقع أن النسب الذي يصل إلى يوسف رجل مريم لايمت بصلة إلى المسيح عليه السلام والأناجيل نفسها تورد أن يوسف ليس والد المسيح إنما هكذا نسب المسيح ليوسف؛ لأنه كان خطيب أمه مريم، وطائفة من اليهود يقولون إن المسيح ابن يوسف النجار، ومانرى «متىٰ» إلا شاهدًا لقولهم، ومحققًا له وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا نسب يوسف النجار إلى داود، ولو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر، لكنه لم يذكر نسب مريم أصلاً. وقد ذكر «لوقا» في الباب الثالث من نسب المسيح عليه السلام فقال: إنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر «متىٰ»، وهذا التناقض لا بد أن يشير إلى أن أحد الكاتبين متىٰ ولوقا يكذب بعضهما الآخر ولابد أن يكون كلا النسبين كذبًا.

إننا عندما ندرس العهد الجديد نلاحظ أن كُتَّابه أكدوا بشدة على أن يسوع هو=

شاهدًا لقولهم ومحققًا له، وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داوود ثم لا يذكر إلا يوسف النجار إلى داوود، ولو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر، لكن لم يذكر نسب مريم أصلاً. ثم لم يستح النذل من أن يحقق ما ابتدأ به، فبعد أن أتم نسب يوسف النجار قال: من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبًا، فجميع المواليد من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا.

تأكد هذا الملعون كذبه وأن المسيح ولد يوسف، لابد من ضرورة أحدهما وإلا فكيف يكون من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبًا، والمسيح ليس هو ابنًا لأحدهم. ولاهم آباء له، وكيف يكون من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا ولا مدخل للمسيح في تلك الولادات إلا كمدخله في ولادات أهل الهند، وأهل اليمن، وأهل ططفه، وسقر وسقران ولاخرق[1].

هذه فضائح الدهر وما لا يأتي به إلا أفحش البرية، ونعوذ بالله من الخذلان ثم كذب آخر وهل زائد. وهي قوله: فمن إبراهيم إلى داوود أربعة عشر أبًا.

قال أبومحمد: «هذا كذب أنى هم على ما ذكرنا ثلاثة

= ابن داود فالمسيا الموعود به والذي يجب أن ينقذ الشعب من خطاياه وعبوديته يجب أن يكون من نسل داود. انظر: العقيدة النصرانية لحسن الباش (٧٩، ٨٠).

(١) الفصل لابن حزم الظاهري ص (٢٩، ٣٠).

عشر: إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يهوذا، زارح، حصروم، أرام، عميناذاب، نجشون، أشلومون، بوعز، عوبيز، وأنشأى، فهؤلاء ثلاثة عشر أبًا ثم داوود ولا يجوز البتة أن يعد داوود في آباء نفسه، فيجعل أبًا لنفسه وهذه ملحنه. ثم قال: ومن داوود إلى الرحلة أربع عشر أبًا وليس كذلك لأن نحنيا هو الراحل بنص متىٰ. وأنه لم يولد على قوله صلئيال إلا بعد الرحلة فهم: أشلومون، ورحبعام، رابيوب، وأشا، ويهوثافاط، وبهورام، وأخرياهو، ويوثام، وأحاز، ومنشأ، وأمون، ويوشاهو، ويحنيا.

وقد عد داوود قبل فإن عده ههنافقد حققوا الكذب في الفصل الذي قبله وإن لم يعدوه ههنا فقد كذبوا في هذا العدد الثاني أو جعلوا يحنيا أبًا لنفسه وهذا هوس»[١].

ثم قال: «ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبًا، وهذا فصل جمع كذبتين عظيمتين، **أحدهما**: أنه إذا عد صلئيال من بعده إلى يوسف النجار فليسوا إلا اثنى عشر رجلاً فقط وهم: صلئيال، وأبيوب، والياجيم، وأزور، وصدوق، وآجيم، واليوث، والعازار، وزربابيل، وماثان، ويعقوب ويوسف. فإن عد فيهم يحنيا كانوا ثلاثة عشر، وهم يقولون أربعة عشر ما عجبوا لهذا الحيف ولهذا الضلال واعجبوا من رعونة كل من جاز هذا عليه واعتقده دينًا.

---

(١) الفصل لابن حزم الظاهري ص (٣٠).

ثم إن كان عنى أنهم آباء المسيح فيوسف والد المسيح وكفر ـ لهذا عندهم كفر ـ فقد كفر متىٰ أو كذب وجهل لابد من أحد ذلك. ثم قوله: «فمن إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودًا». وهذا كذب فاحش وجهل مفرط؛ لأنه إذا عد إبراهيم ومن بعده إلى يوسف وعد يوسف أيضًا منهم أربعون فقط؛ فإن عد المسيح وجعله ولد يوسف لم يكونوا أيضًا. إلا واحدًا وأربعين فقط.

فاعجبوا ممن يدين الله تعالى بهذ الحيف واحمدوه على السلامة»[(١)].

وأدىٰ اختلافهم في نسب المسيح إلى نسبة أخوةٍ إليه، واختلفوا فيهم أيضًا كعادتهم.

قال نصر رحمه الله: «ثم إنكم اختلفتم في إخوة المسيح، وقد جاء في «تفسير الأناجيل» لإيليا بن ملكون الجاثليق: «إن المسيح كان له أربعة إخوة وهم: موسىٰ، وشمعون، ويهوذا، ويوحنا، وثلاث أخوات، فمنكم من قال: إنهم أولاد مريم عليها السلام من يوسف النجار وأنهم أتوا بعد ولادة المسيح عليه السلام، واستدلوا على ذلك بما نطقت به الأناجيل وهو: إن جبريل تراءى ليوسف خطب مريم، وقال له: خذ خطيبتك مريم واصعد إلى الجبل، ولا تباشرها

(١) الفصل لابن حزم الظاهري ص (٣٠، ٣١).

حتى تلد ابنها البكر، ومنهم من قال: إن يوسف النجار تزوج امرأة أخرىٰ، وكان اسمها أيضًا «مريم»، وأولد منها هؤلاء الأولاد، وبينما هم يتحاورون في ذلك إذا بصبي يقال له: «مواميس» وأنه قال: حاشا الجسد الذي حلَّ فيه جسد المسيح المخلِّص أن يحل فيه جسد آخر، وقد كان أمامهم صورة مريم في جدار وأن تلك الصورة نطقت، وقال: صدقت بفم الذهب، فسمي ذلك الصبي: بـ«فم الذهب» وقصته مشهورة، وانقطع الكلام، وجزموا بما نطقت به تلك الصورة...»[١].

واستدل علماء القرون الستة الهجرية الأولىٰ على بيان تحريف وتناقض النصارىٰ باختلافهم وتضاربهم وتناقضهم في صفات عيسىٰ عليه السلام، يقول ابن حزم رحمه الله: «فهذه سبعون فصلاً في أناجيلهم من كذب بحت ومناقضة لا حيلة فيها، ومنها فصول يجمع الفصل منها ثلاث كذبات فأقل أو أكثر، على قلة مقدار أناجيلهم.

وجملة أمرهم في المسيح ـ عليه السلام ـ أنه مرة بنص أناجيلهم: ابن الله[٢]، ومرة هو: ابن يوسف، وابن داود[٣]،

(١) النصيحة الإيمانية (١٣٦، ١٣٧). وانظر: تاريخ ابن البطريق (١٣٥، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٤٩)، وكتاب منسى يوحنا، حل مشكلات الكتاب المقدس، مكتبة المجد بالقاهرة..

(٢) راجع متىٰ ١٦: ١٦.

(٣) متىٰ ١١: ١٦.

وابن الإنسان[١]، ومرة هو: إله يخلق ويرزق[٢]، ومرة هو: خروف الله[٣]، ومرة هو في الله، والله فيه، ومرة هو: في تلاميذه وهم فيه[٤]، ومرة هو: علم الله وقدرته[٥]، ومرة لا يحكم على أحد، ولا تنفذ إرادته، ومرة هو: نبي وغلام[٦]، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه[٧]، ومرة قد انعزل الله له عن الملك، وتولاه هو، وصار يشرف لله تعالىٰ ويعطي مفاتيح السموات[٨]، ومرة يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض[٩]، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل، ويعطش ويشرب[١٠]، ويعرق من الخوف، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تينًا يأكله[١١]، ويفشل فيركب حمارة، ويُؤخذ ويُلطم وجهُه، ويُضرب رأسُه بالقصبة، ويُبزق في وجهه، ويُضرب ظهرُه بالسياط، وتمر به الشرط، ويتهكمون به، ويُسقى الخلَّ

---

(١) متىٰ ١٣ : ٤١، ومرقس ١٤ : ٢١.

(٢) متىٰ ١٣ : ٤١ ـ ٤٢.

(٣) يوحنا ١ : ٢٩.

(٤) يوحنا ١٤ : ٢٠.

(٥) يوحنا ١٦ : ٣٠.

(٦) لم أجدها.

(٧) متىٰ ٢٦ : ٢٨ـ ٤٢.

(٨) متىٰ ١٦ : ١٩.

(٩) متىٰ ١٦ : ١٩.

(١٠) متىٰ ٢١، ١٨، لوقا ٤ : ٢.

(١١) مرقس ١١ : ١٣.

في الحنظل، ويصلب بين سارقين، وتسمر يداه، ومات في الساقة[١]، ودفن ثم يحيا بعد الموت[٢]، ولم يكن له هم إذ حيا بعد الموت، واجتمع بأصحابه إلى طلب ما يأكل فأطعموه الحوت المشوي، وسقوه العسل ثم انطلق إلى شغله.

هذا كله نص أناجيلهم، وهم قد اقتصروا في دينهم من كل هذا على أنه إلٰه معبود فقط، وهم يأنفون من إلٰه مع الله. وأناجيلهم وأمانتهم توجب أن المسيح إلٰه آخر غير الله، بل يقعد عن يمين الله وأنه أكبر منه، وهو يخلق كما يخلق، ويحيى كما يحيى؛ فبالضرورة توجب أنهم قائلون بإلٰهين ولابد من متغايرين»[٣].

وأوضح الحسن بن أيوب اختلافهم في حقيقة المسيح مما يدل على عدم صحة هذه الكتب وتناقضها، حيث قال: «ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها ومعبودها واحدًا يتمسكون بأمر المسيح ـ عليه السلام ـ وتلامذته، وإنجيله، وسنته وشرائعه، وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف؛ فمنهم من يقول: إنه عبد[٤]، ومنهم من يقول إنه

---

(١) يوحنا ١٨: ٢٢. وانظر: متىٰ الإصحاح السابع والعشرون والثامن والعشرون، ومرقس الرابع عشر والخامس عشر، ولوقا الثاني إلى الرابع.

(٢) لوقا ٢٤: ٣٦ـ ٤٩.

(٣) الفصل (٢/ ٢٠٠).

(٤) كاتباع بولس الشمسشاطي. انظر: محاضرات في النصرانية أبوزهرة ص(١٥١)، الفصل (٤/ ١٠٩ـ ١١٠).

إلٰه[(١)]، ومنهم من يقول: إنه ولد[(٢)]، ومنهم من يقول: إنه أقنوم وطبيعة[(٣)]، ومنهم من يقول: إنه أقنومان وطبيعتان[(٤)]. وكل منهم يكفر صاحبه، ويقول: إن الحق في يده، وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه، ولا من قياسه لنفسه وتأوله بما يصح له عند المناظرة، وإنما يرجع في دينه واعتقاده إلى ما تأوله له المتأولون، بما يخالف إنجيلهم، وكتبهم بالهوىٰ والعناد من بعضهم لبعض، فهم يشركون بالله على التأويل ولا شريك له، ويدّعون له ولدًا من جهة ما أحدثوا لأنفسهم ـ سبحانه ـ أنَّى يكون له ولد»[(٥)].

كما بين القاضي عبدالجبار تناقضهم في حقيقة المسيح كذلك، مما لا يمكن نسبته إلى عقلاء البشر دون الله، بقوله: «وعند هذه الطوائف الثلاثة أن المسيح صار مسيحيًا وإلهًا خالقًا رازقًا معبودًا من بشر الملك أمه وساعة تحمل به، فاتحد به الإله فصارا جميعًا منذ ذاك، مسيحًا واحدًا وإلهًا

(١) وهذا بعد مجمع نيقية استقرت عليه النصرانية. انظر: محاضرات في النصرانية ص(١٥٦ـ ١٥٧).
(٢) كالنسطورية. انظر: ص(١٣٥).
(٣) وهم اليعاقبة القائلون بالطبيعة الواحدة. انظر: محاضرات النصرانية ص(١٥٩ـ ١٧٥)، نشأة الفكر (١/ ٩٧ـ ٩٨).
(٤) الملكانية وهم القائلون بالطبيعتين. انظر: نشأة الفكر (١/ ٩٥)، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث ص(٢٠١، ٢٠٢).
(٥) الجواب الصحيح (٤/ ١٧٩).

واحدًا وأن الاتحاد ما انتقص عندهم ولا بطل ولاخرج عن المسيحية والإلهية لا في حال الحمل ولا في حال الولادة ولا في حال النوم ولا في حال الأكل وفي حال البول والتغوط ولا في حال مرض ولا في حال القتل ولا في حال الموت، وأنه في جميع هذه الأحوال مسيح وإلٰه ورب معبود وخالق ورازق ومدبر.

ويقولون: هو أحيا نفسه بعد الموت؛ لأنه محال عندهم أن يحيي الموتى غير المسيح قد علمت تسبيحة الإيمان وتفضيلها فارجع إليه ففيه ثم كفاية لتعلم مغالطة النسطورية وجميع من يجادل عن النصرانية، وقد قال «بولوص» وهو عندهم فوق الأنبياء وقد ذكر صنيع اليهود والمسيح: لو علموا لما صلبوا رب المجد الذي له الحمد والبركات أبد الدهر.. قالت النصارىٰ هذه كلها أقاويلنا وفيها حقيقة مذهبنا»[1].

يؤمن النصارىٰ بشريعة الإيمان أو قانون الأمانة أو الإيمان النيقوي، الذي اعتمده مجمع نيقيه، والقائل بتأليه المسيح، وبعقيدة التثليث، الذي هو قول اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة، التي رُدّت في مجمع «خلقدونية» سنة ٤٥١م مما يدل على ردّ شريعة الأمانة، وأن دينهم ليس وحيًا أو إلهامًا، يقول الحسن بن أيوب: «إن كانت الشريعة بمعنى

---

(١) تثبيت دلائل النبوة.

الأمانة عندكم حقًّا[١] فالقول ماقال يعقوب[٢]، وذلك أنا إذا ابتدأنا من الشريعة في ذكر المسيح، ثم نسقنا المعاني نسقًا واحدًا، وانحدرنا فيها إلى آخرها، وجدنا القوم الذين ألفوها لكم قد صححوا أن يسوع المسيح هو ابن الله، وهو بكر الخلائق كلها، وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع، وهو إلٰه حق من إلٰه حق من جوهر أبيه، وهو الذي أتقن العوالم، وخلق كل شيء على يده، وهو الذي نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقتل وصلب، فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه أن ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم، ويلعن من ألفها. . . وإنما أخذت تلك الطائفة ـ يعني: الذين وضعوا الأمانة بكلمات وذكروا أنهم وجدوها في الإنجيل ـ مشكلات تأولت فيها لما وقع بهواها، وتركت ما في الإنجيل من الكلام البيِّن الواضح الذي يشهد بعبودية المسيح، وشهادته بذلك على نفسه، وشهادة تلاميذه به عليه، فأخذت بالمشكل اليسير، وجعلت له ما أحبت من التأويل، وألغت الواضح الكثير الذي لا يحتاج إلى تأويل»[٣].

وأضاف الحسن بن أيوب قوله: «فإن لجُّوا في الباطل،

---

(١) أي: إذا كانت شريعتكم هي قانون الأمانة الذي تأخذون به والذي أقره المجمع النيقوي.

(٢) «في أن مريم هي التي ولدت الله».

(٣) الجواب الصحيح (٤/ ١١٥ـ ١١٦).

ودافعوا عن قبيح هذه المقالة «ألوهية عيسىٰ»، ومالوا إلى تحسينها بالتمويهات المشككة لمن قصرت معرفته، فنحن نقيم عليهم شاهدًا من أنفسهم لا يمكنهم دفعه، وذلك أن شريعة إيمانهم التي ألفها لهم رؤساؤهم من البطاركة، والمطارنة، والأساقفة، والأحبار في دينهم، وذوي العلم منهم بحضرة الملك، عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة قسطنطينية، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً، يصفون أنهم نطقوا بها بروح القدس، وهي التي لم تختلف جماعتهم عند اختلافهم في المقالات فيها، ولا يتم لهم قربان إلا بها على هذا النسق الذي نبينه، نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم: وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنسانًا وحبل به، وولد من مريم البتول، وتألم وصلب أيام تيطوس بن بيلاطوس، ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرىٰ للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح، ومجيئه، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية سيليحيه جاثليقيه، وبقيامه أبداننا وبالحياة الدائمة إلى

أبد الآبدين][(١)].

فهذه الشريعة يجتمع على الإيمان بها، وبذل المنهج فيها، وإخراج الأنفس دونها جماهيرهم من الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية.

وقد اعترفوا جميعًا بأن الرب المسيح الذي هذه صفته «في شريعة إيمانهم» على ما اقتصصناه منها: الإله الحق، نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنسانًا وحُبِل به ووُلِدَ من مريم البتول، وتألم وصلب... فهل في هذا الإقرار شبهة أو عَلقة يتعلق بها العَنِتُ المدافع عن الحجة؟ فتدبروا هذا القول يا معشر النصارىٰ، فإنه لا يمكن أحد منكم أن يخرج عنه، ولا أن يدفع ما صرح به. فإنكم إن قلتم: إن المقتول المصلوب هو الله ـ سبحانه وتعالىٰ عما يقولون ـ فمريم على قولكم ولدت الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ.

وإن قلتم: إنه إنسان فمريم ولدت إنسانًا، وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم فاختاروا أي القولين شئتم فإن فيه نقض الدين»[(٢)].

ويذكر أبوعبيدة رحمه الله دليلاً آخر على بطلان أن الأناجيل وحيًا أو إلهامًا لذكرها صفة لألوهية المسيح، لا تليق

---

(١) ذكر نصها ابن البطريق في كتابه (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) وسبق عزوها.

(٢) رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه علي ضمن الجواب الصحيح (٤/ ٩٧ـ ٩٩).

بصفات الإله، فيقول: «وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه أن يحيىٰ قال فيه: «أنه يجب أن يكبر ولا ينقص»[١].

أخبرني أيها المغرور عمن كان إلهًا تامًّا كما تصفون، كيف تلحقه الزيادة ويدركه النقصان أو تأخذه الآفات؟.

وقال أبوعبيدة أيضًا: «وفي الإنجيل للوقا إن عيسى قال لرجلين من تلامذته: اذهبا إلى الحصن الذي يقابلكما، فإذا دخلتما، فستجدان جحشًا مربوطًا لم يركبه أحد فحلَّاه وأقبلا به إليَّ»[٢].

وفي الإنجيل لمتىٰ يصف هذا الخبر بعينه ويذكر «أنه كان معها أتانه»[٣].

فحسبك هنا من خلل ووقوع تشكيك].

«وفي الإنجيل «للوقا» يخبر عن المرأة التي صَبَّت الطيب على رجلي المسيح، وأنكر ذلك التلاميذ، وقالوا: هلاَّ تَصَدَّقْتِ به[٤].

وفي الإنجيل لمتىٰ يصف هذا الخبر بعينه ويذكر أنها صَبَّت الطيب على رأس المسيح[٥] فما أبعد اليقين عن خبر

(١) يوحنا ٣: ٣٠.
(٢) لوقا: ٤:٢١.
(٣) متى: ٤:٥.
(٤) لوقا: ١٠:٣٧.
(٥) متى: ٢١:١٣.

فيه هذا الاختلاف»[١].

ومما استدل به العلماء السابقون على عدم دعوى الإلهام قصص ينسبونها إلى المسيح عليه السلام، يقول ابن حزم رحمه الله في ذلك: «وفي هذا الفصل عجائب لم يسمع بأطم منها، أولها: إقرار الصادق عندهم بأن إبليس قاد المسيح عليه السلام مرة إلى جبل منيف وانقاد له ومضى معه[٢]، وقاده مرة أخرى إلى أعلى صخرة ببيت

(١) مقامع هامات الصلبان: ١٢٥.

(٢) متىٰ ٤: ٨، وفي الإصحاح الرابع قال، ف١: ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح، ليجرِّب من إبليس فبعدما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة، جاع أخيرًا، فتقدم إلى المجرب، وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزًا، فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وواقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل؛ لأنه مكتوب أنه يوحى ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع: مكتوب ـ أيضًا ـ لاتجرب الرب إلٰهك، ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جدًّا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعًا إن خررت وسجدت لي، حينئذٍ قال له يسوع: اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب: للرب إلهك تَسْجُدْ، وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه» انتهىٰ.

فلقد أثبت عبودية المسيح بكونه يصوم أحيانًا، ويعتريه الجوع، وهذه صفات البشر، ثم إن في عرضه على إبليس ليجرَّب، أقوى شاهد على عبوديته.

وهل يصدق الصغير الذي لم يبلغ الحلم أن يكون إلٰهًا يعرض نفسه على المطرود من رحمته ليجربه، لقد ضاع رشدُك أيها المسيحيُّ المسكين، في خضوعك لهذه التُّرَّهَات التي دلسها عليك مترجم هذا الإنجيل فتنبه =

المقدس[١]، فما تراه إلا ينقاد لإبليس حيث قاده، ولا يخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعًا سامعًا، فما تراه إلا منصرفًا تحت حكم الشيطان وهذه والله منزلة رذلة جدًا، أو يكون قاده كرهًا فهذه منزلة المصروعين، الذين يتخبطهم الشيطان من المس، وحاشا الأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله، وابن إله بزعمهم...؟ وما سمع قط بأحمق من هذا الهوس، ونحمد الله تعالى على عظيم نعمته، ثم الطامة الأخرى كيف يطمع إبليس عند هؤلاء النوكى في أن يسجد له خالقه، وفي أن يعبده ربه، وفي أن يخضع له من فيه روح اللاهوت...؟ أم كيف يدعوا إبليس ربه وإلهه أن يعبده؟ والله إني لأقطع إن كفر إبليس وحمقه لما يبلغا قط هذا المبلغ، فهذه آبدة الدهر؛ ثم عجب آخر كيف يمني إبليس رب الدنيا وخالقها، وخالقه، ومالكها ومالكه، وإلهها وإلهه، في أن يملكه زينة الدنيا؟ فهذه كما تقول عامتنا «أعطه من خبزه كُسيره»، ما هذه الوساوس التي لا ينطق بها إلا لسان من حقه سكنى المارستان، أو عيّار كافر مستخف بقوم نوكى يوردهم ولا يصدرهم ما شاء الله كان!!

= وتأمل....انظر: الفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن باجه جي زادة ص (٦٠، ٦١)، لوقا ٤ : ٥.

(١) لوقا ٤ :٣، بنص: «قال له إبليس: إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزًا».

فإن قالوا إنما دعا إبليس الناسوت وحده وإياه عنى أبليس.

قلنا: «فإن اللاهوت والناسوت عندكم متحدان بمعنىٰ أنهما صارا شيئًا واحدًا، والمسيح عندكم إله معبود، وقد قلتم ههنا إن إبليس قاد المسيح فأنقاد له المسيح، ودعاه إبليس إلى عبادته والسجود له، ومناه إبليس بملك الدنيا، وقال للمسيح وقال له المسيح أو قال ليسوع، وقال له يسوع ـ وعلى قولكم إنه إنما خاطب الناسوت وحده ـ فإنما دعا نصف المسيح، ونصف يسوع، وإنما منّى بزينة الدنيا نصف المسيح، فقد كذب لوقا ومتىٰ على كل حال، وأهل الكذب هما فكيف ونص كلامهما، جذت ألسنتهما في لظى ـ يمنع من هذا؟ ويجب أن إبليس إنما دعا اللاهوت؛ لأنه قال له: إن كنت ابن الله فافعل كذا، ولو لم يكن في الأناجيل إلا هذا الفصل الأبخر وحده لكفى؛ فكيف وله فيها نظائر جمة»[(١)].

ويقول الحسن بن أيوب كذلك عن هذه القصة: (أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مسكة، أن هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إلٰه، ولو كان إلهًا لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيه الملك من عند ربه، ولما قال: «أمرنا أن لا نجرب الله، وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئًا سواه»، وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل أن يربطه عن أمته... فهذه أمور إذا تأملها

---

(١) الفصل (٢/ ٣٦ـ ٣٧).

المتأمل قبحت جدًّا، وكثر اختلافها، واشتد تناقضها واضطرابها)[١].

ويستدل العلماء كذلك بقصته مع بطرس على رد دعوىٰ الوحي والإلهام المزعوم، يقول ابن حزم رحمه الله في ذلك: «فاعجبوا لهذه الفضائح وتأملوها، اتفق متىٰ ومارقش على أن أول ما كانت صحبة شمعون باطرة[٢]، وأخيه اندرواس ابني يونا للمسيح عليه السلام، فإنها كانت بعد أن سجن يحيىٰ بن زكريا عليه السلام؛ إذ وجدهما المسيح يدخلان شبكتهما في البحر للصيد.

وقال لوقا: أنه وجدهما أول ما صحباه، إذ وجدهما قد نزلا من المركب لغسل شباكهما، وأنهما قد تعبا طوال الليل ولم يصيدا شيئًا[٣].

وقال يوحنا: أن أول ما صحباه إذ رآه أندرياش أخو شمعون باطرة وهو واقف مع يحيىٰ بن زكريا، وأنه كان تلميذًا ليحيىٰ، وأن يحيىٰ حينئذ كان يعمد الناس، فلما سمع أندرياش قول يحيىٰ إذ رأى المسيح هذا خروف الله ترك يحيىٰ وصحب المسيح، وذلك في الساعة العاشرة، وبات عنده تلك الليلة ثم مضىٰ إلى أخيه شمعون باطرة وأخبره، وأتى به إلى

(١) رسالة الحسن إلى أخيه علي ضمن الجواب الصحيح (٤/ ١٠٩).

(٢) أي: بطرس كما يسميه الإنجيل.

(٣) لوقا: ١ :١١.

المسيح فصحبه، وهي أول صحبته له»[١]، فبعضهم يقول أول صحبة باطرة وأخيه اندرياش للمسيح كانت بعد سجن يحيىٰ بن زكريا، وهو قول متىٰ ومارقش، وبعضهم يقول أن أول صحبة شمعون باطرة وأندرياش للمسيح كانت قبل أن يسجن يحيىٰ بن زكريا وهو قول يوحنا.

وبعضهم يقول: أول صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ وجدهما يدخلان شبكتهما للصيد جميعًا، فتركاها وصحباه من حينئذ، وهو قول متىٰ ومارقش.

وبعضهم يقول: أول صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ رآه أندرياش واقف مع يحيىٰ، وهو تلميذ يحيىٰ يؤمئذ، فرأى المسيح ماشيًا فقال يحيىٰ هذا خروف الله فترك أندرياش يحيىٰ، وصحب المسيح من حينئذ، وهو قول يوحنا، فهذه أربع كذبات في نسق:

إحدهما: في الوقت الذي كان إبتدا صحبتهما للمسيح فيه.

والأخرىٰ: في الموضع الذي كانت فيه أول صحبتهما للمسيح عليه السلام.

والثالثة: في رتبة صحبتهما للمسيح أمعًا، أم أحدهما قبل الثاني؟

والرابعة: في صفة الحال التي وجدهما عليها أول ما

---

(١) يوحنا ١: ٣٥ـ ٤٢.

صحباه، وبالضرورة ندري أن أحد هذه الاختلافات الأربعة كذب بلا شك.

ومثل هذا لا يمكن البتة أن يكون من عند الله عزوجل ولا من عند نبي ولا من عند صادق؛ بل من كذاب عيار لا يبالي بما حدث، وأغرب شيء في ذلك قولهم كلهم: إن يوحنا بن سبزاي هو ترجم إنجيل متىٰ من العبرانية إلى اليونانية؛ فإذا رأى هذه القصص في إنجيل متىٰ بخلاف ما عنده فلابد ضرورة من أن يكون عرف أن قول متىٰ كذب أو عرف أنه حق، لابد من أحدهما ضرورة.

فإن كان قول متىٰ كذبًا فقد استجاز يوحنا أن يورد الكذب عن صاحبه المقدس، الذي هو عندهم أكبر من موسىٰ، ومن سائر الأنبياء عليهم السلام، وإن كان قول متىٰ حقًا فقد قصد يوحنا إيراد الكذب فيما أخبر هو به في إنجيله، لابد من أحدهما، ولقد كانت هذه وحدها تكفي في بيان أن الأناجيل من عمل كذابين ملعونين شاهت وجوههم، وحاقت بهم لعنة الله تعالىٰ»(١).

وكذلك استدلوا بنقص الأناجيل بعضها عن بعض على وجود التناقض والتحريف فيها، يقول نصر بن يحيى موضحًا ذلك: (وقد اختلف التلامذة الأربعة الذي جمعوا الإنجيل، وزادوا ونقصوا فمن ذلك ما ذكر يوحنا: «إن أول آية أظهرت

---

(١) الفصل (٢/ ٤٣ـ ٤٤).

المسيح بقرية قرب الخليل: أنه كان في دعوة، فحوّل الماء شرابًا»[١].

ولم يذكر هذه الآية أصحابه الثلاثة، فإن هم كانوا «قد تركوا» ذكرها؛ لأنهم غابوا عنها، ولم يكن عندهم من اليقظة والعناية بأمر المسيح وأخباره، ما يدعوهم إلى المساءلة عنها.

وما يؤمنكم أن يكونوا قد غابوا عما هو أعظم وأهم من هذه؟ فكيف يخفىٰ خبر مثل هذه الآية على أمثالهم؟ بل على بلدانهم، فضلاً عن الغرباء والأصحاب، وإن جاز على مثلهم هذا الغلط، فلعل «يوحنا» قد أسقط وغلط، وغاب عنه غيبتهم فضاعت أمور، وسقطت سنن، ونُسيت فرائض، وإن «يوحنا» ذكر ما لا يقبله هؤلاء الثلاثة، ولا صدقوا به فتحرجوا من ذكره، فيكون هذا طعنًا فيه»[٢].

وذكر أبوعبيدة بعض القصص المتناقضة التي تدفع دعوىٰ الوحي والإلهام فيقول: «وفي الإنجيل للوقا إن عيسى قال لرجلين من تلامذته: اذهبا إلى الحصن الذي يقابلكما، فإذا دخلتما، فستجدان جحشًا مربوطًا لم يركبه أحد فحلاَّه وأقبلا به إليَّ»[٣].

وفي الإنجيل لمتىٰ يصف هذا الخبر بعينه ويذكر «أنه

---

(١) يوحنا ٢: ٦ـ ١١.

(٢) الفصل (٢/ ٤٣، ٤٤).

(٣) لوقا ١٩: ٣٠.

كان معها أتانه»[١].

فحسبك هنا من خلل ووقوع تشكيك][٢].

«وفي الإنجيل «للوقا» يخبر عن المرأة التي صَبَّت الطيب على رجلي المسيح، وأنكر ذلك التلاميذ، وقالوا: هلاَّ تَصَدَّقْتِ به[٣].

وفي الإنجيل لمتىٰ يصف هذا الخبر بعينه ويذكر «أنها صَبَّت الطيب على رأس المسيح»[٤] فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الاختلاف»[٥].

ويضيف أبوعبيدة قوله: «ومما في الإنجيل عنه من التناقض أنه قال: «لا تحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لصلاحهم لكن لألقي المحاربة بينهم، إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه، وبين الابنة وأمها، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته»[٦]»[٧].

فكيف يدعي النصارى أن دينهم الذي هم عليه دين وئام وسلام ومحبة وهم يتعلقون بمثل ذلك، لاشك أن في ذلك

---

(١) ٢١: ١ـ ٢.

(٢) المقامع ص(١٥٠ـ ١٥١).

(٣) لوقا ٧: ٢٦ـ ٥٠.

(٤) متىٰ ٢٦: ٧، ولوقا ٧: ٢٦ـ ٥٠.

(٥) المقامع ص (١٥١).

(٦) متىٰ ١٠: ٣٤ـ ٣٦.

(٧) المقامع ص(١٥٢).

دحضٌ لكل زعمٍ يزعمونه وردٌّ لكل ادعاء يدعونه، وبيان لحقيقة دينهم، وكشف لتناقضهم الذي يعيشون وإن رغمت أنوفهم.

ويذكر نصر بن يحيىٰ قصة أخرىٰ يوضح فيها هذه الدعوىٰ الزائفة فيقول: «ومن ذلك أن «يوحنا» وحده ذكر: «أن المسيح قام وغسل أقدام تلامذته، ومسحها بمنديل كان مشدودًا في وسطه، وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع والبِّر»[(١)].

ولم يذكره هؤلاء الثلاثة، ومثل هذا إذا كان في مثل المسيح، بحضرة جماعة حوارييه، لا يكون مستورًا، ولا يختص بعلمه واحد دون آخر، بل يتسامع به الناس، ويخبر الشاهد الغائب؛ لأنها سنة أُمر بها في التواضع، فقد ضيعوا ذكرها، أو لم يصح عندهم الخبر، فيكون طعنًا في يوحنا»[(٢)].

ومما يبطل دعوىٰ الوحي والإلهام أيضًا ما ذكره علماء القرون الستة من أقوال متعارضة ينسبونها للمسيح عليه السلام، يقول ابن حزم رحمه الله: (في الباب الرابع من إنجيل متىٰ أن المسيح قال لتلاميذه: «لا تحسبوا أني أتيت لنقض التوراة وكتب الأنبياء، إني أتيت لإتمامها آمين. أقول

(١) يوحنا ١٣: ٤ـ ١٧.

(٢) النصيحة الإيمان في فضيحة الملة النصرانية ص(٨٤).

لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد «ياء» واحدة، ولا حرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع فمن حلل عهدًا من هذه العهود الصغيرة وحمل الناس على تحليله، فسيدعي في ملكوت السموات صغيرًا، ومن أتمه وحضر الناس على إتمامه فسيدعى في ملكوت السموات عظيمًا»[١].

وفي الباب السادس عشر من إنجيل متىٰ: «ستحول السموات والأرض ولا يحول كلامي: قال أبومحمد: وهذه نصوص تقتضي التأبيد وتمنع من النسخ جملة، ثم لم يمض بعد الفصل الأول المذكور إلا أسطر يسيرة، حتىٰ ذكر متىٰ أنه قال لهم المسيح قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق.

قال: وأنا أقول لكم من فارق امرأته إلى الزنا فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنا ومن تزوج مطلقه فهو فاسق»[٢]، وهذا نقض لحكم التوراة الذي ذكر أنه لم يأت لنقضها لكن لإتمامها.

ثم يحكون عن بولش الملعون أنه نهىٰ عن الختان[٣]، وهو أوكد شرائع التوراة، وعن شمعون باطرة المسخوط أنه

(١) متىٰ ٥: ١٧ـ ٢٠، بتبديل كلمة التوراة بالناموس.

(٢) متىٰ ٥: ٣١ـ ٣٢.

(٣) رومية ٢: ٢٥ـ ٢٩، ٣: ١، ٣٠.

أباح أكل الخنزير وكل حيوان وطعام حرمته التوراة[١]، ثم هم قد نقضوا شرائع التوراة كلها أولها عن آخرها. من السبت، وأعياد اليهود وغير ذلك، وهم مع هذا العمل لا يختلفون في «أن المسيح وجميع تلاميذه بعده لم يزالوا يلتزمون السبت وأعياد اليهود وفصحهم إلى أن ماتوا على ذلك»، و«أن المسيح إنما أُخذ ليلة الفصح وهو يفصح على سنة اليهود وشريعتهم»[٢] فكيف هذا؟ ولا بد لهم من أن يضيفوا الكذب إلى المسيح جهارًا إذ أخبر أنه لم يأت لنقض التوراة ثم نقضها، فصح أنه أتى لما أخبر أنه لم يأت له من نقضها، وهذا كذب لا مرحل عنه، ولابد لهم من أن يقروا أن المسيح مسخوط، يُدعى في ملكوت السموات صغيرًا لا عظيمًا؛ لأنه هكذا أخبر عن من حلل عهدًا صغيرًا من عهودها وهو قد حل نقض عهودًا كبارًا من عهودها «إذ حرم الطلاق وقد أباحته التوراة»[٣]، ونهى عن القصاص الذي جاءت به التوراة، وقال: «قد قيل العين بالعين والسن بالسن»[٤]، وأنا أقول: «لا تكافِئوا أحدًا بسيئة ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الآخر»، قال أبومحمد: ولا بد لهم من أن يشهدوا على

---

(١) انظر: أعمال الرسل (١٠، ١١) حيث أباح الله له كل شيءٍ بزعمه.

(٢) راجع ليلة القبض على المسيح. انظر: متى ٧ :٣٤، ويوحنا ٣: ٣٠-٣٤.

(٣) متىٰ ٥: ٣١.

(٤) متىٰ ٥: ٣٨- ٣٩.

أنفسهم أولهم عن آخرهم، وسالفهم عن خالفهم بمعصية الله تعالى ومخالفة المسيح، وأنهم يدعون في ملكوت السموات صغارًا، إذ نقضوا حكم التوراة أولها عن آخرها، ولا يمكنهم ههنا دعوى النسخ البتة؛ لأنهم حكوا كما أوردنا عن المسيح أنه قال: أقول لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد «ياء» واحدة ولا حرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع»، فمنع من النسخ جملة، وإن في هذا لعجبًا لا نظير له وحمقًا وضلالاً ما كنا نصدق بأن أحدًا يدين به لولا أنا شاهدناهم ونسأل الله السلامة)(١).

ويذكر ذلك أيضًا أبوعبيدة رحمه الله فيقول: «وفي الإنجيل عنه أنه قال: «لم آت لأنقض شريعة من قبلي إنما جئت لأتمم»(٢).

وما أشبه هذا، ثم فيه بعد أحرفٍ قليلة كلام آخر ينقض فيه شريعة التوراة حرفًا حرفًا، في قوله: «أما علمتم أنه قيل للقدماء: لا تقتلوا ومن قتل فقد استوجب القتل».

وأنا أقول: كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة. ومن قذف أخاه فقد استوجب النفي من الجماعة، ومن رماه بالحرق فقد استوجب جهنم، أما علمتم أنه قيل للقدماء: من فارق امرأته فليكتب لها كتاب الطلاق.

---

(١) الفصل (٢/ ٤٥ـ ٤٦).

(٢) متىٰ ٥: ١٧.

وأنا أقول: من فارق امرأته منكم فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنا، ومن تزوج مطلقة فهو فاسق.

وقوله: أما بلغكم أنه قيل للقدماء: العين بالعين والسن بالسن، وأنا أقول لكم: لا تكافئوا أحدًا بسيئته، ولكن من لطم خدك اليمنى، فانصب له خدك اليسرى، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك، فزده أيضًا رداءك، ومن سألك فأعطه، ومن استسلفك فأسلفه»[(١)].

أخبرني أيها المغرور عن هذا الخلاف أتعدّه تتميمًا أو نقصًا لشريعة من سبقه»[(٢)].

ويتابع بعد ذلك ابن حزم رحمه الله كلامه أيضًا حيث يقول: (ثم ذكر في الباب الثامن عشر من إنجيل متىٰ أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر بأجمعهم وفي جملتهم يهوذا الأشكريوطا الذي دل اليهود برشوة ثلاثين درهمًا، «كل ما حرمتموه على الأرض يكون محرمًا في السماء، وكل ما حللتموه على الأرض يكون محللاً السماء»[(٣)].

وفي الباب السادس عشر من إنجيل متىٰ أنه قال: «هذا القول لباطرة وحده»[(٤)].

---

(١) متىٰ ٥: ٢١ـ ٤٤.

(٢) المقامع ص(١٥٤ـ ١٥٥).

(٣) متىٰ ١٨: ١٨.

(٤) متىٰ ١٦: ١٨ـ ٢٠.

قال أبومحمد: وهذا تناقض عظيم كيف يكون التحليل والتحريم للحواريين أو لباطرة مع قوله إنه لم يأت لتبديل التوراة لكن لإتمامها؟ وأنه من نقض عهدًا من عهودها صغيرًا دُعي في ملكوت السموات صغيرًا، وإن السماء والأرض تبيدان قبل أن تبيد من التوراة «ياء» واحدة أو حرف واحد، ولئن كان صدق في هذا فإن في نص التوراة «أن الله تعالىٰ قد لعن من صلب في خشبه»[١] وهم يقولون: «أنه صلب في خشبه»، ولاشك أن باطرة[٢] وشمعون[٣] وغيرهما صلبوا في الخشب فعلى قول المسيح عليه السلام لا يبيد شيء من التوراة حتى يتم جميعها فكل هؤلاء ملعونون بلعنة الله تعالىٰ.

فأعجبوا لضلال الفرقة المخذولة، فما سمع بأطم من هذه الفضائح أبدًا)[٤].

---

(١) سفر التثنية ٢١: ٢٢ـ ٢٣.

(٢) ولم يشر الكتاب المقدس إلى آلامه وأتعابه كما يقول ذلك أصحاب قاموس الكتاب المقدس ص(١٧٦).

(٣) ولم أجد في الكتاب المقدس ما يشير إلى ذلك.

(٤) الفصل (٢/٤٦ـ ٤٧)، قال الباجه جي: «إن الصلب لم يقع على الأنبياء والمرسلين؛ لأنهم خير خلق الله، والصلب لا يقع إلا على الملعونين من خلقه، بنص التوراة بقوله: «من علق على خشبة ملعون»، أيها البصير: أما ترى أن الله ابتلى كثيرًا من الرسل والأنبياء بأنواع البلاء والمحن، ولم يبتليهم بالصلب، هذا وإن الأبرار لايكونون فدية للأشرار، بل قال الله تعالى في التوراة عكس ذلك بأن الأشرار فدية الأبرار فعليه ينبغي أولاً تنقيح أناجيلكم من القرائن الدالة على عدم صلب ذات المسيح، ثم ترجع لمناقشة المسلمين. الفارق بين المخلوق والخالق =

ويقول أبوعبيدة رحمه الله موضحًا تناقض قوله «عيسىٰ» لبطرس: «وفي الإنجيل «لمتىٰ» عن المسيح أنه قال لبطرس: طوبى لك يا شمعون بن الحمام، وأنا أقول لك: إنك الحجر، وعلى هذا الحجر ابني بيتي، فكل ما حللته على الأرض يكون محلولاً في السماء، وما عقدته على الأرض يكون معقودًا في السماء[1].

ثم فيه بعد أحرف يسيره يقول له: أي: «لبطرس»: «اذهب عني يا شيطان ولا تعارضني؟ فإنك جاهل»[2].

فكيف يكون شيطانًا جاهلاً ويطيعه صاحب السماء»[3].

كما ذكر ابن حزم القصة ذاتها قريبًا.

ويتابع رحمه الله كلامه في هذا السياق حيث يقول: (في الباب السادس عشر من إنجيل متىٰ أن المسيح قال لباطرة: «إليك أبرأ بمفاتيح السموات، فكل ما حرمته في الأرض يكون محرمًا في السموات وكل ما حللته على الأرض يكون حلالاً في السموات»[4].

= (٧٢٤، ٧٢٥).

(١) متىٰ ١٦: ١٧ـ ١٩.

(٢) متىٰ ١٦: ٢٣.

(٣) المقامع ص(١٥٥).

(٤) متىٰ ١٦: ١٨ـ ٢٠، يقول صاحب الفارق في هذه العبارة: «لايخفى على المنصف أن هذه الجملة من الافتراء المحض والكفر البحت، إذ هي إحدى القواعد التي بسببها اختلت روابط الإنجيل، لما فيها من الأباطيل والتضليل، ولقد تاهت عقول =

وبعد هذا الكلام بأربعة أسطر أن المسيح قال لباطرة نفسه ومتصلاً بالكلام المذكور: «اتبعني يا مخالف، ولا تعارضني فإنك جاهل بمرضاة الله تعالى، وإنما تدري مرضاة الآدميين»[(١)][(٢)].

= الفحول منهم، لاختلاف الرواة بنقل تفسيرها عنهم، وهي على ما اشتملت عليه من زيادة الألفاظ ونقصانها تضمنت الضلال صراحةً، فكانت سببًا لعماء النصرانية وطغيانها وغاية ما أجمع عليه جمعهم المشتت الآراء المبني على محض التضليل والافتراء أن هذه الجملة ينتج منها إعلام المسيح للتلاميذ بأنه هو نفسه ابن الله بمعنى المولود من حقيقة أو الحال فيه، لا بمعنى أنه رسوله ومصطفاه وحبيبه ومرتضاه، وأن بطرس هذ وصية الكريم والمفوَّض بالتحليل والتحريم، وبيده الحلُّ والربط؛ لأنه إليه ألقى مفاتيح السماوات.

ويقول صاحب الفارق: «المفهوم من ترجمة «متىٰ» أن هذه الجملة صدرت من المسيح بعد وصولهم لنواحي قيصرية فيلبس، فسأل تلاميذه، من يقول إني أنا ابن الإنسان، وعبارة مرقس في (ص ٧ـ ف ٢٧) «ثم خرج يسوع إلى أن قال: وفي الطريق سأل تلاميذه، من يقول للناس: إني أنا، وعبارة لوقا (ص ٩ـ ف ١٨) ورد فيما هو يصلي على انفراد ، وكان التلاميذ معه فسألهم قائلاً: من يقول للجموع إني أنا؟ ويوحنا لم يذكر شيئًا من ذلك فتأمل أولاً تاريخ الواقعة، تجد بينهم تفاوتًا في إثبات هذا السؤال ثم انظر لمدلول الألفاظ، تجد ترجمة متىٰ أنه أثبت السؤال بعد وصولهم إلى قرى قيصرية أو عندها، ومرقس أثبت ذلك، وهم في الطريق، ولوقا خالفهما، ويوحنا بمعزل عنهم، ثم إن المترجم زاد لفظ «ابن الإنسان» ولا تخلو هذه الزيادة عن دسيسة، كما هو شأنه، فإنه أعمى عين النصرانية بدسائسه. . . انظر: الفارق بين المخلوق والخالق (١٩٦، ١٩٧) ومعه تفنيد مطول لبقية هذا النص وردود تظهر مدى سوء القصد ونية الدس عند كتاب الأناجيل ومترجميها.

(١) متىٰ ١٦ : ٢٣.

(٢) الفصل (٢/ ٨٥).

يقول أبومحمد رحمه الله معلقًا على هذين النصين: [في هذا الفصل على قلته سوأتان عظيمتان.

أحدهما: أنه برىء إلى باطرة النذل بمفاتيح السموات، وولاه خطة الإلهية لا تجوز لغير الله تعالى وحده لاشريك له، من أن كل ما حرمه في الأرض كان حرامًا في السموات، وكل ما حلله في الأرض كان حلالاً في السموات.

والثانية: أنه آثر براءته إليه بمفاتيح السموات وتوليته له خطة الربوبية، إما شريكًا لله تعالىٰ في التحريم والتحليل، وإما منفردًا دونه عزوجل بهذه الصفة.

قال له في الوقت: «أنه مخالف معارض له فصار جاهل بمرضاة الله تعالىٰ، «مخالف له» لا يدري إلا مرضاة الآدميين».

فوالله لئن كان صدق في الآخر لقد خرق في الأولى إذ ولى ما لا ينبغي إلا الله تعالى جاهلاً بمرضاة الله تعالى، مخالفًا له لا يدري إلا مرضاة الناس وإن هذه والله لسوأة الأبد، إذ من هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيفٍ....

ووالله ما قال المسيح قط، ما ذكروا عنه في الأولىٰ؛ لأنها مقالة كافر شر خلق الله تعالىٰ.

وما يبعد أنه قال له الكلام الثاني، فهو والله كلام حق يشهد به اللعين الكافر «باطرة» شاه وجهه وعليه سخط الله

وغضبه)[١].

ومما يدل على بطلان زعمهم الوحي والإلهام تكذيب المسيح لنفسه حيث يقول أبوعبيدة: «إن كنت شهدت لنفسي فشهادتي غير مقبوله وغيري يشهد لي»[٢].

ثم في موضع آخر أنه قال: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب»[٣].

أخبرني كيف تكون شهادته حقًّا وباطلاً، ومقبولةً وغير مقبولة؟ وكيف يُجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى»[٤].

ولا يقف تناقضهم عند هذا الحدّ، بل جاوز ذلك إلى أن نسبوا التناقض إلى المسيح نفسه في أقواله وأفعاله، حيث يقول أبوعبيدة: «وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه: أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه ـ بظنكم ـ قال: الآن قد جزعت نفسي، فماذا أقول يا أبتاه؟ فسلمني من هذا الوقت، وأنه حين رفع في الخشبة صاح صياحًا عظيمًا، وقال: إيلي، إيلي، لم سبقتني، وترجمته: إلهي. إلهي، لم أسلمتني؟»[٥].

(١) الفصل (٢/ ٨٥ـ ٨٦).

(٢) يوحنا ٥: ٣١.

(٣) يوحنا ٨: ١٤.

(٤) المقامع (١٤٦).

(٥) متىٰ ٢٦: ٣٨ـ ٤٢، ٢٧: ٤٦.

ثم في موقع آخر من الإنجيل، أنه قال قبل ذلك: «من أحب أن يقفو أثره، فليوهب نفسه»[(١)].

فحرص على إتلاف النفوس، فكيف يجزع (هو) مما حَرَّض عليه قبل؟ أم كيف يكون إلٰهًا وتجزع نفسه؟

أم كيف يكون ابنًا لله يدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت فلم يستجب له؟»[(٢)].

وجعلوا القائل بقوله شاهد زورٍ حيث يقول أبوعبيدة أيضًا: «وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه أنه كان يومًا قد نهاهم عن التجارة في بيت المقدس، وأن اليهود قالت حينئذٍ: أيُّ علامة تظهر لنا؟ فقال: تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالت اليهود: بيت بني في خمس وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام؟!»[(٣)].

ثم في موضع آخر عنه يقول: أنه لما ظفرت به اليهود ـ بظنكم ـ وحُمِلَ إلى بلاط عامل القيصر، واستدعيت عليه بينة، أن شاهدي زور جاءا إليه وقال: سمعنا هذا يقول: أنا قادر على بنيان هذا البيت في ثلاثة أيام»[(٤)].

أخبرني كيف استخرجتم أن تسموهما شاهدي زور،

---

(١) مرقس ٨: ٣٤ـ ٣٥.

(٢) المقامع (١٤٧).

(٣) يوحنا ٢: ١٨ـ ٢٠.

(٤) متىٰ ٢٦: ٦٠ـ ٦١.

وقد شهِد نصّ كتابكم أنه قال ذلك؟

فإن قلت: إن اليهود ظنوا بهذا القول غير ما عنى عيسىٰ، فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل إنما شهدا على لفظه، وما نطق به لسانه، وما هو في كتابكم منصوص؟

وأي تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود، من أن البيت المعْنِيِّ في كلامه هو بيت المقدس؟

فقلتم: إنما أراد جسمه، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام، وأن الخمس والأربعين هو عدد أرقام اسم آدم بحساب الجمل، وهكذا من الهذيانات التي لم تعرف اليهود منها شيئًا، ولاسمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسىٰ ـ عليه السلام ـ هذا المجلس ولا سوى ذلك مما تصفون من خرافات كتبكم»[1].

وجعلوه ـ عليه السلام ـ لم يأت مصلحًا بل لإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس يقول أبوعبيدة كذلك: «ومما في الإنجيل عنه من التناقض أنه قال: «لا تحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لصلاحهم لكن لألقي المحاربة بينهم، إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه، وبين الابنة وأمها، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته»[2].

وفي الإنجيل أيضًا أنه قال: «إنما قدمت لتحيوا

---

(١) المقامع (١٤٩).

(٢) متىٰ ١٠: ٣٤ـ ٣٦.

وتزدادوا خيرًا، وأصلح بين الناس»(١).

ففي الأول: جعل المسيح نفسه نقمة على العالم، وفي الثاني رحمة عليهم، وهذا كلام نبرِّئ الحواريين منه. وأنه قال: من لطمك على خدك الأيمن، فانصب له الأيسر»(٢))(٣).

وجعلوا المسيح عليه السلام شاتمًا فاحشًا بذيئًا منتقصًا لغيره من الأنبياء، وهذا مانعٌ من الوحي والإلهام المزعوم عندهم، يقول أبوعبيدة الخزرجي(٤): «استشهادكم بكلام الأنبياء عليهم السلام، واتخاذكم أقوالهم حجة بينكم وبين اليهود، ثم أثبتم في نص الإنجيل أن عيسىٰ قال: «أنا الباب فمن دخل عليَّ سلم، ويجد مرعىٰ أبدًا». ثم عرَّض بمن قبله من الأنبياء فجعلهم لصوصًا وسراقًا، فقال: «آمين أقول لكم: إني أنا باب الضأن، والقادمون عليكم كانوا لصوصًا وسراقًا، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئًا، ويقتل، وأنا قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرًا»(٥).

---

(١) متىٰ الإصحاحات ٥، ٦، ٧ في موعظة الجبل.

(٢) متىٰ ٥: ٣٩.

(٣) المقامع ص(١٥٣ـ ١٥٤).

(٤) المقامع (١٤٦).

(٥) يوحنا ١: ٨، يقول البروفيسور أ. كولمان: ومثل هذا النص المكذوب لا يزال النصارىٰ يدعون ويؤصلون بتعليم وتدريس ونشر مثل هذه الصياغات التي يزعمون أحيانًا أنها نصوص وتفسيرات أدبية نسبوها إلى الأناجيل، وقد نسج المبشرون أصحاب الأناجيل كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتيه =

ومن المعلوم أن النصارىٰ يزعمون ألوهية المسيح عليه السلام لأن روح القدس أحشاه في بطن مريم فأصبح ابن إله، إلا أن الكتاب المقدس يثبت هذه التحشية أيضًا «ليحيىٰ» عليه السلام، فأي فضيلةٍ وميزةٍ لعيسىٰ على يحيىٰ؟ وأي وحيٍ وإلهامٍ مزعومين له؟ يقول ابن حزم: «وذكر في الفصل الذي تكلمنا عليه أن المسيح عليه السلام أُحشي من روح القدس، وفي أول باب من إنجيل لوقا: أن يحيى بن زكريا أُحشي من روح القدس[(١)] في بطن أمه، وإن أم يحيىٰ أُحشيت أيضًا من روح القدس، فما ترى للمسيح من روح القدس إلا كالذي ليحيىٰ ولأم يحيىٰ من روح القدس ولا فرق فأي فضل له عليهما»[(٢)].

كما تناقضوا في «يحيىٰ» عليه السلام وحيث مدحوه مرة

= الخاصة الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد، إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات في صياغات غامضة تستخدم عبارات مثل: «وبعد هذا. . .»، و«ويظن. . .»، و«بالاختصار. . . .»، ووضعت هذه الروايات في إطار أطلقوا عليه الأناجيل وليست تأريخيه الطابع.

ويستطرد «أ. كولمان ليقول: «ومن الضروري أن نلاحظ أن متطلبات التبشير والتعليم والنشاط الديني هي التي دعت الجماعة الأولى من المسيحيين إلى محاولة تثبيت هذا التراث عن المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حقائق حياة المسيح». انظر: التوراة والأناجيل والقرآن ص (٩٤) بمقاييس العلم الحديث للدكتور: موريس بوكاي.

(١) لوقا ١: ٢٠.

(٢) الفصل (٢/ ٣٩).

وذموه أخرىٰ حيث يقول أبوعبيدة: (وفي الإنجيل ـ أيضًا ـ نصٌّ يفيد أنه لم تلد النساء مثل يحيىٰ. هذا ما جاء في إنجيل متى[١].

ثم في إنجيل يوحنا: أن يحيى بعثت إليه اليهود من يكشفون لهم عن أمره، فسألوه من هو: أهو المسيح؟ قال: لا. قالوا: أخبرنا من أنت؟ قال: أنا صوت صارخ في البريَّة، إلى كلام كثير ينفي فيه عن نفسه كونه إلياسًا، أو كونه نبيًّا[٢]. ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته. وقال في هذا الكلام حين ذكر عيسىٰ أنه لا يصلح أن يحل شراك نعله، وسماه حمل الله، وأنتم تقولون هو الله»[٣])[٤].

وأي وحيٍ وإلهامٍ مزعومين له؟

وقد ردّ علماء الإسلام دعوى الإلهام ببعض الأقوال التي نسبوها إلى نبي الله يحيى في عيسى عليه السلام، حيث يقول ابن حزم: (هذه طامة أخرى، بينما كان كلمة الله، وابن الله، وإلـٰها يخلق صار «خروف الله»[٥]، وحاشا لله أن يضاف إليه خروفًا إلا على سبيل الخلق والملك.

---

(١) متىٰ : ٣: ٥.

(٢) يوحنا ١ : ١٩ـ ٢٧.

(٣) يوحنا ١ : ٣٧ـ ٣٩.

(٤) المقامع ص(١٥٥ـ ١٥٦).

(٥) متى ٣ : ١٤.

إنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح أولمن يريده للفحلة، أو لصبي يلعب به، ويصبغه بالحناء، وتعالى الله عن كل هذا، فصح أنها من عمل عيار مستخف، ونعوذ بالله من الضلال»[١].

ويتابع ابن حزم قوله: [وبعده بيسير في الباب نفسه أن يحيىٰ بن زكريا قال: «للمسيح شهدت بأن هذا سليل الله».

قال أبومحمد: شهدت أنا ونفسي، وجسدي، وعقلي بشهادة الله التامة أن هذه الكذبة كذبها اللعين يوحنا على رسول الله وابن رسوله يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام. وأن الله تعالى عن أن يكون له سليل.

وأعجب شيء نسبتهم إلى يحيىٰ عليه السلام أن قال في المسيح: «هذا خروف الله»، «هذا سليل الله»[٢]، وإنما الخروف سليل الكبش والنعجة. اللهم العن هؤلاء الأنتان فما سمعنا بأعظم استخفافًا بالله وبرسله عليهم السلام منهم)[٣].

(١) الفصل (٢/ ١٧١).

(٢) يوحنا ١ : ٣٤، بلفظ: «هذا ابن الله».

(٣) الفصل (٢/ ١٧٣)، يقول الباجه جي: «ويظل هؤلاء النعاج يصفون المسيح وأنبياء الله بالخراف والسراق واللصوص ويزعمون أن ذلك كتاب سماوي قاله عيسىٰ عن الله تعالىٰ، عن ضلالهم وزعمهم علوًّا كبيرًا ففي الإصحاح العاشر قال في (ف ٧) حكاية عن عيسىٰ عليه السلام ما نصه: «إني أنا بابُ الخراف، جميع الذين أتوا قبلي هم سُرَّاق ولصوص» إلى أن قال في (ف ١٢) وخلاصته: «وأما الذي هو أجير، وليس راعيًا الذي ليست الخراف له، فيرىٰ الذئب مقبلاً، ويترك الخراف، =

وزاد أبوعبيدة على ما ذكره ابن حزم، ذكره للوازم الأقوال التي نسبوها إلى «يوحنا» حيث قال: «ومنها أن «يوحنا» التلميذ ذكر في الإصحاح الأول: «إن المسيح أتى يوحنا المعمدان فيمن كان يأتيه من بني إسرائيل؛ للانصباغ على يده، فلما وقع بصره على المسيح قال: هذا خروف الله الذي تحمل خطايا العالم، وهو الذي قلت إنه يأتي من بعدي، وهو أقوى مني، وإني لا أستحق أن أحلّ مقعد خُفيه، وهو الذي في يده المحرقة، ويبقى مدره فيجمع الحنطة في إهابه، ويحرق الأتبان بالنار التي لا تطفأ، وهو الذي قلت: إنه متقدم لي»[1].

وخالفه في ذلك صاحباه «متىٰ»، و«لوقا»، وأما «مرقس» فإنه لم يذكر ذلك البتة.

وأما متىٰ فقال في إنجيله: «إن يحيىٰ بن زكريا حين رأى المسيح قال له: إني محتاج إلى أن انصبغ على يديك،

= ويهرب».

أقول: «المراد من الخراف هو بنو إسرائيل، والرعاة: أنبياؤهم، وقوله: جميع الذين أتوا قبلي سُراق ولصوص، لا ينبغي أن يصح مثل هذا الكلام عن المسيح ـ عليه السلام ـ وماهو إلا من دسائس الأساقفة؛ لأن المراد بالذين أتوا قبله هم الأنبياء السابقون في بني إسرائيل» ص(٦١٤ ـ ٦١٥).

انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف: عبدالرحمن باجه جي زادة، الناشر: دار عمار، مطبعة جمعية عمَّال التعاونية، عمان، الأردن.

(١) ذكره متىٰ ٣: ١٤، بنص: «أحتاج أن أعتمد على يدك».

وها أنت قد جئتني لذلك»[١].

وقال يحيىٰ بن زكريا أيضًا: «إن الذي يجيء بعدي أقوى مني».

والمسيح لم يجيء بعده، بل معه، فالذي عناه بذلك غير المسيح، بل المراد به النبي محمد ﷺ وأنه بعد ذلك - يحيىٰ - أرسل إلى المسيح مع تلامذته، وقال: «أن الذي تجيء أو تتوقع غيرك؟».

فهذا خلاف ما قاله «يوحنا» ولئن كان ثلاثة ألفوا ذكر ذلك، وفيه أعظم القوة وآكد الحجة، فما يؤمن أن يكونوا ألّفوا ما هو أكبر وأهم منه؟

وفي كلام يحيىٰ المعمدان حسنة منها: أن المسيح يحرق الأتبان بالنار، يعني الفجار. وهو خلاف ما يعتقده النصارىٰ من أن الخطيئة ارتفعت بمجيئه».

ومن غرائب تناقضاتهم زعمهم ختم النبوة بعيسىٰ عليه السلام، ثم إثبات نبوة أنبياء لم تثبتها الأناجيل، مما يبطل دعوىٰ الوحي والإلهام، يقول أبوعبيدة: «وكذلك تنالون من الإنجيل الذي بأيديكم حين تدَّعون أنه لا نبي بعده «أي عيسىٰ» ثم تثبتون فيه - أيضًا - أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء

---

(١) متىٰ ١١: ٩، ١٠، بنص: «فهو الذي يقول فيه الكتاب أنا أرسل رسولي قدامك ليهيء الطريق أمامك»، وبنفس النص عند لوقا ٣: ١٦.

منهم «برنابا»، و«سمعان»، و«لوكيوس»[١]، و«مناين»[٢][٣].

وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء الله من بيت المقدس، وقام آخرهم وكان يتيمًا اسمه «أغيانوش»[٤] فتنبأ بقحطٍ شامل ومجاعة عامة.

وفيها أي «الكتب» أن «جرجيس»[٥] جاء بعدهُ، وبعث إلى «ملك الموطى»[٦] وهو من أهل فلسطين، وكان قد أدرك بعض الحواريين، فأنتم القائلون أنه لا نبيَّ بعد المسيح، وأنتم المصدقون بنبوة هؤلاء كلهم ولم يكن لهم من الذكر في الكتب ولا في أخبار الأنبياء مثل ما للذي كفرتم)[٧].

ومن المعلوم أن العقول السليمة لا تتعارض مع النصوص الربانية الصريحة الصحيحة، والمتأمل لكتب النصارىٰ، يجد فيها ما يعارض العقول من محالاتٍ لا تتوافق

---

(١) لوكيوس: مسيحي من قيريني وكان أحد المعلمين في كنيسة أنطاكية. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص(٨٢٥).

(٢) مناين: معلم في كنيسة أنطاكية تربىٰ مع هيرودس رئيس الربع. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص(٩٢٤).

(٣) أعمال الرسل ١٣ : ١.

(٤) واحد من السبعين تلميذًا الذين أرسلهم المسيح، كان في أورشليم في عصر الرسل الأول. قاموس الكتاب المقدس ص(٨٩).

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٧) المقامع ص(١٥٦).

(٦) لم أجد له ترجمة.

معها، فقد جعلوا المخلوق خالقًا، والحال محلولٌ فيه، وغير ذلك من المحالات، يقول القاضي عبدالجبار: «ويقولون: هو أحيا نفسه بعد الموت؛ لأنه محال عندهم أن يحيي الموتى غير المسيح قد علمت تسبيحة الإيمان وتفضيلها فارجع إليه ففيه ثم كفاية لتعلم مغالطة النسطورية وجميع من يجادل عن النصرانية، وقد قال «بولوص» وهو عندهم فوق الأنبياء وقد ذكر صنيع اليهود والمسيح: لو علموا لما صلبوا رب المجد الذي له الحمد والبركات أبد الدهر... قالت النصارىٰ هذه كلها أقاويلنا وفيها حقيقة مذهبنا.

قال: «قالوا: وعندنا أن المسيح قال: «إن ابن البشر هو رب السبت»[(١)] وقال أيضًا: «أنا بأبي وأبي بي، ولا يعرف أحد الأب إلا الابن، والابن لايعرفه إلا الأب، وإنك إله بي وأنا بك»[(٢)].

وقال: «أنا في أبي وأبي في، وقال: أنا قبل إبراهيم، وقد رأيت إبراهيم وما رآني، فقال له اليهود: كذبت، كيف تكون قبل إبراهيم وما بلغت الخمسين بعد، فقال: الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»[(٣)].

قالوا: «وهذا القول عندنا للمسيح في الحقيقة، ولو كان

---

(١) إنجيل لوقا ٦: ٥.

(٢) لوقا ١٠: ٢٢، ٢٣.

(٣) يوحنا ٨: ٤٨ـ ٥٩.

قولاً للإله الذي ليس هو المسيح لما كان له معنى. وعندنا أن المسيح ابن آدم وربه وخالقه ورازقه وابن إبراهيم وربه وخالقه ورازقه وابن اسرائيل وربه وخالقه ورازقه وابن مريم وربها وخالقها ورازقها[١] ثم قال بعد ذلك:

«فهذا يرحمك الله كما ترى وتسمع، فلولا أن رأينا قومًا عقلاء يقولون هذا وسمعناه منهم حين فتشنا عما قاله الله وحكاه عنهم فنطقوا به بعد الجهد وأخرجوه من غوامض أسرارهم لما صدق الناس أن في الدنيا من قال هذا ونطق به»[٢].

بل وذكروا بعض عَقائدهم التي لا يمكن أن تكون بوحي ومع أن النصارىٰ تنكر معجزاته ﷺ إلا أنهم يقولون بخوارق عاداتٍ ولا تدخل العقل ولا تقاربه عن بعض القساوسة والجثالقة وغيرهم دون حجة ولا برهان.

مما سبق يتضح أن دعوى الوحي أو الإلهام لما يقوِّلوه النصارى لا يقوم على ساق بل هو محض افتراء وكذب رخيص ساعد عليه الظروف التي كانت محيطة بتلاميذ المسيح عليه السلام الحقيقيون.

---

(١) انظر: متىٰ ٢٢: ٣٢، ومرقس ١٢: ٢٦، ولوقا ٢٠: ٣٧، وأعمال الرسل ٧: ٣٢.

(٢) الفصل: ٢/ ١٧٢ـ١٧٦ بتصرف يسير.

الفصل الثاني
في جهود علماء المسلمين في نقدهم للمجامع النصرانية

لقد أسهب علماء المسلمين في القرون الستة في الرد على النصارىٰ، يتبين ذلك من خلال كل ما تقدم، إلا أن الملاحظ واللافت للانتباه، أنهم لم يكرروا ذلك الإسهاب في كلامهم عن المجامع النصرانية، ولم أجد لبيان هذا الفصل إلا شتاتًا من النصوص، حاولت لم شملها وجمع شتاتها في هذا الفصل. ولابد بداية من التعريف بهذه المجامع بمقدمة يسيرة عنها، فكلمة المجمع في الأصل: «هو مكان الاجتماع، وعند اليهود: مركز العبادة، ودار للقضاء العالي، وكان يستعمل كمدرسة»[1].

والمجامع النصرانية نوعان:

١ـ مجامع عامة أو مسكونية ـ كما يقولون ـ وهي تجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء العالم.

٢ـ مجامع مكانية، وهي التي تعقدها كنائس مذهب أوأمة في دوائرها الخاصة إما لإقرار عقيدة أو رفض عقيدة أخرىٰ[2].

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص(٢٦٩).

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية للشيخ حمد أبوزهرة ص(١٢١) بتصرفٍ يسير ص(١٢١).

والأهمية الكبرىٰ والعظمىٰ عند النصارىٰ إنما هي للمجامع المسكونية العامة، لما لها من أثر في تاريخ الديانة المسيحية.

ومن أشهرها مجمع نيقية الذي اعتمد بنوة المسيح[١].

من المعلوم أن النصارى لم يعرفوا المجامع لتقرير عقائدهم إلا بعد دخول الروم في الديانة النصرانية التي هي في حقيقة الأمر لم تكن الديانة التي نزلت على عيسى عليه السلام؛ بل هي الديانة التي تبناها بولس والذي حرص أن تكون هذه الديانة لا تخالف الديانة الوثنية الرومية؛ فالروم لم يعرفوا دين الله بل عرفوا دين بولس، وقد تفطَّن علماء المسلمين لذلك، يقول القاضي عبدالجبار رحمه الله موضحًا ذلك: «يعتبر «بولس شاءول» أول علماء النصارىٰ تقرب إلى الروم ومال إليهم، وتأثر بهم في منهجه وتعاليمه حتى أحل بسبب تأثره بهم ما أحلوه فأباح أكل لحم الخنزير[٢]، وترك

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية للمطران السكندروس ص(٢٢٠ـ ٢٢٨)، مكتبة الساعي، طرابلس، لبنان.

(٢) الذي كان محرمًا بنصوص الكتاب المقدس إلى اليوم، ففي العهد القديم: «. . . والخنزير؛ لأنه يشق ظلفًا ويقسمه ظلفين؛ لكنه لا يجتر فهو نجس لكم، من لحمها لا تأكلوا، وجثتها لا تلمسوا، إنها نجس لكم» سفر اللاويين ١١: ٨٤، ونفس النص في سفر التثنية ١٤: ٨، وسفر الأمثال ١١: ٢٢.

ويؤكد ذلك ما ذكره أصحاب الكتاب المقدس ص(٣٥٠): «ففي عهد المسيح كان بعضهم يرعىٰ قطعانًا من الخنازير في مستعمرة أغلب سكانها من اليونان، وما =

الختان[١]، وتزويج المؤمنة من كافر[٢]، وتحريم تعدد الزوجات[٣] بل تعدىٰ ذلك إلى العقيدة النصرانية التي يحملها ويكتب تعاليمها ويدعوا إليها بولس فتأثر بالروم في تقديس الكواكب، والصلاة إلى المشرق وغيرها[٤].

وقد كان للروم ملك يقال له «بيلاطس»[٥] خرج إلى

= كانوا ليأكلوا لحومها؛ بل ليبيعوها إلى اليونان أو للجيوش الرومانية».

(١) حيث مرّ معنا أن المعمودية تحل محل الختان، ويضيف المستشار محمد عزت الطهطاوي قوله: «ويضاف إلى المعمودية عوضًا عن الختان «الميرون» وهو مزيج من العقاقير، عليه بقايا تحدرت ـ كما يعدي رجال الكهنوت ـ من الدهن الذي صنعه الرسل، ولا يمسح بالميرون إلا الكهنة؛ لأنه يشبه الحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه، وقد توارثها أباء الكنيسة عن الرسل». انظر: النصرانية والإسلام ص(٦٦).

* ولقد أباح اليهودي «بولس» لهم أكل لحم الخنزير وترك الختان، في أول مجمع يعقد بعد رفع المسيح عليه السلام، حيث اجتمع هو وجمع من رفاقه، وزعم بطرس في هذا الاجتماع أنه رأى منامًا أباح الله له فيه ما كان محرمًا في شريعة موسىٰ. انظر: أعمال الرسل ١٠: ١١ـ ١٥.

(٢) كما سيأتي قريبًا من زواج هيلانة النصرانية ببيلاطس الوثني.

(٣) كما قال ذلك بولس في رسالته إلى تيموثاوس ٣: ٢، ١٢.

(٤) حيث جاء في إنجيل متىٰ ٢: ١ـ ٢: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيروس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه في المشرق، وأتينا لنسجد له»، «وقد كان الرومانيون يقولون بظهور نجم عند ولاة القياصرة، وقال مثلهم اليونانيون، وكانوا يقولون أيضًا أنه عند موت أحد القياصرة يختفي نجم، كما يقول ذلك المؤرخ الروماني «تسيتوس»». انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص(١١١ـ ١١٣).

(٥) بيلاطس: ويلقب بالبطي، وباللاتينية: بنطيوس، وهو وال أقامته الحكومة الرومانية =

الشام بعد المسيح ـ عليه السلام ـ وبعد أصحابه بمدة طويلة، وكانت له امرأة ببلاد الروم فماتت، فأراد أن يتزوج امرأة مكانها، ومن عادة الروم أن يعترض الرجل المرأة إذا أراد التزويج ويقبلها ويستقص من تفتيشها فإن صلحت له تزوجها.

فوصف ل«بيلاطس» امرأة بحران يقال لها هيلانه تكون في فندق بحران[1]؛ الفندق هو: الحان، فأشخصها وقلبها وارتضاها وتزوجها، وكانت نصرانية؛ فحظيت عنده، وسألته إعزاز النصارىٰ والإحسان إليهم، فقال لها: إن اليهود يزعمون أن أصحابك هؤلاء أصحاب حيل وطلاب دينار ورئاسة. فقالت: كذبوا وإنما أجيئك بهم لتراهم، فأتته بجماعة من الرهبان، وقالت له: انظر إليهم وإلى مسكنتهم وضعفهم لتعلم كذب اليهود عليهم؛ فرحمهم ورق لهم وظن الجميل بهم، فأعزهم وصانهم ومكن لهم في ممالكه بالشام وبلاد الروم، وأحسن إليهم فانبسطوا وكثروا واستطالوا على اليهود.

وكان لهذا الملك أولاد من المرأة التي كانت قبل هيلانه، وولد له من هيلانه هذه ابن يقال له قسطنطينوس.

= نائبًا أو حاكمًا على اليهودية سنة (٢٩) مسيحية، واستمر حكمه بضع سنين. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص(٢٠٨).

(١) حران: مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم، قيل سميت «بهاران» أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فغربت فقيل «حران». انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٣٥، ٢٣٦)، دار صادر، بيروت.

وقد كان أمر بولس عظم ببلاد الروم مع العامة والغوغاء واستهواهم بما يجري مجرى الرقى والطب والشعبذة والسحر، والروم والأرمن تصدق بهذا كله وهي أمة مفرطة الجهل بعيدة مما يستدرك بالفكر والنظر لفداحة البلادة سيما في العامة فهي لا تعرف إلا المهن والصنائع، وإن كانت ملوكها تتقدم في ظاهر الحياة الدنيا وبتدبير الملك.

لقد تمادى تأثر النصرانية بالروم والأرمن حتى وصل إلى تحريف الكتب التي بين أيديهم وتبديل كثيرًا من تشريعاتهم وعقائدهم بل تمادىٰ هذا التأثر إلى الحياة اليومية والمآكل والمشارب وبعض الأمور التي تتعلق بخصال الفطرة، ومما يوضح التحريف: «أن الملك «بيرن» من الروم، والأرمن من فطن لبولس، وأنه طالب دينًا ورئاسة، فسأله عن الختان، وهل كان المسيح مختونًا؟ ثم كشف عنه فإذا هو مختون.

ولماذا لا يشفي نفسه من داء الفيل الذي برحابه فأمر بصلبه، وصفعه وحلق لحيته.

فقال لهم: لا تصلبوني طولاً كما صُلِب ربنا المسيح، ولكن اصلبوني عرضًا، وهذا الملك يقال له: «بيرن»[1]

---

(١) ولم أجد ما سبق ذكره من أن «بولس» كان مختونًا، أو أنه مصاب بداء الفيل، أو قصة صلبه، في سيرته في قاموس الكتاب المقدس مع طولها، ولا في مظان البحث عنها في هذا القاموس؛ لكن من المعلوم أن «بولس» كان يهوديًا، واليهود ملتزمون بالختان كما هو موضح في العهد القديم، وكما ذكره أصحاب القاموس.

ففترت النصرانية ببلاد الروم وانكسروا، وملك أولاد بيلاطس بعده وانتهى الملك إلى ابنه «قسطنطنيوس»، وكان ظاهره على ديانات الروم غير أن والدته هيلانه هذه قد غذّته بحب الصليب، وعوّدته عادة النصارى وما يقولونه في المسيح. . . . »[1]

يتضح من كلام القاضي عبدالجبار أن اعتناق الملك لهذا الدين كان بواسطة زواجه، ومن خلال العرف الدين الذي لم يخالف الواقع الرومي لديه وقد تربى أولاده على ذلك، أي: على هذا الدين المنحرف وعلى أن هذا الدين يخضع للأهواء وما يريده الملك من خلال تحليل ما يكون مناسبًا مع عاداتهم وتقاليدهم.

وبعد أن دخل الروم في الديانة النصرانية ذكر عدد من علماء المسلمين عدة أسباب أدت إلى التدخل الملكي من قبل «قسطنطينوس» في الديانة النصرانية وحل النزاع؛ بل وحذف العديد من الأناجيل ولم يرتضِ إلا أربعة أناجيل هي الأناجيل الأربعة المعروفة، من هذه الأسباب ما ذكره نصر بن يحيى رحمه الله من الاضطراب الواقع بين النصارى أنفسهم وبين أناجيلهم حيث لفت ذلك نظر الملك؛ وقطعًا للنزاع بينهم أقام ما يسمى بمجمع نيقية، وذكر بعض ما خرج منه من أمور الديانة النصرانية.

---

(١) انظر: ثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار ص(١٥٩ـ ١٦١).

يقول نصر بن يحيى: «ثم إنكم تقولون إن الأناجيل التي بأيديكم لم تبدَّل ولم تَحرَّف ولا غُيِّر شيء منها، ولا زيد فيها، ولا نقص منها، وقد جاء في تفسير الأناجيل لـ«إلياس بن ملكون الجاثليق»[1]، وهذا الرجل كان أكبر أحباركم لا يسعكم جحود فضله، وغزارة علمه، وله من المصنفات في مذهبكم مايشهد بحذقة: «إن التلاميذ الاثنى عشر[2]، والحواريين وعددهم اثنان وسبعون نفرًا، أن كل واحدٍ منهم عمل إنجيلاً، وبقوا على ذلك إلى أيام «قسطنطنيوس»، وأن هذا الملك رأىٰ اضطراب حال النصارىٰ واختلاف أناجيلهم، وأن كل واحد من التلاميذ الحواريين قد أتىٰ في إنجيله بشيءٍ لم يأت به الآخر، وكلٌّ منهم قد انقاد له جمع كثير، والفتن بين النصارىٰ قائمة، وكل فرقة منهم تكذِّب الفرقة الأخرىٰ، وتكفِّر اعتقادهم...

فأثبت هذه الأناجيل الأربعة «متىٰ»، و«مرقس»، و«لوقا»، و«يوحنا» وأسقط الباقي؛ فإذا كانت الأناجيل التي أسقطها غير صحيحة وهي كذب فهذه الأخرىٰ الأربعة تكون

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما توفر لدي من مراجع.

(٢) تشير هذه الكلمة عند النصارىٰ في الكتاب المقدس إلى كل من اتبع معلمًا مثل أشعياء النبي ويوحنا المعمدان، وتستعمل لكل من آمن بالمسيح خصوصًا الرسل الاثني عشر. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص(٢٢٢).

وهم الذين وضعوا عمل انتشار الكنيسة وتنظيمها. انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية ص(١٩).

كذبًا مثلها»[١].

وأما القاضي عبدالجبار يضيف سببًا آخر قريبًا من السبب الأول حيث جعل من الأسباب النصارى أنفسهم، يقول القاضي عبدالجبار: «وأعلم أن دين المسيح وديانات الرسل عليهم السلام لم تتغير، ولم تتبدل جملة واحدة ولكن شيئًا بعد شيء، وفي كل عصر، وفي كل حين؛ حتى تكامل تغيرها وما زال أهل الحق فيها يقلون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق؛ فكان أصحاب المسيح بعده مع اليهود وبني إسرائيل في كنائسهم يقيمون صلاتهم وأعيادهم في مكان واحد وبينهم خلاف في شأن المسيح، وكانت الروم تملكهم، وكانت النصارىٰ تشكي اليهود إلى ملك الروم، وتبدي لهم الضعف الذي فيهم وتسترحمهم فيرحمونهم، وكثر هذا فكانت الروم تقول: بيننا وبين اليهود عهد ألاَّ نغير أديانهم، فلو خرجتم من أديانكم وفارقتموها، وصليتم إلى المشرق كما نصلي، وأكلتم ما نأكل، واستبحتم ما نبيح؛ نصرناكم وأعززناكم، ولم يكن لليهود عليكم سبيل بل صرتم أعز منهم.

قالوا: نفعل. قال: فاذهبوا فهاتوا أصحابكم وهاتوا كتابكم، فجاؤوا بأصحابهم فأخبروهم بما كان بينهم وبين الروم.

---

(١) النصيحة الإيمانية في قضية الملة النصرانية ص(١٣٥، ١٣٦).

وقالوا لهم: هاتوا الإنجيل وقوموا حتى نصير إليهم، فقال أولئك لهم بئس ما صنعتم، ولا يحل لنا أن نمكن الروم الأنجاس من الإنجيل، وقد خرجتم أنتم من الدين بإجابتكم الروم، ولا يحل لنا مخالفتكم، بل وجبت البراءة منكم ونمنعكم من الإنجيل، والوصول إليه؛ فوقع بينهم الخلاف الشديد، وعاد أولئك إلى الروم، وقالوا لهم: ساعدونا على أصحابنا هؤلاء قبل اليهود، وخذوا لنا منهم كتابنا، فاستتر أولئك من الروم وفروا في البلاد، فكتب الروم فيهم إلى عمالهم بنواحي الموصل، وجزيرة العرب، فطلبوهم فوقع منهم قوم فهربوا، وقوم قتلوا، واجتمع الذين أجابوا فتقرر رأيهم على أن ينشئوا إنجيلاً.

وقالوا: إنما التوراة موالد الأنبياء، وتواريخ أعمارهم؛ فنبني الإنجيل على ذلك، ويذكر كل واحد منا ما حفظه من ألفاظ الإنجيل ومما تحدث به النصارىٰ عن المسيح فكتب قومٌ إنجيلاً ثم أتى من بعدهم قوم وكتبوا إنجيلاً، وكتبوا عدة أناجيل، وسقط عنهم الكثير مما في الأصل، وكان فيهم الواحد بعد الواحد ممن يعرف أمورًا كثيرة في الإنجيل الصحيح فأمسكوا عنها لتتم رئاستهم، ولم يكن في ذلك ذكر الصليب ولا الصلبوت.

وهم يزعمون أنها كانت إنجيلاً، فلم تزل تقل وتختصر حتى بقي منها أربعة أناجيل لأربعة نفر عمل كل واحد في

عصره إنجيلاً، وثم جاء من بعده فرآه مقصرًا فعمل إنجيلاً هو عنده أصح من إنجيل غيره وأقرب إلى الصحة»[١].

فالمسألة تعود إلى حب الرئاسة ولو كان ذلك ضد حقائق الدين وأصوله وثوابته.

وذكر نصر بن يحيى أن السبب هو ما حصل بين النصارى من اختلاف واقتتال، إذ يقول: «إنه بعد أن كثرت الأناجيل حيث إن لكل واحد من التلاميذ الاثنى عشر، والحواريين الاثنين والسبعين إنجيلاً جاء فيه بشيء لم يأت به الآخر، وكلٌّ منهم قد انقاد له جمع كثير، والفتنة بين النصارىٰ قائمة، وكل فرقة منهم تكذب الفرقة الأخرى، وتكفر اعتقادهم؛ أمر «قسطنطينوس» في جميع ممالك النصارىٰ بإحضار البطارقة والجثالقة، والأحبار من أقاصي البلدان، وأن يحضروا أناجيلهم ماعجزوا عن حمله، وأن الملك «قسطنطينوس» أمرهم أن يقتصروا من تلك الأناجيل على إنجيل واحد، وأنهم امتثلوا أمر الملك، ودخلوا تحت طاعته لما رأوا في ذلك من المصلحة، لسكون الفتن الثائرة بينهم، وحقن دمائهم، واقتصروا على هذه الأناجيل الأربعة التي بأيديهم إلى الآن، وأسقطوا الباقي فإن كانت تلك الأناجيل التي أسقطوها غير صحيحة وهي كذب، فهذه الأربعة

(١) تثبيت دلائل النبوة (١٥٢، ١٥٣).

الأخرىٰ تكون كذبًا بأمثلها»[١].

وقد ذكر القاضي عبدالجبار سببًا آخر في بيان دور المجامع في تحريف الشرائع والعقيدة النصرانية وهو انتقال الملك قسطنطنيوس إلى النصرانية وفرضها دينًا على الروم لمصلحته، وأنه أبدل شعائر بشعائر لابقصد التدين والتعبد لله تعالى، حيث يقول: «وفي هذا بيان دور «قسطنطنيوس» ابن بيلاطس، بسبب أمه النصرانية «هيلانة»، حيث جعل الروم على النصرانية من خلال تشكيكهم في عبادة ما لا ينفع كالكواكب، إلى أن استدرجهم واستبدل الأهلة التي على الرايات بالصلبان، وقتل المنحرفين من المفسدين من الفلاسفة.

وجعل الهياكل التي كانت للكواكب بيعًا للرهبان.

ثم ابتدأ في التدبير في نقل الروم عن تعظيم الكواكب إلى تعظيم الصلبان، وكان الفلاسفة في بلدهم كثيرين، وكانوا يعظمون الكواكب ويدعون أنها حية ناطقة، ويستطيلون على الناس، ويدلون على الملوك، ويدعون أنهم أخص الخاصة ولا يتكسبون، ويعتادون البطالة ويعولون على أموال الناس ويفسدون الأحداث ومن يصغي إليهم من ملك أو سوقة، ويدعون العزائم والطلمسات، وأنهم ينفعون بها ويضرون»[٢].

(١) النصيحة الإيمانية (٧٥، ٧٦).

(٢) تثبيت دلائل النبوة (٩٧، ٩٨).

ثم يبين عبدالجبار أن قسطنطنيوس قام بجمع النصارى وقد كانوا على أقوال شتى، ولكنه بعد ذلك جمع من كان على رأيه الذي يريد وفرض هذا الرأي بالقوة، وأمر بقتل من خالف رأيه، وهذا من أعظم الأسباب التي أدت إلى انتشار ما خرج به مجمع نيقية، فيقول: (فاجتمع عنده نحو ألفين من رؤسائهم، وقرر أشياء من تسبيحة الإيمان وكان فيهم من يخالف ذلك، ويقول: أن المسيح مخلوق، فشنعوا عليهم ذلك، ثم اجتمع بعد ذلك ثلاث مائة وثمانية عشر رجلاً بـ«نيقية» من بلاد الروم، وعملوا تسبيحة إيمانهم؛ فأتوا بها قسطيطنيوس فأقرها وعمل بها، وأمر الناس بها ومن لم يقبلها قتله، فاحتاج أولئك أن يظهروا قبولها خوف السيف، وأبطل ما سواها، وحصل ما كان في دين المسيح..)[(١)].

ثم بين القاضي ما خرج فيه المجمع مما أصبح بعد ذلك دينًا للنصارى، حيث يقول: «وأخذوا بتعظيم الصليب، وديانات الروم، وأكل الخنزير، وكان من لا يأكله يقتل»[(٢)].

ويوضح ـ عفا الله عنه ـ أن الحال لم يقف عند هذا المجمع بل كل ما رأوا ضرورة لتبديل دينهم صنعوا مجمعًا للتحليل والتحريم، فيقول: «وهم في كل حين يجتمعون إذا أرادوا أمر تحليل شيء أو تحريمه، ويكون لهم فيه اجتماع

(١) تثبيت دلائل النبوة ص(١٠٠).

(٢) المرجع السابق ص(١٠٠).

للتقرير، فيفعلون ذلك فإذا تقادم عهده، قالوا: هذا ماحرمته تلك الجماعة إلا بظهور آية أو معجزة؛ ألا ترىٰ أن الجثلقة والمطرنة، قد كانت جائزة عندهم فيمن له الأهل والولد فصار الجثالقة والرؤساء، يجعلون الرئاسة في أولادهم ويوصون بها في ذريتهم فاجتمع النصارىٰ وعقدوا تحريمها فيمن له أهل وولد، فصار ذلك دينًا لهم، وعملوا به من غير آية ولا معجزة.

وقد كان تزويج الأختين مباحًا عندهم، فجرىٰ من أختين كانتا عند أخوين عداوة أدت إلى معاداة بين الأخوين، فاجتمعوا وحرموا ذلك وصار لهم دينًا يعملون به. وإن لم يروا فيه آية ولا معجزة، وقد كان تزويج بنت الأخ عندهم مباحًا فجرى فيه نسب، استنصر به بعضهم، فاجتمعوا وحرموا ذلك؛ فصار لهم دينًا بغير آية ولا معجزة، ومثله ما فعله مطران سمرقند فإنه حرم على أهلها الفراخ، وزعم أن روح القدس تنزل في هذه الحمامة، فقبلوا ذلك منه وصيروه دينًا»(١).

ويضيف الشهرستاني أن من أسباب انعقاد المجمع النيقوي هو ما قاله آريوس في المسيح: «ولما قال آريوس: القديم هو الله، والمسيح مخلوق، اجتمعت البطارقة

(١) تثبيت دلائل النبوة ص(١٦١)، ولم أجد هذه الأسباب التي ذكرها القاضي عبدالجبار فيما توفر لدي من مراجع.

والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً، واتفقوا على رد هذه الكلمة اعتقادًا ودعوة، وأقروا قانون الأمانة، أو شريعة الأمانة في ذلك المجمع الذي هو مجمع نيقية»[١].

وبعد ذكر هذه الأسباب التي نوه عليها علماء القرون الستة الهجرية الأولى لانعقاد المجامع النصرانية، يوضح القاضي أبوالوليد الباجي السبب الذي أدى إلى بقاء النصارى على هذه العقائد التي قررت في المجامع[٢] مع مخالفتها للدين الذي أنزل على عيسى عليه السلام مع مخالفتها للعقل

---

(١) الملل والنحل (٢٢٣).

(٢) وهذه المجامع التي تم عقدها لتغيير وتحريف الشريعة التي جاء بها عيسى عليه السلام هي عشرة مجامع شهيرة:

الأول: مجمع أنطاكية: بعد موت بولس، **الثاني**: مجمع نيقية: وهو أشهرها، عقد بأمر من قسطنطين، وقرروا فيه شريعة إيمانهم، **الثالث**: عقد في نيقية أيضًا، **الرابع**: بعد نصف قرن على انعقاد المجمع الثالث عقد للنظر في مقالة نسطور، **الخامس**: عقد للرد على الراهب الطبيب أوطيسوس، **السادس**: عقد في مدينة طلقدونية، عقد للنظر في مقالة يعقوب، **السابع**: عقد أيام الامبراطور «أنطاس» لنصرة مذهب اليعاقبة ولو بالسيف، **الثامن**: عقد للرد على مقالة أسقف منبج وأسقف المصيصة قرب حلب، **التاسع**: عقد في زمن معاوية بن أبي سفيان، عقد لتأكيد ما جاء في مجمع حلقدونية، **العاشر**: للتراجع عما قيل في التاسع وإثبات ما جاء في السادس، وغيرها مجامع كثيرة. انظر: العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل لحسن الباش ص(٢٠٥ـ ٢١١)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار قتيبة، دمشق.

والفطرة، فيقول في رده على راهب فرنسا في إقراره لمسألة الصلب وغيرها من العقائد التي تخالف العقل والنقل، ويسري هذا الكلام على غيره من الرهبان والقساوسة؛ بل وعلى تلك المجامع النصرانية التي أقرت مثل هذه التشريعات من المحالات قائلاً: «وأظن أن الحامل لك على هذا أمران:

- إما أنك لم تر من الشرائع غير ماقد نشأت عليه، فاعتقدت أن سائر الشرائع تجري هذا المجرىٰ في الاستحالة والفساد، فرأيت أن تستمر على ما وجدت عليه سلفك إذ لم يظهر لك سبيل إلى ماهو أفضل منه.

- أو رأيت أنك قد نلت بهذا المجال، عند جهال أهل ملّتك، منزلة تكره أن تنحطَّ عنها وتبعد منها، إذا انتقلت إلى الدين الصحيح، لعلمك أنك لا تنال درجة أدونهم منزلةً في العلم، فكيف بدرجة أعلامهم وأئمتهم، وذوي التقدم منهم؛

- ثم يعزو الباجي عدم استجابة الرهبان والعلماء وعامة النصارىٰ لدعوة الحق وترك ما يوقنون بطلانه عقلاً ونقلاً للأسباب التالية -، فيقول: «ولكن قلة التأمل، مع حب الظهور يوجب التفريط، ويورث التبلد والتحيّر، نسأل الله العصمة»(١).

ثم يبين الباجي تمسك أصحاب المجامع بما فرضه عليهم الملك «قسطنطنيوس» من أناجيل وأنهم فرضوها على

---

(١) رسالة أبي الوليد الباجي إلى راهب فرنسا ص(٧٣، ٧٤).

أنفسهم فلا يحق لأحد منهم العدول عن شيء مما جاء فيها والاعتقاد بقدسيتها دون ما عداها فيقول: «وليس لأحد من طوائفهم عنه ـ أي: الملك ـ ولا عن شيء منها معدل، وإنما وضعت حين صار الملك إلى القول بها، وحين خالفهم آريوس في القول بمذهبهم ولرفع التأويل والأوهام في مقالتهم»[(١)].

وقد أضاف ابن حزم رحمه الله سببًا آخر في قول النصارىٰ بعقائد مخالفه لدين عيسى عليه السلام، حيث يقول: «لما ظهر دينهم بتنصر «قسطنطين» كما ذكرنا فشا فيهم دخول «المنانية»[(٢)] تقيةً ولم يكن فيهم غير منانية مدلسون عليهم، فأمكنهم بهذا أن يدخلوا من الضلال ما أحبوا، ولا يمكن البتة أن ينقل أحد عن شمعون باطرة، ولا عن يوحنا، ولا عن متى، ولا مارقس، ولا لوقا، ولا بولس آية ظاهرة،

---

(١) المرجع السابق ص(٧٤، ٧٥).

(٢) نسبة إلى «ماني» من أسرة ملكية، قضىٰ شبابه في بلاد ما بين النهرين، ومعنىٰ كلمة «ماني» في الفارسية: الفريد، النادر، كان والده «فاتك» ناسكًا ينتمي إلى إحدىٰ الطوائف الدينية، انتهىٰ الأمر بـ«ماني» إلى الاقتناع بأنه أصبح صاحب النور الكامل، الذي هو القوة المحركة لكل صاحب رسالة دينية، وبعد أن أطلع «ماني» على الأديان الأخرىٰ السابقة ادعىٰ النبوة، وهو في سنه العشرين، وسمىٰ نفسه «فارقليط» الذي أخبر عنه المسيح عليه السلام، كانت الثنائية محور دينه». انظر: موسوعة الأديان القديمة ـ معتقدات آسيوية، د. كامل سعفان ص(١٣٨، ١٤١)، دار الندىٰ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

ولا معجزة شافية، لما ذكرنا أنهم كانوا مختفين مستترين متظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره، طول حياتهم إلى أن ظفر بهم فقتلوا، وكل ما يضيفه النصارىٰ إلى هؤلاء من المعجزات فأكذوبات موضوعة، لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد»[١].

مما سبق يتضح أن إقامة المجامع النصرانية كانت بتدخل الملك الذي كان متأثرًا بوالدته وما وجده في هذا الدين من عدم مخالفته لما اعتاده؛ بل أضعف قيمة الفلاسفة لدى العامة والخاصة، وقد انتقد العلماء المسلمين هذه المجامع وما خرجت به من عقائد تخالف العقل والفطرة، فإرجاعهم العقائد لهذه المجامع دليل على عدم صحة هذه العقائد وعدم نسبتها إلى المسيح عليه السلام.

وأختم هذا الفصل بكلامٍ جميل للحسن بن أيوب في رسالته إلى أخيه حيث يقول: «فإن لجّوا في الباطل، ودافعوا عن قبيح مقالتهم ومالوا إلى تحسينها بالتمويهات المشككة لمن قصرت معرفته فنحن نقيم عليهم شاهدًا من أنفسهم لا يمكنهم دفعه، وذلك أن شريعة إيمانهم التي ألفها رؤساؤهم من البطاركة والمطارنة والأساقفة والأحبار في دينهم، وذوي العلم منهم، بحضرة الملك عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة قسطنطينية. . .وهي التي لم تختلف جماعتهم من

(١) الفصل: ١٧.

اختلافهم في المقالات فيها... اعترفوا فيها جميعًا بأن الرب المسيح الإله الحق من الإله الحق نزل من السماء وتجسد في روح القدس، وصار إنسانًا وحبل به وولد من مريم البتول وتألم، فهل في هذا الإقرار شبهة، أو علقة يتعلق بها العَنِتُ المدافع عن الحجة؟

فتأملوا هذا يا معشر النصارىٰ»[1].

ملحق

تراجم علماء القرون الستة الهجرية الأولى الذين ردوا على النصارى

علي بن ربن الطبري (... - ٢٤٧هـ)

اسمه: علي بن ربن الطبري، أبوالحسن، طبيب حكيم.

مولده ونشأته: ولد ونشأ بطبرستان، وكان يخدم ولاتها، ويقرأ علم الحكمة، وانفرد بالطبيعيات، وقامت فتنة فيها فأخرجه أهلها، ثم نزل بالرّي، ثم رحل إلى سامراء[(١)].

نبذة عن حياته: أسلم على يد المعتصم، وعمره سبعون سنة، وظهر في الحضرة فضله، فأدخله المتوكل في حملة ندمائه[(٢)].

مؤلفاته: لم يستعذب علي بن ربن الطبري الراحة والكسل، بل برئ قلمه وسلّ يراعه دفاعًا عن حياض الإسلام، وبيانًا بكشف شبه النصارىٰ، فترك تراثًا علميًا رصينًا في فنه، ومن ذلك:

١ـ الرد على النصارىٰ: أول كتبه في بيان زيف عقيدة النصارىٰ وكشف شبههم، وقد ذكره في كتابه: الدين والدولة، واطّلع عليه الشرفي وذكر بيانًا موجزًا عنه، حيث قال: «إن هذا الكتاب به سبعة أسئلة تتعلق بالتثليث وألوهية المسيح، والأمانة التي أصدرها مجمع نيقية، وقد كانت

---

(١) الإعلام للزركلي (٤/ ٢٨٨).

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك (٩/ ٩٠، ٩٦)، والفهرست لابن النديم (٣٥٤)، والإعلام (٤/ ٢٨٨).

طريقته في هذا الكتاب: طرح سؤالٍ ثم الإجابة عنه، مفندًا عقائد القوم بذكر نصوصهم الكتابية، ثم ذكر بعد ذلك، اثني عشر وجهًا تتعلق بصفات الله، لا يختلف فيها اليهود والنصارىٰ[١]، ولم يتسن لي الوقوف عليه وذلك لأمور منها:

أ ـ أن الكتاب مخطوط ولا توجد نسخ منه سوىٰ التي في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت.

ب ـ رفض المسؤولين في المكتبة تزويدي بنسخة منه رغم محاولاتي المتكررة والمتنوعة في سبيل الحصول عليه.

٢ـ الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ: وقد قسمه إلى مقدمة وعشرة أبواب.

تكلم في المقدمة عن الخبر ووجوهه وأقسامه.

كما تحدث عن الإجماع ومراتبه، وختمها بذكر أسئلة عن علة تكذيب النصارىٰ للنبي ﷺ.

أما أبواب الكتاب فكانت على النحو التالي:

الباب الأول: في توحيد النبي ﷺ وموافقته لما دعا إليه الأنبياء جميعًا.

الباب الثاني: في فضائل سنن النبي ﷺ وشرائعه.

الباب الثالث: في آيات النبي ﷺ التي ردها أهل الكتاب.

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبدالمجيد الشرفي ص(١٢٨ـ١٢٩)، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

الباب الرابع: في ذكر أمور غيبية تحققت في أيامه.

الباب الخامس: في نبوءات النبي محمد ﷺ التي تحققت بعد وفاته.

الباب السادس: في أمية النبي محمد ﷺ وأنها آية من آيات نبوته.

الباب السابع: في غلبة النبي محمد ﷺ وأنها آية من آيات نبوته.

الباب الثامن: أن الداعين إلى دينه كانوا خيار الناس.

الباب التاسع: أن ظهور نبوته دليل على صدق نبوة الأنبياء السابقين.

الباب العاشر: في نبوة الأنبياء وهو أطول أبواب الكتاب وأوسعها[(١)].

منهجه في الكتاب: قد سلك علي بن ربن الطبري، في هذا الكتاب منهجًا يتلخص فيما يلي:

١ـ معرفته بنصوص أهل الكتاب مع بيان موضع الدلالة منها.

٢ـ توجيه هذه النصوص لما تدل عليه.

وقد وجد في كثير من النصوص التي نقلها علي بن ربن الطبري اختلاف عما هو في الكتاب المقدس، ولعل ذلك يرجع لاختلاف الترجمات للكتاب المقدس، وكثرة التغيير

(١) انظر كتاب: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ.

والتبديل فيه.

وكان اعتماد أكثر العلماء الذين ردوا على النصارى على النصوص التي نقلها علي بن ربن الطبري مما يدل على تقدمه وسعة باعه في ذلك.

ثالثًا: فردوس الحكمة ولم اطلع عليه.

رابعًا: تحفة الملوك.

خامسًا: كناش الحضرة.

سادسًا: منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير[١].

وفاته: ذكر ابن النرعي، أنه توفي بعد سنة (٢٤٠هـ)[٢]، بينما ذكر الزركلي أنه توفي عام (٢٤٧هـ)[٣].

والذي يظهر والله أعلم أنه ليس هناك خلاف في تاريخ وفاته، لأن ابن النديم لم يحدد السنة، إنما ذكر التاريخ مطلقًا، بينما حدد الزركلي التاريخ.

الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ)

اسمه: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبوعثمان، الشهير بالجاحظ؛ لجحوظ عينيه، وكان جهم الخلقة[(١)].

نبذة عن حياته: قال الجاحظ: «أنا أسنّ من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمسين ومائة، وولد في آخرها»[(٢)]، ونشأ وترعرع في البصرة، وكان أول أمره يبيع الخبز والسمك بـ«بسيحان» بالقرب من البصرة.

لقد شغف الجاحظ منذ نشأته بالقراءة حتى أنه اعتاد أن يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها ليطالع الكتب التي لا يقدر على اقتنائها.

لقد عاصر اثني عشر خليفة عباسي، وكان موسوعة تمشي على قدمين، كتب في كل شيء في علم الكلام والأدب، والسياسة، والتاريخ، والأخلاق، والنبات، والحيوان.

وكان الجاحظ لسان المعتزلة في زمانه، رفع لواء العقل وجعله الحكم الأعلىٰ في كل شيء، ورفض من أسماهم بالنقليين الذين يلغون عقولهم أمام ما ينقلونه، كان يؤمن

---

(١) السير (١١/ ٥٢٦)، والأعلام (٥/ ٧٤).

(٢) معجم الأدباء لياقوت (١٦/ ٧٤).

بأهمية الشك الذي يؤدي إلى اليقين عن طريق التجربة.

وقد هاجم الجاحظ رجال الحديث؛ لأنهم لا يحكمون عقولهم فيما يجمعون ويروون، وكان يرفض وضع الصحابة في مكانة أعلى من البشر، بحيث لا يحق لأحدٍ أن يتعرض لأعمالهم ويقيمها وينقدها، ورفض بشدة القول بأن سب الولاة فتنة، ولعنهم بدعة، ويرى الجاحظ ضرورة الخروج على الإمام الظالم في حالة وجود إمامٍ عادل، وذلك بناءً على مذهبه الاعتزالي.

وكان يؤكد أن العقل الصحيح أساس من أسس التشريع، كان يقول بخلق القرآن، كما رمىٰ الناس في أديانهم بالتكفير والردة.

قال الذهبي عنه: «كان ماجنًا قليل الدين، له نوادر».

وقال: «ثعلب؛ ماهو بثقة».

لازم الوزير محمد بن عبدالملك الزيّات، وأحمد بن أبي دؤاد.

وقال عنه البغدادي: «شيخ المعتزلة وفيلسوفها»، وتنسب إليه الفقة الجاحظية من المعتزلة[1].

مؤلفاته: له تصانيف كثيرة منها:

١ـ الحيوان.

٢ـ البيان والتبيين.

---

(١) انظر: السير (١١/ ٥٢٦ـ ٥٣٠)، ومعجم الأدباء (١٦/ ٧٤ـ ١١٤).

٣ـ سحر البيان.
٤ـ البخلاء.
٥ـ صياغة الكلام.
٦ـ فضيلة المعتزلة.
٧ـ الأصنام.
٨ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان.

ومن أبرز كتبه في الرد على النصارىٰ، كتابان:

١ـ الرسالة العسلية، وهي رسالة مفقودة، أشار إليها القاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة[1].

٢ـ الرد على النصارىٰ، وهو عبارة عن جواب لرسالة أرسلها مسلمٌ إلى الجاحظ يسأله عن بعض المسائل التي أثارها النصارىٰ، وهذه المسائل تدور على ما يلي:

نسبة القول بألوهية مريم للنصارىٰ، والقول بأن القرآن ذكر بأن يحيىٰ ليس له سميًا مع كثرة من تسموا بيحيىٰ، وذكر القرآن لكلام عيسىٰ في المهد، وعدم قول النصارىٰ بذلك مع غلوهم فيه.

وقد تكفل الجاحظ بالرد على ذلك، حيث ذكر أمورًا منها:

١ـ الأسباب التي جعلت النصارىٰ أحب إلى عوام المسلمين من المجوس واليهود.

(١) تثبيت دلائل النبوة(١٨٩).

٢ـ تحدث عن عقائدهم الفاسدة، التي منها: إنكارهم كلام عيسى في المهد، وزعمهم بأن عيسىٰ ابن الله، وتعرض لمعجزة ميلاد عيسى من غير أب، وأطال في ذلك[١].

وفاته: توفي في البصرة، سنة (٢٥٥هـ)، عن عمرٍ يناهز ستة وتسعين عامًا، فلج في آخر عمره، ومات والكتب على صدره قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه[٢].

أبومنصور الماتريدي (... ـ ٣٣٣هـ)

اسمه: أبومنصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي السمرقندي الحنفي المتكلم[١].

نبذة عن حياته: لم يذكر أحدٌ ممن ترجم لأبي منصور تاريخ ولادته، وإنما استنبطوا ذلك استنباطًا من تراجم بعض شيوخه، وقالوا: إنه ولد تقريبًا (٢٣٨هـ) وهذا الرأي هو الذي تدور عليه آراء بعض الباحثين المعاصرين[٢].

ومن أبرز من تتلمذ عليهم أبوالمنصور: محمد بن مقاتل الرازي، ونصير بن يحيى البلخي، وأبونصر أحمد بن العباس بن الحسين العياضي.

وكان صاحب عقلية فائقة، وذهن وقاد، وكان صاحب فن كلامي، وجدلٍ فلسفي.

وقد كانوا يلقبونه بإمام الهدىٰ، وعلم الهدىٰ، وإمام المتكلمين، ومصحّح عقائد[٣] المسلمين.

قال الزبيدي: «وحاصل ما ذكروه أنه كان إمامًا جليلاً، مناضلاً عن الدين، موطّدًا لعقائد أهل السنة، قطع المعتزلة

---

(١) انظر: الأعلام (٧/ ١٩)، ومعجم المؤلفين (٣/ ٦٩٢).

(٢) انظر: مقدمة فتح الله خليف لكتاب التوحيد للماتريدي، وعقيدة الإسلام لأبي الخير (٢٦٥).

(٣) انظر: مفتاح السعادة لطاش كبر زاده (٢/ ١٣٣)، وإشارات المرام للبياضي (٢٣).

وذوي البدع في مناظراتهم، وخصمهم في محاوراتهم حتى أسكتهم. . .

فلا ريب فيه؛ فإنه ناصر السنة، وقامع البدعة، ومحيي الشريعة، كما أن كتبه تدل على ذلك أيضًا، ووجدت في كلام بعض الأجلاء من شيوخ الطريقة أنه كان مهدي هذه الأمة في وقته»[(١)].

وهذا الكلام من المبالغة في الماتريدي، فإن له طريقة تخالف طريقة أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد، وهو من جملة المتكلمين الذين حادوا عن الطريق الصحيح في تقرير مسائل الاعتقاد.

وإن المتتبع لكتب أبي منصور يجد أن عقيدته عين عقيدة الأشعرية المتأخرة من إرجاء، وتعطيل كثير من الصفات، وتأويل نصوصها الذي هو عين التحريف على ما عندهم من الحق الذي وافقوا فيه أهل السنة[(٢)].

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية قد صرح بأن أبا منصور الماتريدي تابع ابن كلاب في عددٍ من مسائل الصفات وما يتعلق بها، ومسألة الاستثناء في الإيمان[(٣)].

كان إمامًا معدودًا في فقهاء الحنفية، ولذا تجد أكثر

---

(١) شرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٢/ ٥).

(٢) انظر: الماتريدية للشمس السلفي الأفغاني (١/ ٢٤٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٣).

المنتسبين لعقيدته من الحنفية.

مؤلفاته: كان للماتريدي مشاركات في كثير من العلوم؛ كالتفسير والفقة، والأصول، والكلام. فألف في علومٍ شتىٰ، ومن أبرز مؤلفاته:

١ـ تأويلات أهل السنة.

٢ـ مآخذ الشريعة.

٣ـ أوهام المعتزلة.

٤ـ الرد على القرامطة.

٥ـ الجدل.

٦ـ شرح الفقة الأكبر.

٧ـ رد الإمامة[١].

٨ـ كتاب التوحيد: والتوحيد الذي يتحدث عنه الماتريدي في كتابه هذا هو توحيد الربوبية، وشيء من توحيد الأسماء والصفات، وأعقل توحيد الأنبياء والرسل الذي هو توحيد الألوهية.

كما تعرض لبيان بعض أقوال أهل الأديان السماوية والوضعية، وعقد فصلاً في بيان إثبات نبوة الأنبياء، وبخاصة نبوة محمد ﷺ، وفصلاً آخر في اختلاف النصارى في المسيح والرد عليهم.

وكتاب التوحيد أحرىٰ أن يسمى بكتاب الجدل

---

(١) انظر: الأعلام (٧/ ١٩)، معجم المؤلفين (٣/ ٦٩٢)، الماتريدية (٢٣٢).

والمنطق، لا كتاب التوحيد، لكثرة الأسلوب الكلامي الفلسفي فيه مع وجود بعض الحق في هذا الكتاب[١].

وفاته: اتفق أكثر المترجمين له على أنه توفي سنة (٣٣٣هـ) بسمرقند[٢].

الحسن بن أيوب (... ـ ٣٧٢هـ)

اسمه: الحسن بن أيوب[١].

نبذة عن حياته: وهو من علماء الكلام[٢]، أسلم على يد المعتصم.

قال عنه ابن تيمية رحمه الله: «من أعلم الناس بمقالاتهم ـ أي النصارىٰ ـ وكان من علمائهم، وأسلم على بصيرة بعد الخبة بكتبهم ومقالاتهم»[٣].

وقد ذكر عنه نفسه: أنه تحيّر وبدأ الشك يداخله في دينه، وأمضىٰ على ذلك عشرون سنة، وقد بيّن سبب انتقاله للإسلام قائلاً: «فلم أدع كتابًا من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته، ولا شيئًا من مقالات النصرانية إلا تأملته؛ فلم أجد للحق مدفعًا، ولا للشك فيه موضعًا، ولا للأناة والتثليث وجهًا، خرجت مهاجرًا إلى الله عزوجل بنفسي»[٤].

مؤلفاته: لم يعرف للحسن بن أيوب سوىٰ رسالة ذكرها

---

(١) الفهرست لابن النديم (٣٦٩).

(٢) وذكره ابن النديم ضمن علماء المعتزلة ممن لا يعرف من أمره غير ذكره، ص(٣٦٩) من الفهرست.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٣١٣).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣١٣).

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجواب الصحيح.

وهذه الرسالة تعتبر من أهم الردود على النصارىٰ، وتكمن أهميتها فيما يلي:

أولاً: إجادة مؤلفها للجدل العقلي الذي برع فيه من خلال هذه الرسالة.

ثانيًا: معرفة مؤلفها بنصوص أهل الكتاب وحججهم.

ثالثًا: استخدامه للاستدلال النقلي والعقلي معًا، مما يدل على سعة باله في هذا الفن.

وسبب تأليف هذه الرسالة: أنه كتبها إلى أخيه «علي» يدعوه فيها إلى الإسلام ويبين فساد مقالة النصارىٰ، وتثبيت نبوة محمد ﷺ، وقد بين في هذه الرسالة بطلان عقائد النصارىٰ، وذلك من خلال ما يلي:

١ـ ذكر فرق النصارىٰ وبيان ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه.

٢ـ دعوة النصارىٰ للتأمل والتدبر في أحوال المسيح، مما يدل على بطلان ألوهيته وصلبه.

٣ـ ذكر النصوص الموهمة في ألوهية المسيح وبيان فسادها.

٤ـ استعرض بعضًا من معجزات المسيح مع بيان وقوع مثلها من غيره.

٥ـ إثبات بشرية المسيح من خلال أقواله وأفعاله،

وأقوال حوارييه.

٦ـ ختم الرسالة بدعوة أخيه إلى الإسلام، ونبذ الشرك، والتوجه إلى الله بالدعاء أن يحييه ويميته على الإسلام[١].

وفاته: توفي الحسن بن أيوب سنة (٣٧٢هـ)[٢].

أبوبكر الباقلاني (٣٣٨ ـ ٤٠٣هـ)

اسمه: القاضي أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي، ابن الباقلاني.

نبذة عن حياته: ولد في البصرة، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، والكرامية[(١)].

قال عنه القاضي عياض في طبقات المالكية: «هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته»[(٢)].

وقال عنه أبوبكر الخطيب: «كان ورده في كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر؛ فإذا فرغ منها، كتب خمسًا وثلاثين ورقة من تصنيفه»[(٣)].

وقال عنه الذهبي: «وغالب قواعده على السنة، وقد أمر شيخ الحنابلة أبوالفضل التميمي مناديًا يقول بين يدي جنازته: هذا ناصر السنة والدين، والذاب عن الشريعة، هذا الذي

(١) انظر: السير (١٧/ ١٩٠)، الأعلام (٦/ ١٧٦).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٥٨٥).

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٠).

صنف سبعين ألف ورقة»[١].

وجهه عضد الدولة سفيرًا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرة مع علماء النصارىٰ بين يدي ملكهم[٢].

مؤلفاته: لقد برع القاضي الباقلاني في التصنيف، حتىٰ قيل عنه: جميع ما كان يذكره أبوبكر الباقلاني من الخلاف بين الناس صنفه من حفظه، وما صنف أحدًا خلافًا إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين سوىٰ ابن الباقلاني، ومن أبرز مؤلفاته:

١ـ الإنصاف.

٢ـ دقائق الكلام.

٣ـ تمهيد الدلائل (وهو مخطوط).

٤ـ إعجاز القرآن، وقد ذكر في هذا الكتاب المناظرة التي جرت بينه وبين الراهب النصراني[٣].

٥ـ التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة، حيث خص النصارىٰ في هذا الكتاب بفصل منه، ناقشهم في زعمهم أن الله جوهر، وعلاقة الأقانيم بالجوهر، ثم ذكر الأدلة النصية للنصارىٰ على ألوهية المسيح وبين لهم

---

(١) السير (١٧/ ١٩٣).

(٢) انظر: الأعلام (٦/ ١٧٦).

(٣) الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٦).

اشتراك المسيح مع غيره في هذه الدلالات[١].

وفاته: مات رحمه الله في ذي القعدة سنة ثلاثٍ وأربعمائة (٤٠٣هـ)، وصلى عليه ابنه «حسين» وكانت جنازته مشهودة، وكان سيفًا على المعتزلة والرافضة والمشبهة[٢].

القاضي عبدالجبار (٣٥٩ - ٤١٥هـ)

اسمه: عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار بن أحمد بن خليل بن عبدالله الهمذاني، أبوالحسن[(١)].

نبذة عن حياته: ولد عام (٣٥٩هـ)[(٢)]، تلقبه المعتزلة بقاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، شيخ المعتزلة صاحب التصانيف، وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع.

قال عنه الذهبي: «العلامة المتكلم شيخ المعتزلة»[(٣)].

وقال أيضًا: «كان من غلاة المعتزلة»[(٤)].

وقال عنه ابن العماد: «المعتزلي، عمر دهرًا طويلاً[(٥)] في غير السَّنة».

قال عنه بن قاضي شهبة في طبقاته: «أبوالحسن الهمذاني، قاضي الري وأعمالها، كان شافعي المذهب، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال، له المصنفات الكثيرة»[(٦)].

---

(١) انظر: الأعلام (٣/ ٢٧٣)، معجم المؤلفين (٢/ ٤٦).

(٢) انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٤٦).

(٣) السير: «١٧/ ٢٤٤».

(٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٣٣).

(٥) وعند النظر في تاريخ مولده وفي تاريخ وفاته نجد أن عمره لم يتجاوز السادسة والخمسين، وبالمقارنة مع غيره نجد أن هذا العمر ليس كما وصف.

(٦) شذرات الذهب في نقد الرجال لأبي عبدالله الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي،=

مؤلفاته: ألف القاضي كتبًا تعتبر من عمد كتب المعتزلة، ومن أبرزها:

١ـ الأصول الخمسة.

٢ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل، خص النصارىٰ بفصل، تكلم فيه عن عقائد النصارىٰ ورد عليها بالبرهان العقلي حيث أجاد في ذلك.

٣ـ تنزيه القرآن عن المطاعن.

٤ـ الأمالي.

٥ـ المجموع المحيط بالتكليف.

٦ـ متشابه القرآن.

٧ـ طبقات المعتزلة(١).

٨ـ تثبيت دلائل النبوة: وهو من أوسع كتبه في الرد على النصارىٰ، حيث تعرض للرد عليهم في جملة من الموضوعات، من أهمها:

أولاً: كيفية وضع التشريع النصراني والرد عليه.

ثانيًا: ذكر اختلاف فرق النصارىٰ الرئيسة في العقائد.

ثالثًا: نقد أدلة ألوهية المسيح وبيان كذب قصة الصلب.

رابعًا: بيان إثبات نبوة النبي ﷺ من أقوال الأنبياء

= دار المعرفة، بيروت.

(١) الأعلام (٣/ ٢٧٣)، معجم المؤلفين (٢/ ٤٦).

السابقين.

خامسًا: بيان إثبات نبوة النبي ﷺ من خلال معجزاته[١].

وفاته: مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة[٢]، عن عمرٍ يناهز السادسة والخمسين، قضىٰ جلها في نصرة مذهب المعتزلة.

---

(١) انظر: تثبيت دلائل النبوة لعبدالجبار.

(٢) شذرات الذهب (٢/ ٢٠٢، ٢٠٣)، لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ)

اسمه: علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، أبوالحسن، والماوردي لقب عائلته نسبة إلى بيع ماء الورد أو عمله فيه[١].

نبذة عن حياته: ولد سنة (٣٦٤هـ) في البصرة، وفيها انكب على التحصيل العلمي، يطلبه في مجالس الفقهاء، والمحدثين، والمناظرين، وأهل العربية وفنونها، فامتلك الحجة، وناصية العربي، ثم ارتحل إلى بغداد فسكن في درب الزعفرانة، يرتاد مجالس أئمة الفقة، والتفسير، والحديث، وأئمة اللغة، فيكتسب أصول الفقه والمناظرة، ويحيط بمذاهب الفقه الأربعة.

وبعد أن شهد له الجميع بالنبوغ والاجتهاد بدأ يتخذ لنفسه حلقة يقصدها الطلاب.

وقد قربه حكام بني بويه إلى بلاطهم وأخذوا يستشيرونه ويرسلونه سفيرًا إلى السلاجقة، ومع هذه المكانة المرموقة عند البويهيين لم تجعله مداهنًا لهم ولا مسخرًا أحكامه لخدمة أغراضهم، حتىٰ إن ملكهم جلال الدولة البويهي أراد أن يتسمىٰ بـ«شاهٍ شاه» أي: ملك الملوك، فأفتىٰ أبوالطيب الطبري بجواز التسمية، وعارض الماوردي هذه التسمية،

(١) الإكمال لابن ماكولا (١/ ٤٧٧)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/ ١٠٢).

وأفتىٰ ببطلانها[١].

قال تلميذه الخطيب البغدادي: «الماوردي في وجوه فقهاء الشافعية، له تصانيف عدة في أصول الفقة وفروعه، وكان ثقة»[٢].

ومع هذه المكانة السامية للماوردي إلا أنه اتهم بتهمة الاعتزال، قال ابن الصلاح كما ذكر الشبكي في طبقاته: «إن الماوردي يورد في تفسيره من الآيات التي يختلف فيها أهل التفسير: تفسير أهل السنة، وتفسير أهل المعتزلة، غير معترض لبيان ما هو الحق منها، حتىٰ وجدته يختار في بعض المواضع قول المعتزلة، وما بنوه على أصولهم الفاسدة»[٣].

واتهمه الإمام الذهبي أيضًا بالاعتزال فقال: «صدوق؛ لكنه معتزلي»[٤].

وكذا قال ياقوت الحموي: «كان عالمًا، شافعيًا في الفروع، ومعتزليًا في الأصول على ما بلغني»[٥].

وقد نفىٰ ابن حجر هذه التهمة عن الماوردي فقال: «لا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال، وإن وافق اجتهاده في

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٨٠ـ ٨٦)، والعبر في خبر من غبر (٣/ ٢٢٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٠٥).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٢).

(٣) طبقات الشافعية (٣/ ٣٠٤).

(٤) السير (١٨/ ٦٧).

(٥) معجم الأدباء (١٥/ ٥٢).

مسائل مقالات المعتزلة»[١].

مؤلفاته:

١ـ الأحكام السلطانية، وهو من أقدم ما طبع من مؤلفاته.

٢ـ أدب الوزير، وعنوانه الأصلي: قوانين الوزارة، وسياسة الملك.

٣ـ أدب الدنيا والدين.

٤ـ أدب القاضي.

٥ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر.

٦ـ الحاوي الكبير.

٨ـ النكت والعيون في تفسير القرآن.

٧ـ نصيحة الملوك[٢].

١٠ـ أعلام النبوة، وهو كتابٌ خاصٌ الأدلة الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ من سيرته الكريمة، ورد فيه على النصارىٰ حيث تكلم فيه عن مسألة الأقانيم، والجوهر، وردّ على مسألة تأليه النصارىٰ لعيسىٰ، ولمسألة التثليث بكلام «مختصر»؛ ثم أسهب في إيراد الدلالات الدالة على نبوة محمد ﷺ من كتب الأنبياء السابقين[٣].

---

(١) لسان الميزان (٤/ ٢٦٠).

(٢) انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٤٩٩).

(٣) انظر: أعلام النبوة.

وفاته: توفي الإمام الماوردي في الثلاثين من ربيع الأول من سنة خمسين وأربعمائه (٤٥٠هـ) في مقبرة باب حرب ببغداد وصلى عليه تلميذه الخطيب البغدادي[١].

ابن حزم (٣٨٣ ـ ٤٥٦هـ)

اسمه: أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي.

نبذة عن حياته: ولد عام (٣٨٣هـ) على الراجح بقرطبة، وكان مولده في عهد وزارة أبيه للحاجب المنصور بن أبي عامر من ولاة الدولة الأموية في الأندلس ونشأ في بيت عزٍّ وجاه، ماتت أمه وهو في سن الطفولة، عاش حياته الأولى بين الجواري في قصر والده، عاش في ظل والده الذي أحاطه بالعناية التامة، وحرص على تنشأته قوية في تلك الرفاهية التامة، فوجهه إلى صحبة رجلٍ مستقيم هو أبوالحسين الفاسي.

وقد ذاقت أسرة ابن حزم بعد العز المرارة والمحنة، وذلك بعد أن تحولوا عن الوزارة بموت الحاجب[١].

ولما سكن أبومحمد «بلنسية» عند المرتضى أصبح وزيرًا له، وعندما هاجمت جيوش «غرناطة» جيش المرتضى، وقع ابن حزم في أسرهم ثم أطلقوا سراحه، ثم عاد ابن حزم إلى قرطبة وهو في السادسة والعشرين من عمره، وبانتهاء رئاسة المعتد بالله تنتهي وزارة ابن حزم، وبعدها ترك السياسة أو

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٢٥).

تركته على الصحيح، فاتخذ بعد ذلك من الكتاب صديقًا أنيسًا لغربته[١].

قال عنه الذهبي: «الإمام الأوحد ذو الفنون والمعارف»[٢].

وقال ابن خلكان: «وكان مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة، بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر»[٣].

مؤلفاته: يقول صاعد بن أحمد: «أخبرني الفضل المكنىٰ أبا رافع ـ ابن حزم ـ أن مبلغ تواليف والده في الفقة والحديث والأصول والنحل والملل، وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو أربعمائة مجلد تشمل على قريب من ثمانين ألف ورقة»[٤].

ومن أبرز مؤلفاته ما يلي:

---

(١) انظر: طوق الحمامة في الإلفة والألاف، تحقيق: فاروق سعيد، نشر دار مكتبة الحياة، طبعة ١٩٧٥م (٢٥١)، تذكرة الحفاظ ، لشمس الدين محمد الذهبي، الطبعة الثامنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٧٦هـ (٣/ ١١٥٢)، معجم الأدباء لياقوت (١٢/ ٢٣٧).

(٢) انظر: السير (١٧/ ١٩٠)، سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد الذهبي، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٩٨٩م.

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٥) لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٢/ ٣٣٨)، الطبعة الأخيرة، بمطبعة دار المأمون.

١ـ المحلىٰ.
٢ـ طوق الحمامة.
٣ـ جوامع السِّيَر.
٤ـ النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية.
٥ـ الناسخ والمنسوخ.
٦ـ نسب البربر.
٧ـ فضل العلم وأهله.
٨ـ الرد على من كفّر المتأولين من المسلمين[(١)].
٩ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، وهو من أبرز كتبه، خص النصارىٰ فيه بثلاثة فصول.

وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل المتفرقة، كرسالة المفاضلة بين الصحابة، وإظهار تبديل اليهود والنصارىٰ للتوراة والإنجيل، والإمامة، وذكر العظائم المخرجة إلى الكفر، وحكم من قال إن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين ويسمى أبومحمد هذا الكتاب: الديوان، وهو لا يتناول فيه نحلة إلا عرف دقائقها، وحاور فيها فأحسن ما يحاور فيلسوف، وكان اعتماده في مناقشته على النص والعقل، وكان يأخذ آراء الفرق من أقوال الخصوم وهذا يخالف الدقة في النقل.

وقد كتبه في أوقاتٍ مختلفة، إذ لا يمكن كتبه في سنٍّ

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنىٰ ببغداد (٢/ ١٣٨٤)، مجلة الفيصل عدد (٢٦) ص(٦٠).

مبكرة؛ لأن ما يشتمل عليه لا يحصىٰ إلا بعد اطلاعٍ واسعٍ على المصادر والمراجع، وبعد نضوج عقليٍ تام.

وأما الفصول الثلاثة التي كان يتحدث فيها عن النصارىٰ، فهي على النحو التالي:

الفصل الأول: نقل فيه أقوال فرق النصارىٰ في المسيح ونقدها.

الفصل الثاني: تحدث عن اليهود وفرقها، وتحدث عن التوارة ونسخها المختلفة.

الفصل الثالث: تحدث فيه عن الأناجيل والرسائل المحلقة بها؛ ثم شرع يذكر تناقضات الأناجيل ومخالفتها لعقائد النصارىٰ في الألوهية والصلب، إلا أنه يؤخذ على ابن حزم الظاهرية التي غلبت على دراسة بعض المواضع من التوراة والإنجيل، كما يؤخذ عليه ثلبة وشتمة للتلاميذ الاثنا عشر وكتاب الأناجيل(١).

وفاته: عاش ابن حزم حياةً زاخرة بالمحن والمصائب فلم يستدل لها ولا انقادت له، توفي بعدها رحمه الله عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة (٤٥٦هـ)، وكان عمره رحمه الله ثنتين وسبعين سنة(٢).

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل.

(٢) انظر: وفيات الأعيان (٣/٣٢٨)، البداية والنهاية (١٢/٩٢) لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٧م.

أبو الوليد الباجي (٤٠٣ ـ ٤٧٤هـ)

اسمه: الإمام العلامة الحافظ ذوالفنون، القاضي أبوالوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الذهبي الأندلسي[١].

نبذة عن حياته: ولد أبوالوليد الباجي سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة (٤٠٣هـ)، أصله من مدينة «بطليوس» فتحول جده إلى «باجه» بليدة قرب «أشبيلية»، فقيه مالكي أصولي، متحدث، متكلم، أديب، كاتب، شاعرٌ، مفسّر، رحل إلى المشرق وأقام «بمكة» ثم انتقل إلى بغداد فسمع من علمائها وذهب إلى الموصل فأقام بها سنة، صاحب ابن الباقلاني ثم رجع إلى الأندلس بعد مدة زمنية بعلمٍ غزير، وولي القضاء في بعض أنحائها[٢].

قال القاضي عياض: «حاز الرياسة بالأندلس فسمع من خلق كثير، وتفقّه عليه خلق»[٣].

أجّر نفسه ببغداد مدة مقامه لحراسة دربٍ.

قال عنه بن البَشْكُوَال: «أخبرني بعض أصحابنا، قال:

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٤٠٨)، والسير (١٨/ ٥٣٥ـ ٥٣٦)، والديباج المذهب (١٩٧).

(٢) انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٨)، ومعجم الأدباء (٦/ ٢٤٧ـ ٢٥١).

(٣) الديباج (١٩٨).

سمعت القاضي علي بن سكرة يقول: ما رأيت مثله، ولا رأيت على سمته، وهيبته، وتوقير مجلسه، وهو أحد أئمة المسلمين»[١].

مؤلفاته: ولأبي الوليد تآليف مشهورة، من أبرزها:

١ـ الإستيفاء في شرح الموطأ.

٢ـ المتقىٰ في شرح الموطأ، وهو اختصار الاستيفاء.

٣ـ الإيماء، وهو مختصر المتقىٰ.

٤ـ مسائل الخلاف، لم يتمه.

٥ـ المهذب في اختصار المدونة.

٦ـ أحكام الفصول في أحكام الأصول.

٧ـ التشديد إلى معرفة طريق التوحيد.

٨ـ الإشارة في أصول الفقة[٢].

٩ـ رسالة في الرد على راهب فرنسا، وكان سبب كتابتها أن راهب فرنسا «حنامقار» وجه رسالة للمقتدر أمير سرقسطة يدعوه للدخول في النصرانية، وطلب جوابًا على رسالته بكتاب، فكتب له أبوالوليد الباجي جوابًا تضمن ما يلي:

أولاً: عدم وجود نصٍ يدل على الالتحام المقدس في

---

(١) كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم لابن بشكوال، طبعة مجريط ١٨٨٢م (١/ ١٩٨).

(٢) انظر: الديباج (٢٠٠)، الأعلام (٣/ ١٢٥)، معجم المؤلفين (١/ ٧٨٨).

الكتب السابقة.

ثانيًا: إثبات بشرية عيسىٰ عليه السلام.

ثالثًا: إثبات نبوة النبي ﷺ.

رابعًا: أن كتب النصارىٰ مليئة بالتناقض والغرائب[1].

وفاته: توفي أبوالوليد الباجي بالمريّة، ليلة الخميس بين العشائين، تاسعة عشرة من شهر رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر بالرباط، على ضفة البحر، وصلى عليه ابنه القاسم[2].

إمام الحرمين الجويني (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)

اسمه: هو الإمام شيخ الإسلام البحر الحبر، المدقق المحقق، النظار الأصولي المتكلم، أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيوه الجويني، أحد كبار الشَّافعية، الملقب بإمام الحرمين(١).

نبذة عن حياته: ولد في جوين ـ من نواحي نيسابور ـ عام (٤١٩هـ)، رحل إلى بغداد، فمكة؛ حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتىٰ ودّرس، جامعًا طرق المذاهب، ثم عاد إلى نيسابور؛ فبنىٰ له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وقد برع في علم الكلام وفاق فيه أهل زمانه، ويكفيه أن الغزالي أبا حامد قد أخذ عنه(٢).

قال الذهبي: «قرأت بخط أبي جعفر أيضًا، سمعت أباالمعالي يقول: قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفًا ثم خلّيت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهىٰ أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد،

---

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٦٥)، والسير (١٨/ ٤٦٨)، الأعلام (٤/ ١٦٠).

(٢) طبقات الشافعية (٥/ ١٦٥ـ١٦٨).

والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم دين العجائز»[١].

وحكىٰ الفقيه أبا عبدالله الحسن بن عباس الرستمي قال: «حكىٰ لنا أبوالفتح الطبري الفقيه، قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه فقال: اشهدوا عليّ أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور»[٢].

وقد ورد عن الإمام الجويني ما يدل على حيرته ورجوعه عن كثير من المسائل التي قررها سابقًا، قال أبوجعفر: «سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، فقال: كان الله ولا عرش ـ وجعل يتخبط في الكلام ـ فقال الهمذاني: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ماتريد بهذا القول، وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارفٌ قط: يا رباه إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصدٌ لا يلتفت يمنة ولا يسرة يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فتنبئنا نتخلص من الفوق والتحت؟! وبكيت وبكىٰ الخلق، فضرب بكلمة على السرير وصاح بالحيرة، وخرق ما كان عليه، وانخلع وصارت قائمة

(١) السير (١٨/ ٤٦٩).

(٢) السير (١٨/ ٤٧٤).

في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا: يا حبيبي، الحيرة.. الحيرة، والدهشة.. الدهشة، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني»[١].

مؤلفاته: لقد ترك الجويني كمًّا هائلاً من المصنفات الدالة على باعه وتضعله العلمي في فنونٍ شتىٰ، ومن أبرز هذه المؤلفات، مايلي:

١ـ العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية.

٢ـ البرهان.

٣ـ الإرشاد.

٤ـ نهاية المطلب في دراية المذهب.

٥ـ الشامل.

٦ـ الورقات.

٧ـ مدارك العقول.

٨ـ غياثُ الأمم في الإمامة.

٩ـ غنية المسترشدين[٢].

١٠ـ وله في الرد على النصارىٰ: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوارة والإنجيل من التبديل، وموضوعات هذا الكتاب تدور على ما يلي:

أولاً: دعوىٰ اليهود والنصارىٰ عدم تحريف التوارة

(١) العلوّ للذهبي (١١٨)، والسير (١٨/ ٤٧٧).

(٢) الأعلام (٤/ ١٦٠).

والإنجيل.

ثانيًا: وصف تاريخي لتدوين التوارة.

ثالثًا: عقد مقارنة بين التوراة العبرانية واليونانية.

رابعًا: ذكر بعض تناقضات الأناجيل[١].

وفاته: في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائه هجرية توفي الجويني، ودفن في داره ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين فدفن بجنب والده، ورثي بقصائد، وكان له نحو من أربعمائة تلميذ[٢].

الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ)

اسمه: أبوحامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي(١).

نبذة عن حياته: حجة الإسلام وأعجوبة الزمان، برع في الفقه وأصوله، وعلم الكلام، ولد سنة (٤٥٠هـ)، كان منتميًا إلى المذهب الأشعري في طريقته الكلامية، ولكنه بدا غامضًا في بعض كتبه، في بيان حقيقته خاصة في كتابه «المظنون على غير أهله» وفي مواضع من الإحياء.

وبعد رحلة طويلة في علم الكلام ألف كتبًا تفيد تدرجه في الرجوع عن علم الكلام، منها: المنقذ من الضلال، وإلجام العوام، وفيصل التفرقة.

أخذ الفقة وأصوله وعلم الكلام عن إمام الحرمين، وقرأ بنفسه كتب الفلاسفة والباطنية، والصوفية(٢).

قال عن نفسه: «ثم إني إليه ابتدأت بعد الفراغ بعلم الفلسفة»(٣).

وقد رد على الفلاسفة في كتابه: تهافت الفلاسفة؛ ولكنه تأثر بهم، ثم تعلم الباطنية، حيث قال: «ثم إني لما

(١) السير (١٩/ ٣٢٢)، والأعلام (٧/ ٢٢).
(٢) المنقذ من الضلال (٣٤).
(٣) المنقذ من الضلال (٣٦).

فرغت عن علم الفلسفة، وتحصيله وتفهيمه، وتزييف ما زيف منه، علمت أن ذلك أيضًا غير وافٍ بكمال الغرض، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفًا للغطاء عن جميع المعضلات، وكانت قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنىٰ الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم، بالحق عنَّ لي أن أبحث مقالاتهم»[1].

وقد رد عليهم في كتابه «فضائح الباطنية» لكن يبدو أنه تأثر بهم في تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن.

ثم انتقل بعد ذلك إلى مرحلة التصوف، حيث ألف فيها كتابه «إحياء علوم الدين»[2].

وقد كان في آخر حياته يسلم بأن طريقة السلف في الكف عن التأويل هي الصحيحة دون ما سواها، حيث قال عن علم الكلام: «والدليل على تضرر الخلق به الشاهد والعيان والتجربة، وما ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون وفشت صناعة الكلام»[3].

وقال في موطنٍ آخر في كتابه «إلجام العوام»: «وعلاج وهم التشبيه أسهل من علاج التعطيل، إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر: ليس كمثله شيء»[4].

---

(١) المنقذ من الضلال (٥٢).

(٢) انظر كتاب: أبوحامد الغزالي والتصوف (١١٧٨)، عبدالرحمن دمشقية.

(٣) إلجام العوام عن علم الكلام (٧٨).

(٤) المرجع السابق (١٠٨).

وقد أيضًا في موطن آخر: «الدليل على أن مذهب السلف هو الحق أن نقيضه بدعة، والبدعة مذمومة وضلالة، والخوض من جهة العوام في التأويل ضلالة، والخوض من جهة العلماء بدعة مذمومة، والكف عن ذلك سنة محمودة»(١).

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم لما لم يُحصّل مطلوبه من هذه الطرق بقي من أهل الوقف ومال إلى طريقة أهل الحديث، فمات وهو يشتغل في البخاري ومسلم»(٢).

قال عنه تلميذه عبدالغافر الفارسي: «كان تخاتمة أمره إقباله على حديث المصطفىٰ ﷺ، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ الذين هما حجة الإسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله، ولاشك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية، واشتغل آخر عمره بسماعه»(٣).

مؤلفاته: لقد دبج يراع أبي حامد كتبًا جمة بحسب ما مرّ في حياته من مراحل، ولعل من أبرزها:

١ـ إحياء علوم الدين.

٢ـ تهافت الفلاسفة.

---

(١) المرجع السابق (٩٦).

(٢) الصفدية (١/ ٢١٢).

(٣) طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ٢١٠)، السير (١٩/ ٣٢٣)، تحقيق: فهد الحلو، ومحمود القناجي، القاهرة، عيسى البابي ١٣٨٣هـ.

٣ـ الاقتصاد في الاعتقاد.

٤ـ المظنون به على غير أهله.

٥ـ فضائح الباطنية.

٦ـ إلجام العوام عن علم الكلام.

٧ـ إيها الولد.

٨ـ المستصفى من علم الأصول.

٩ـ المنحول في علم الأصول[١].

١٠ـ الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، وهذا الكتاب يعتبر أول كتابٍ ناقش النصارى في معتقد الحلول الإلهي والتثليث بشكل مستقل.

وقد كان منهجه في هذا الكتاب: التسليم الجدلي للنصارىٰ بصحة نصوصهم مقارنًا إياها بترجمات النص، كما قام تعليل هذه النصوص وتفسيرها، وقد لمز النصارى في عقولهم التي سلمت بتلك المعتقدات، وختم كتابه بمناقشة النصارى في تسيمة القرآن لعيسىٰ كلمة وروح الله[٢].

وفاته: وفي عام (٥٠٥هـ) وافاه الأجل المحتوم، وقد وجد صحيح البخاري على صدره[٣].

---

(١) السير (١٩/ ٣٢٤ـ ٣٣٨)، الأعلام (٧/ ٢٢ـ ٢٣).

(٢) انظر: كتاب الرد الجميل.

(٣) الأعلام (٧/ ٢٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ١٩١).

الشهرستاني (٤٧٩ ـ ٥٤٩هـ)

اسمه: محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي، كنيته أبوالفتح، شيخ أهل الكلام والحكمة[١].

نبذة عن حياته: ولد على الراجح سنة أربعمائة وتسع وسبعين (٤٧٩هـ) في بلدة «شهرستان» وهو شافعي المذهب، ومن حيث الأصول أشعري، كان إمامًا مبرزًا، فقهيًا متكلمًا، واعظًا، محاضرًا[٢].

وقال عنه الخوارزمي: «عالم كيس متفنن، ولولا ميله إلى أهله الإلحاد وتخبطه في الاعتقاد لكان هو الإمام»[٣].

وقال عنه ياقوت الحموي: «الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل كامل العقل؛ لولا تخبطه في الاعتقاد، ومبالغته في نصرة مذهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام»[٤].

وقد أُتهم الشهرستاني بعدة تهم:

الأولى: أُتهم أنه من الشيعة أصحاب القلاع «الإسماعيلية»، وهذه تهمة خطيرة، لا تصح على

(١) الأعلام (٦/ ٢١٥)، معجم المؤلفين (٣/ ٤٢٢).

(٢) السير (٢٠/ ٢٨٧)، الإعلام (٦/ ٢١٥).

(٣) تاريخ خوارزم (٣/ ٢٧٧).

(٤) معجم البلدان (٣/ ٣٧٧).

الشهرستاني، ويمكن الجواب عنها بما يلي:

١ـ أن ردوده على هذه الفرقة ردودٌ قوية، وذلك من خلال الحديث عنهم في الملل والنحل.

٢ـ أن هذه التهمة غير صحيحة؛ إذ لو صحت لحكم عليه بالخروج من الدين جملة وتفصيلاً.

التهمة الثانية: أنه من الشيعة الإمامية، واستدلوا على ذَلك بقوله: «والحق مع علي يدور معه حيث دار»، والجواب عنها:

إن هذه التهمة غير صحية، وذلك لما يلي:

١ـ أنه ردّ الإمامية.

٢ـ أنه ذكر معتقداتهم بالسخرية والاستخفاف، مثل عقيدة الغيبة[(١)].

مؤلفاته: للشهرستاني مؤلفات كثيرة، منها:

١ـ الإرشاد إلى عقائد العباد، وقد ذكره في كتاب: نهاية الإقدام.

٢ـ تلخيص الإقدام لمذاب الأنام، نسبه إليه ابن خلكان.

٣ـ مصارعات الفلاسفة.

٤ـ مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، وهذا في التفسير،

(١) انظر مقدمة كتاب الملل والنحل، تحقيق: عبدالأمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور (١/١٣ـ ١٤).

منه نسخة كتبت سنة ٦٦٧هـ في خزانة مجلس الشورىٰ الوطني بطهران.

٥- نهاية الإقدام في علم الكلام(١).

٦- الملل والنحل، وهو من أوسع كتبه، وقد عالج فيه موضوعات عدة، وتميز هذا الكتاب بعدد من المزايا، من أبرزها:

أ - أنه يعرض مذاهب الفرق والأديان دون الرد عليهم، إلا إذا اشتد الانحراف فإنه يقوم بالرد عليهم وبيان هذا الانحراف.

ب - أن هذا الكتاب اشتمل على الفرق الإسلامية، والأديان السماوية، والأديان الوضعية.

ج - أنه قسم كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تحدث فيه عن الفرق ذاكرًا عقائدها وأبرز شخصياتها.

القسم الثاني: تحدث فيه عن أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، مع بيان فرقهم.

القسم الثالث: تحدث فيه عن الصابئة.

د - اهتمامه في الاستدلال بالأدلة العقلية، وتقديمها على الأدلة النقلية، وفي بعض الأحيان لا يذكر الأدلة النقلية

---

(١) الأعلام (٦/ ٢١٥)، معجم المؤلفين (٣/ ٤٢٢).

مطلقًا[١].

وفاته: مات رحمه الله بشهرستان سنة تسع وأربعين وخمسمائة (٥٤٩هـ)[٢].

---

(١) انظر: الملل والنحل.

(٢) السير (٢٠/٢٨٨).

أبوعبيدة الخزرجي (٥١٩ ـ ٥٨٢هـ)

اسمه: أحمد بن عبدالصمد بن «أبي عبيدة» محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالحق الخزرجي القرطبي، يكنىٰ بأبي جعفر، ينتسب إلى سعد بن عبادة، فقيه أندلسي[(١)].

نبذة عن حياته: ولد عام (٥١٩هـ)، وسكن «غرناطة» مدة من الزمن، و«بجاية» مدة، روىٰ عن أبي بكر بن العربي، وأبي جعفر بن عبدالرحمن البطروجي، وأبي عبدالله صعف حفيد مكي، وأبي مسعود بن أبي الخصال، اشتهر بالذكاء، والحفظ، والإلمام بالتواريخ والقصص والأدب.

عمي في آخر عمره، امتحن بالأسر سنة (٥٤٠هـ)، ثم خلصه الله منه، وكان أبوالقاسم بن بقي يكثر الثناء عليه ويقول بفضله.

مؤلفاته: اشتغل أبوعبيدة الخزرجي بالتصنيف والتأليف، وترك تصانيف مفيدة، منها:

١ ـ آفاق الشموس في الأقضية النبوية، ثم اختصره

---

(١) انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (١/ ١٧٠) الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، والديباج المذهب في معرفة أعيان وعلماء المذهب، إبراهيم بن نورالدين المالكي ص(١١٩)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، والإعلام للزركلي (١/ ١٥٠) دار العلم للملايين، بيروت.

بإشراق الشموس، وذكر فيه أنه سماه: آفاق الشموس وأغلاق النفوس.

٢ـ نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه.

٣ـ حسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق فيما بعد الفجر وقبل الشفق.

٤ـ قصد السبيل في معرفة آيات الرسول ﷺ.

٥ـ مقام المدرِك في إقحام المشرك.

٧ـ مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان، وهو من أفضل كتبه رد به على بعض القساوسة بطليطلة وكان من أحْفَل ما ألف في معناه، وقد حققه: محمد شامة، وطبعه بعنوان: بين الإسلام والمسيحية.

وهذا الكتاب يعتبر ثاني ردٍّ من ردود علماء الإسلام تعرض لنقد حادثة الصلب بعد القاضي عبدالجبار من حيث قوته.

وقد أسهب مؤلفه في الرد على القس النصراني، وكان رده شاملاً على عددٍ من قضايا الإعجاز في القرآن الكريم، ومعجزات نبينا محمد ﷺ، كما ذكر كثيرًا من النصوص الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ، وقد ختم كتابه هذا بخاتمتين:

أولاها تحدث فيها عن أفعال عيسىٰ البشرية التي تنفي عنه الألوهية.

ثانيها عن بعض ما تعرض له المسيح من الأذىٰ والسفه

من اليهود[١].

وفاته: وفي مدينة «فاس» كان وفاة أبي عبيدة الخزرجي عن عمر يناهز الثالثة والستين، حيث توفي عام (٥٨٢هـ)[٢].

(١) انظر: الديباج (١١٩)، ومعجم المؤلفين (١/ ١٧٠)، والأعلام للزركلي (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: المراجع السابقة.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على أشرف البريات وعلى آله وصحبه وسلم وبعد فإن أخلص من جميع ما سبق إلى النقاط التالية:

أولاً: أن في أمة محمد ﷺ خير لا ينقطع بتطاول الزمان وانصرام الأيام لأنها خير أمة أخرجت للناس وهي آخر الأمم لذلك كانت هذه الخيرية معلقة بما تقوم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيًا: أن النصرانية بما هي عليه الآن دين نحلة بولس اقتبسوه من عقائد مختلفة من تجسد الإله وصلب المسيح واختصاص الصليب وغيرها من الترهات.

ثالثًا: أن النصرانية الحقة ـ كما يسميها البعض ـ دين أنزل من السماء على عيسى بن مريم وهي دين توحيد مثلها مثل بقية الديانات التي جاءت بها الرسل من عندالله تبارك وتعالى.

رابعًا: أن الأسفار التي بين يدي النصارى كتب لا يعلم على وجه التحديد من كاتبها وهي كتب سيرة وتأريخ لم يزعم كتّابها أنهم يقدمونها من خلال كلمة الله وإنهم زعم النصارىٰ أنها كتب إلهام.

خامسًا: أن هذه الأسفار قدسها البشر ومنحوها صفة

القدسية عبر المجامع التي رفضت البعض وأقرت البعض.

سادسًا: أن صلب المسيح أمر زعم النصارىٰ وقوعه وزعموا عليه التواتر وقد بين علماء المسلمين بطلان هذه الدعوى من خلال النصوص ونجاة المسيح.

سابعًا: أن شبهات النصارىٰ ضد الإسلام تنبع من الكذب الصريح والخادع الواضح والجهل المركب.

ثامنًا: أن جهود علماء القرون الستة الهجرية الأولى خلاصة طيبة للجدل الإسلامي مع النصارىٰ في هذه القرون.

تاسعًا: إن سبب قيام علماء القرون الستة الأولى هو واجب الدفاع عن حياض الدين الإسلام وبيان الحق يجب أن يسار عليه.

عاشرًا: أن جهود علماء القرون الستة تركز أكثر في التأليف والمراسلة لمن كانوا في وقتهم من علماء النصارىٰ.

والحمد لله أولاً وأخيرًا والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس العامة

١ـ فهرس الآيات القرآنية

﴿سورة البقرة﴾

﴿سورة آل عمران﴾

﴿سورة النساء﴾

﴿سورة المائدة﴾

﴿سورة الأنعام﴾

﴿سورة الأعراف﴾

﴿سورة الأنفال﴾

﴿سورة الضحى﴾

﴿سورة القدر﴾

﴿سورة الفيل﴾

﴿سورة الكوثر﴾

فهرس الأحاديث

نصوص الكتاب المقدس

فهرس المصطلحات

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأعلام

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أبوحامد الغزالي والتصوف، لعبدالرحمن دمشقية، الطبعة الأولى.

- البحث عن يسوع، قراءة جديدة في الأناجيل لكمال الصليبي، دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

- الأصولية الإنجيلية، نشأتها وغايتها وطرق مقاومتها لصالح عبدالله الهذلول، دار السلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- أحوال النصارى في خلافة بني العباس، د. جان موريس فييه، نقله إلى العربية حسني زينة، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

- إسرائيل والتلمود، تأليف: إبراهيم خليل أحمد، القس سابقًا: إبراهيم خليل فيلبس، دار المنار، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- إشارات المرام للبياضي.

- أشعياء نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي، د. محمود المراغي، دار العلوم، بيروت.

- إعجاز القرآن للباقلاني، دار إحياء العلوم، بيروت.

- الأعلام، خيرالدين الزركلي، دار صادر، بيروت.
- أعلام النبوة، تأليف: أبوالحسن علي بن محمد الماوردي، قدم له وشرحه وعلق عليه: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- إكتشاف الكتاب المقدس، قيامة المسيح في سيناء، جيمس بنتلي، ترجمة: آسيا محمد الطريحي، سيناء للنشر، الطبعة ١٩٩٥م.
- الإكمال لابن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ط١.
- إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي، تصحيح وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- البداية والنهاية لابن كثير، الطبعة الأولى، الريان للتراث، بيروت ١٤٠٨هـ.
- البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، تأليف: د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- التعريفات للجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري.
- التوراة البابلية لسهيل قاشا، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

- التوراة السياسي، السلطة اليهودية أنساقها ووظائفها لناجح المعمودي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

- التوراة جاءت من جزيرة العرب لكمال الصليبي، ترجمة: عفيف الرزاز، الطبعة السابعة ٢٠٠١م.

- التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، د. موريس بوكاي، ترجمة: علي الجوهري، مكتبة القرآن، القاهرة.

- التوراة والإنجيل والقرآن لموريس بوكاي، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ.

- الجنس عند اليهود لأحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، دار العاصمة.

- الحسام الممدود في الرد على اليهود، تأليف: عبدالحق الإسلامي المغربي، تحقيق وتعليق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة خالد بن عبدالله القاسم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- الديانة الفرعونية، أفكار المصريين القدماء عن الحياة الأخرى للسير وَلِس بدج، ترجمة: يوسف سامي اليوسف.

- الديباج المذهب لابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

- الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبدالله دارز، دار الفكر العربي.

- الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ لعلي بن ربن الطبري، تحقيق: عادل نويهض، مطبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- الرد الجميل، الغزالي، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت ١٤١٠هـ.

الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية للحبر الأعظم إسرائيل شموئيل الأرشليمي، قدم لها وخرج نصوصها وعلق عليها: عبدالوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

- السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ط١، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعيد.

- الصابئة المندائيون، دارسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين لسليم برزنجي، ترجمة: جابر أحمد، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار الكنوز الأدبية.

- الصفدية لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم،

مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٦هـ.
- الظلة في تأريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم لابن بشكوال.
- الطبقات لابن سعد، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ، تحقيق: زياد محمد منصور.
- العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنذر وفؤاد السيد، الكويت، ١٩٦٠م.
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لطاهر البيروتي، تحقيق ودراسة: الدكتور: محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل لحسن الباش، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار قتيبة، دمشق.
- العلاقة بين اليهودية والمسيحية، الأب سلوم سركيس، دار الإنشاء والصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، طرابلس.
- مختصر العلو للذهبي، اختصره وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، الكتاب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ.
- الغنوصية في الإسلام لهاينس هالم، ترجمة: رائد الباش، مراجعة: د. سالمة صالح، منشورات الجمل.
- الفاتيكان والإسلام، د. زينب عبدالعزيز، دار القدس،

الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- الفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن الباجه جي زاده، نشر: دار عمار، عمان، مطبعة جمعية عمان التعاونية.

- الفرق والمذاهب المسيحية من البدايات حتى ظهور الإسلام لنهاد خياطة.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي، المطبعة الأدبية، الطبعة الأولى.

- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى لعبدالمجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- الفكر الشرقي القديم لجون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د.إمام عبدالفتاح إمام، صفر ١٤١٦هـ.

- الفهرست لمحمد إسحاق النديم، الطبعة الأولى، دار الكتب العربية، بيروت.

- القاموس المحيط للفيروزأبادي، ط. دار الفكر.

- القرآن وتصديق التوراة والإنجيل، د.ممدوح جاد، المطبعة الفنية.

- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي، دار الفتح، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت،

ط٣، ١٤٠٣هـ.
الكتاب الأول في العهد القديم كتاب اليهود ليس مقدسًا، حوار مع زميلي المسيحي المستشار: حسن إمام إسماعيل.
- الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي.
- الكلمة السواء، المسيحية والإسلام بين حوار الفكر وحرب المبشرين لسالم عبدالله سالم النويدري، دار الأمير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- اللزوميات لأبي العلاء المعري، دار صادر، بيروت.
- الله ليس كذلك لزيجرد هونكه.
- المختار في الرد على النصارى للجاحظ، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، ط١، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
- المدخل لدراسة القرآن لمحمد أبوشهبة.
- المسلمون في إنجيل متى، تأليف: ممدوح جاد، لا يوجد عليه معلومات.
- المسيح اليهودي ونهاية العالم لرضا هلال، مكتبة الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبر، ترجمة: د. عبدالحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا،

بيروت.

- المسيحية والعرب، لنقولا زيادة، دار المهندسين، دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م.

- المعجم الفلسفي.

- المغني في أبواب التوحيد.

- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: مانع بن حماد الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة.

- الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق: محمد السيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

- المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل لأبي الفضل المسعودي، قدم له وحققه: رمضان الصفناوي البدري، راجعه: د. مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- المنجد.

- المنقذ من الضلال للغزالي.

- أمريكا طليعة الانحطاط لروجية جارودي، تقديم: كامل زهيري، تعريب، عمرو زهيري، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- النصرانية وآدابها بين العرب الجاهلية، الأب لويس شيخو، دار الشرق، بيروت، الطبعة الثانية.

- النصرانية والإسلام لمحمد عزت الطهطاوي، الطبعة

الثانية، مكتبة النور، مصر ١٤٠٧هـ.

- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن يحيى المتطبب، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

- تاريخ أورشليم، فراس السواح، د.علاءالدين، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

- تاريخ الأديان وفلسفتها، العميد الركن: طه الهاشمي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

- تاريخ الكنيسة المسيحية لـ«إلكسندروس» مطران حمص، مكتبة الساعي، طرابلس، لبنان.

- تاريخ الكنيسة المسيحية لـ«إلكسندروس» مطران حمص، مكتبة السائح، طرابلس، لبنان.

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ خوارزم.

- تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار.

- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبدالرحمن الترجمان، تحقيق: محمود علي حماية.

- تذكرة الحفاظ للذهبي.

- تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان لعلي بن محمد بن عبدالله الفخري، تحقيق وتقديم: د. رشيد البندر، دار الحكمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- ترتيب المدارك.

- ثقتي في السيد المسيح لجوش مكدويل، ترجمة: القس منيس عبدالنور.

- خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل لكمال الصليبي، دار الساقي، الطبعة الثانية ١٩٩١م.

- دائرة المعارف بطرس البستاني، مطبعة الهازل بمصر، سنة ١٩٠٠م.

- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.

- دراسات في الأديان «اليهودية والنصرانية» لسعود الخلف، الطبعة الثانية، دار العاصمة، الرياض.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للعلامة أبي بكر بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ديوان أبي الطيب، الطبعة الأولى، دار صادر.

- رسالة أبي الوليد الباجي في الرد على راهب فرنسا لأبي الوليد الباجي، تحقيق: محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة، ١٤٠٦هـ.

- رسالة الحسن بن أيوب.

- رسالة القس حنامقار إلى أبي عبيدة الخزرجي، ضمن مقامع هامات الصلبان بين الإسلام والمسيحية، محمد محمد شامة، ط٢، مكتبة وهبه، مصر.

- روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تأليف: إتين جلسون، ترجمة وتعليق: أ.د: إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الخامسة عشر، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.

- سر مريم أم المسيح عليه السلام، تأليف: حسني يوسف الأطير، مكتبة الزهراء، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

- شرح إحياء علوم الدين للزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- شريط فيديو وثائقي بعنوان: «المسيح كما هو في إنجيل لوقا»، توزيع: المكتبة المعمدانية، عمان.

- صحيح البخاري بحاشية السندي، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل لابخاري، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط٣، دار الفكر.
- ضوابط المعرفة لعبدالرحمن الميداني، الطبعة الثانية.
- طبقات الشافعية للسبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناجي، الطبعة السابعة، دار إحياء الكتب العربية.
- طوق الحمامة لابن حزم.
- ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة العاشرة، دار الشروق، بيروت.
- عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية لحسني يوسف الأطير، مكتبة الزهراء، القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
- فضائح الكنائس والبابوات والقساوسة والرهبان والراهبات، جمع وإعداد: مصطفى فوزي غزال، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، جدة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ومن

اللاهوتيين، مكتبة العائلة، القاهرة.

- قصة الحضارة، ويل ديورنت، ترجمة محمد بدران، أشرف على ترجمتها الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مطابع الدجوي، القاهرة.

- كتاب التمهيد لأبي بكر الباقلاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

- كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي، حققه وقدم له: د. فتح الله خلف، دار الجامعات المصرية.

- كتاب وقرار، بحث دراسي ومنطقي في صحة الكتاب المقدس، تأليف: جوش ماكدويل، ترجمة: القس منيس عبدالنور، المكتبة المعمدانية، عمان.

- كشف الظنون لحاجي خليفة، دار العلوم الحديثة، بيروت.

- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، مجل دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد.

- ما كتب باللغة العربية من هجوم ودفاع بين المسلمين والنصارى واليهود. لموريتس شتابن شنايدر، نشر: جمعية الدراسات الشرقية الألمانية، لايبتش ١٨٧٧م ألمانيا.

- الماتريدية للشمس السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى.

- مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه، الطبعة الأولى، مجمع الملك فهد لطباعة

المحصف الشريف ١٤١٥هـ.
- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد.
- محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى للدكتور عبدالأحد داود، ترجمة فهمي شما، مراجعة أحمد محمد الصديق، مطابع الدوحة الحديثة.
- محمد نبي لإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، مكتبة النور.
- مسألة في الكنائس لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، الطبعة الثالثة، دار الفكر.
- معجم الكتاب المقدس، تأليف: مجموعة من علماء اللاهوت، مكتبة العائلة، القاهرة، ٢٠٠١م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار صادر.
- معجم ديانات وأساطير العالم، أ.د: إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
- محاضرات في النصرانية لأبي زهرة، دار الفكر، القاهرة.

- مفتاح السعادة لطاش كبر زاده، دار العلوم الحديثة، بيروت.

- مقامع هامات الصلبان لأبي عبيد الخزرجي، تحقيق: محمد شامة.

- من النهضة إلى الردة، تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة لجورج طرابيشي، دار الساقي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية، تأليف: عبدالراضي بن محمود عبدالمحسن، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

موسوعة الأديان السماوية والوضعية، الديانة المسيحية، تأليف: نهى نجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

- موسوعة الأديان القديمة ومعتقدات آسيوية لكامل سعفان، دار الندى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

موقف ابن تيمية من النصرانية، تأليف: د.مريم عبدالرحمن زامل، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

- ميزان الاعتدال للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية،

ط١، ١٩٩٥م، تحقيق علي معوض وعادل عبدالموجود.
- نجار وأعظم، تأليف: جوش ماكدويل، ترجمة: سمير الشوملي، توزيع: المكتبة المعمدانية، عمان.
- نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، السامرية، العبرانية، اليونانية، تأليف: د.أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- هل المسيح هو الله، المسيح في الإنجيل بشر، د. ممدوح جاد، لا يوجد عليه ملعومات.
- هل مات المسيح على الصليب لسليم الجابي، ط١، ١٩٩٥م.
- وادي النطرون ورهبانة وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، مذيل بكتاب تاريخ الأديرة البحرية، من عام ١٣٥٤ـ ١٩٣٥م، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- وعد التوراة من إبراهم إلى هرتزل، موسى مطلق إبراهيم، دار أمواج، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- وفيات الأعيان لأحمد بن أبي بكر بن خلكان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات

الصف التصويري والإخراج **وكالة الفرقان**
مكة المكرمة: شارع العزيزية العام * مركز مكة للأعمال ص.ب ٦٨٦٠ * ت: ٥٥٧٢٦٠٥ فاكس ٥٥٦٤٨٦٠